

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَضْوَاءُ عَلِيٍّ رَجْحُ الْبَلَاغَةِ

الجزء الثاني



رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق

وزارة الثقافة العراقية لسنة ٢٠١٥ - ٩١١

أضواء على نهج البلاغة

بشرح ابن أبي الحديد في استشاداته الشعرية

الجزء الثاني

تأليف

الدكتور علي الفخار

إصدار

مؤسسة علوم نهج البلاغة

العتبة الحسينية المقدسة

جميع الحقوق محفوظة
للعتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى

١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م



العراق: كربلاء المقدسة - العتبة الحسينية المقدسة

مؤسسة علوم نهج البلاغة

www.inahj.org

Email: inahj.org@gmail.com

موبايل: ٠٧٨١٥٠ ١٦٦٣٣

ترجمة الشريف الرضي (رحمه الله)

هو السيد أبو الحسن وأبو عدنان محمد بن الطاهر ذي المنقبتين أبي أحمد الحسين بن موسى الأبرش بن محمد الأعرج بن أبي سبحة موسى بن إبراهيم المرتضى المجاب بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين السجاد بن أبي عبد الله الحسين السبط الشهيد بن أبي الحسين علي المرتضى الحيدر الكرار بن أبي طالب بن عبد مناف بن عبد المطلب شيبه الحمد سيد البطحاء بن هاشم الثريد عمرو.

أما نسبه من أمه : فاطمة بنت محمد يعود إلى هاشم الثريد عمرو أيضاً.

وأما ولادته فكانت سنة ٣٥٩هـ في بغداد وتوفي فيها بين سنتي ٤٠٤ - ٤٠٦ هـ. وكان يسكن في محلة الأمباريين وهي إحدى محلات الكاظمية. وقيل في دفنه وقبره أنه دفن في داره ثم نقل رفاته إلى كربلاء حيث كانت لأسرته مقبرة خاصة في كربلاء دفن فيها والده وشقيقه الشريف المرتضى علم الهدى وأخته، وقيل أن قبره يقع بين ضريح الأمام الحسين عليه السلام وقبر إبراهيم المجاب.

أما مؤلفاته فقد بلغت ١٩ مؤلفاً هي :

- (١) كتاب أخبار القضاة.
- (٢) كتاب الأمثال.
- (٣) تعليق خلاف القضاة.
- (٤) كتاب تلخيص البيان في مجازات القرآن.
- (٥) كتاب الجيد من شعر أبي تمام.
- (٦) كتاب تعليقه على كتاب الإيضاح لأبي علي الفارسي.
- (٧) كتاب الحسن من شعر الحسين بن الحجاج.
- (٨) حقائق التأويل في متشابه التنزيل.
- (٩) خصائص الأئمة الإثنا عشر عليهم السلام.
- (١٠) كتاب رسائله المنشورة المسجوعة.
- (١١) كتاب الرسائل الشعرية التي دارت بينه وبين أبي إسحاق الصابي.
- (١٢) رسالة (ذكرها طارق الخالصي في مجلة الكتاب).
- (١٣) كتاب زيادات شعر أبي تمام الطائي.
- (١٤) كتاب زيادات شعر ابن الحجاج.
- (١٥) كتاب سيرة والده الطاهر أبي أحمد الحسن.
- (١٦) كتاب مجازات الآثار النبوية.

(١٧) كتاب المختار من شعر أبي إسحاق الصابي^(٢).

(١٨) نهج البلاغة.

(١٩) ديوان مجزأين.

ترجمة ابن أبي الحديد

هو عز الدين أبو حامد عبد الحميد بن أبي الحديد المدائني البغدادي الشيعي الشافعي المعتزلي (٥٦٨ - ٦٥٦ هـ).

ثمة مصادر تذكر: أنه ولد ونشأ في المدائن وتوفي ببغداد وأخرى تذكر: أنه ولد في الكرخ ثم عاش في المدائن وهو القائل:

يا كرخ جاد عليك مدرار الهوى
وسقى ثراك من الرواعد مسبل

ما دمتُ بعدك بالمدائن سلوةً
إلاّ تثنى الثناني هـواك الأول

استغرق تأليف شرح نهج البلاغة أربع سنوات ونيف إذ كان من ٦٤٤ - ٦٤٩ هـ كما صرح به في شرح النهج. وتسنم وظائف عدة منها:

١. كاتب في دار التشريعات سنة ٦٢٩ هـ.
٢. كاتب في المخزن (دار الخراج) سنة ٦٣٠ هـ.
٣. كاتب في ديوان الخلافة سنة ٦٣١-٣٢٦ هـ.
٤. نقل الى واسط سنة ٦٣١ هـ إلى وظيفة لم يذكرها أصحاب السير.
٥. وفي سنة ٦٤٢ هـ أسندت إليه وظيفة مشرف ولاية الحلة، أي الوالي أو المفتش المالي.

٦. سنة ٦٥٦ هـ عين بوظيفة الأشراف على خزائن الكتب في بغداد.
٧. سنة ٦٥٦ هـ عين كاتب السلّة - بفتح السين المهملة وفتح المشددة اللام - أي ديوان الزمام، وهو رأس الدواوين وأعلاها. وأقربها إلى الخليفة، وبعد هذه الوظيفة توفي.

مؤلفاته

- ١) الاعتبار، وذكره في شرح النهج.
- ٢) انتقاء المتصفي، وقد ذكره الحاج خليفة في كشف الظنون والزركلي في أعلامه.

- ٣) تنمة نهج البلاغة، مطبوع وذكره في شرح النهج.
- ٤) تعليقات على بعض الكتب، غير مطبوع، ذكره في شرح النهج.
- ٥) تعليقات وحواش على الفصل، وذكره ابن شاکر في الفوات.

٦) تقرير الطريقتين في أصول الكلام، ذكره صاحب الكشكول.

٧) تلخيص نقض السفينانية، ذكره في شرح النهج.

٨) حول سيفيات المتنبي. ذكره بروكلمان في تأريخ الأدب العربي.

٩) رسائله الديوانية. ذكره أكثر من مصدر وذكره في شرح النهج.

١٠) شرح نهج البلاغة.

١١) الفلك الدائر على المثل السائر. مطبوع.

١٢) العلويات السبع. مطبوع.

وثمة كتب أخرى تربو على العدد الذي ذكرناه لم تطبع ولكنها ذكرت في

لمصادر.

منهج الأضواء

لكل مؤلف أو محقق أو مُعدِّ منهجه في التأليف والتحقيق والإعداد، ولما كانت "الأضواء" على نهج البلاغة تأليفاً من خلال الجزء الأول منه خاصة، وتحقيقاً من خلال الهوامش وأعداداً من خلال تصنيف النصوص الشعرية. . لذلك كان لزاماً علي أن أتخذ لي منهجاً يجمع بين دفتيه الوظائف الثلاث (التأليف والتحقيق والإعداد).

وتأسيساً على ذلك يمكن أجمال المنهج الذي اعتمده في "الأضواء" بالأمور

الآتية :

١) ألحقت بعض الآيات التي أشار إليها المحقق أبو الفضل في الهامش بما

أستشهد به ابن أبي الحديد من شعر لثلاثي عشر على القارئ بالرجوع إلى الهامش وتجزئ النص الشعري.

(٢) صرفت النظر عن بعض إحالات المحقق من اختلاف بالنقل والقراءة في مضان المصادر أو مخطوطات "النهج" لأن ذلك ليس من وظيفتي.

(٣) اختصرت بعض الروايات بالنص بما لا يخل بعناصره الأساسية لينصب التركيز على الشعر، مع الاحتفاظ بارتباطه بالحدث الذي قيل من أجله.

(٤) صرفت النظر عن بعض الشعر الذي لم أجد فيه قيمة فكرية، وهو قليل جداً.

(٥) إذا وجدت شاهداً في قطعة شعرية أخذت البيت المستشهد به وأحلت الأبيات الأخرى إلى باب آخر، كمرثية الشريف الرضي (٧٠٢٣٤) فقد أخذت البيت الأخير منها وأحلت الأبيات الأخرى إلى الرثاء أو غيرها.

(٦) صرفت النظر عن أبيات مكررة في أماكن بعيدة عن مكانها الأول.

(٧) وضعت خطأً تحت الكلمة التي استشهد بها الشارح في (توضيح معنى مفردة) ليسهل على القارئ الربط بين الشاهد والمستشهد به.

(٨) أضفت واو العطف (خاصة في بدايات) الأبيات المستشهد بها أما لسقوطها من الأصل في الطبع أو لعدم وجودها في الأصل، والمحقق لم يلتفت إليها، على الرغم من اختلال الوزن بدونها، (أي بدون الواو)، ووضعت الواو بين قوسين (٠).

(٩) اختصرت بعض توضيحات الهوامش لوضوح المعنى بما ثبت.

(١٠) حاولت عدم ذكر ديوان الشاعر المعروف في الهامش، اعتماداً على معرفة القارئ إياه.

(١١) قد يتكرر نص شعري، أو كلام للإمام علي عليه السلام فهو ما يقتضيه تقسيم فصول الأضواء.

(١٢) اتبعت منهج الحياد في نقل الشعر والخبر، وللأمانة التاريخية وتركت الرأي للقارئ.

(١٣) اتبعت منهج (المحطات) في النقل، إذ كنت بين كل معركة ومعركة (في معركة صفين مثلاً) أنقل ما يدور في مجلس الأمام علي عليه السلام ومعاوية بن أبي سفيان أو بعض الكتب المتبادلة بينهما لأريح القارئ من عناء رجز المعركة وأطلعته على ما يدور خلف الكواليس.

(١٤) نقلت شعراً في هجاء الأمام علي عليه السلام الى جانب مدحه لاستكمال الجوانب التاريخية، كما في صفين خاصة، عندما هجاه يزيد بن الحجيرة (٨٤/٤).

(١٥) وضعت شروحاتي أو إشاراتي، أو توضيحاتي، أو إبداء رأيي ما سواء في المتن أو في الهامش، بين قوسين ().

تصرفت بالنص الثري بما لا يضر.

(١٦) في فصل (حرب صفين) كنت أكمل النص الشعري من كتاب صفين

لنصر بن مزاحم، تحقيق عبد السلام هارون، إتماماً للفائدة.

١٧) استبدلت علامة التعجب (!) بعلامة الاستفهام عندما تكون الجملة استفهامية ظناً مني بعدم وجود علامة استفهام طباعية في المطبعة (النسخة التي بين يدي) أو سهو الطباع كقوله عليه السلام لمعاوية: - ((فما أنت وعثمان؟ (١٩/٣)).

١٨) لم أشر في الهامش كثيراً إلى كتاب (صفين) لئلا أثقل على القارئ الكريم إذ يمكن مراجعة كتاب صفين بعد كل نص إذا رغب القارئ بذلك

١٩) قسمت الأضواء على وفق الموضوعات إلى أجزاء وأضواء وذلك بجمع المشابهات؛ فالجزء الأول تضمن بعد الإهداء والتقديم والمقدمة والتمهيد بفقراته المتعددة كما تضمن ثلاثة أضواء الأول: المشككون بنهج البلاغة، الثاني الرد على المشككين بنهج البلاغة فيما تضمن الضوء الثالث على بعض خصائص نهج البلاغة.

في حين تضمن الجزء الثاني ترجمة كل من الشريف الرضي وابن أبي الحديد وترجمة المؤلف. كما تضمن منهج ابن أبي الحديد في الشرح ومنهج المؤلف في الأضواء والهدف من الأضواء. وفي الجزء ثلاثة أضواء الأول بدايات الدعوة الإسلامية والثاني بيعة السقيفة والثالث الحروب الإسلامية سواء في عهد الرسول أو في عهد الإمام علي عليه السلام.

في حين تضمن الجزء الثالث الأغراض الشعرية، فيما تضمن الجزء الرابع

مطالب لغوية وأخيراً تضمن الجزء الخامس التمثيل والتراث الشعبي والمتفرقات وملحق بمختارات من حكم الإمام عليه السلام مع المصادر والفهارس.

الهدف من الأضواء

لعل ثمة من يسأل :

- ما قيمة جمع الشعر الذي استشهد به ابن أبي الحديد، وما إضافة المحقق في دفتي كتاب في حين أنه موجود في شرح "النهج"؟

- ما قيمته من حيث المنهج العلمي في الإعداد والتأليف؟

وهل يخدم القارئ والمكتبة العربية مثل هذا الكتاب؟

وأسئلة أخرى قد تثار.

وجواباً على ما قد يثار أقول :

إن الهدف الرئيس من وضع الكتاب هو تسهيل مهمة القارئ في تداول الشعر لتعذر ذلك عليه في ثنايا شرح "النهج" لسعته وعدم إمكانية الحصول عليه من لدن الجميع، وقد حصرت ذلك بين دفتي كتاب لهذا الغرض.

والهدف الثاني: هو ربط الشعر بالحدث لأنه مكمل له كالكتب المتبادلة بين الإمام علي عليه السلام وكل من عماله ومعاوية وعمرو بن العاص وغيرهم؛ ووقعتي الجمل وصفين وقبلهما بدايات الدعوة الإسلامية وبيعة السقيفة وغزوات بدر وأحد والخندق ومؤتة... الخ.

أما الهدف الثالث: فإن أكثر ما استشهد به يدور على الألسن دون أن يعرف

القارئ أنه من استشهادات شرح "النهج" لسعة الشرح كما أشرنا في الهدف الأول. لذلك فانه سيجدها في "الأضواء" مسندة في الأغلب.

والهدف الرابع، توخي تقريب أحاديث الإمام عليه السلام إلى القارئ من خلال الشعر المستشهد به والمفصل في أجزاء وأضواء "الأضواء" لأنه وثيقة تاريخية لتلك الخطب والأحاديث.

والهدف الخامس هو: تسهيل مهمة القارئ في الوقوف على حوادث تاريخية مهمة للأمة العربية، خاصة في بدء الدعوة الإسلامية وما تلاها من حوادث ساخنة فتت في عضد الأمة.

والهدف السادس: أن الشعر المستشهد به، وبالتالي، المجموع في هذا الكتاب يوجز ما في "النهج" ويقربه إلى ذهن القارئ ويغنيه عن الرجوع إليه في مواقع كثيرة، وإن لم يكن في الأعم الأغلب.

وأخيراً سلسلت الحوادث التاريخية حسب زمنها بما يسهل على القارئ الوقوف عليها عند التناول لأنها متناثرة هنا وهناك في أجزاء "النهج" العشرين كحرب صفين وتعقيداتهما.

أرجو أن أكون قد اقتربت من القارئ الكريم وقربت له البعيد وسهلت له الصعب ووضعت بين يديه طبقاً شهياً لا يمل منه، بل يشتهيهِ في كل حين.

ليت!



الضوء الأول

بدايات الدعوة الإسلامية

قال أبو طالب يذكر ما اجتمعت عليه قريش من حربه لما قام بنصرة محمد
صلى الله عليه وآله وسلّم (٥٥/١٤):

والله لن يصلوا إليك بجمعهم
حتى أوسدَّ في التراب دفيناً
فأنفذ لأمرك ما عليك مخافة
وأبشر وقرَّ بذاك منه عيوننا
ودعوتني وزعمت أنك ناصحي
ولقد صدقت وكنت قبل أميننا
وعرضت ديناً قد علمت بأنه
من خير أديان البرية ديناً

ولما تخلف أبو لهب عن نصرة محمد صلى الله عليه وآله وسلّم كان أبو
طالب يرسل إليه الأشعار ويناشده النصر، منها القطعة التي أولها (٥٦/١٤):

حديثٌ عن أبي لهب أتانا
وكانفة على ذاكم رجالاتنا
وأظننت أنني قد خذلت وغالني
ومنها القطعة التي أولها (٥٦/١٤):
منك الغوائل بعد شيب المكبر
ومنها القطعة التي أولها (٥٦/٤):
تستعرض الأقوام توسعهم
عذراً وما إن قلت من عذر

وعندما استجار أبو سلمة بن عبد الأسد المخزومي بعبد المطلب من قومه، وهو ابن أخته، فأجاره وتوثب قومه على أبي طالب لأخذه منه قام أبو لهب ومنعهم وهددهم إن لم يمتنعوا أنظم إلى محمد صلى الله عليه وآله وسلّم فانصرفوا فطمع فيه أبو طالب حين سمعه قال ما قال، فقال يجرضه على نصره محمد صلى الله عليه وآله وسلّم (٥٧/١٤):

وإن امرأً أبو عتيبة عمّه	لضي معزل من أن يسام المظالم
وتقبلن الدهر ما عشت خطّة	تُسب به إما هبطت المواسم
أقول له وأين منه نصيحتي	ثبّتت سوادك قائمًا
وولّ سبيل العجز غيرك منهم	فأنك لم تخلق على العجز لازمًا
فحارب فان الحرب نصف ولن ترى	أخا الحرب يعطي الخسف حتى يسالمًا
كذبتم وبيت الله نبزي محمداً	ولما تروا يوماً من الشعب قائمًا

وقال يخاطب أبا لهب أيضاً (٥٧/١٤-٥٨):

عجبت لحلم يا ابن شيبة عازب	وأحلام أقوامٍ لديك سخاف
يقولون شايع من أراد محمداً	بظلم وقم في أمره بخلاف
أضاميم أما حاسد ذو ضيانه	وأما قريب عنك غير مصاف
فلا تركبن الدهر منه ذمامة	وأنت أمرؤ من خير عبد مناف
ولا تتركه ما حييت لمعظم	وكن رجلاً ذا نجدة وعفاف
يذود العدا عن ذروة هاشمية	إلا فهُم في الناس خير إيلاف

فإن له قريبي لديك قريبة
ولكنه من هاشم ذي صميمها
وزاحم جميع الناس عنه وكن له
وإن غضبت منه قريش فقل لها
وما بالكم تخشون منه ظلامه
فما قومنا بالقوم يخشون ظلمنا
ولكننا أهل الحفائظ والنهي
وليس بذي حلفٍ ولا بخصاف
إلى أبحر فوق البحور طواف
وزيراً على الأعداء غير مجاف
بني عمنا ما قومكم بضعاف
وما بال أحقاد هناك خواف
وما نحن فيما ساءهم بخصاف
وعز ببطحاء المشاعر واف

ولكن أبا لهب لم يعر أبا طالب أذنأ فسدر في غيّه فتبت يداه.

وقال أبو طالب يذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم وقيامه دونه

: (٦١/١٤)

أرقت وقد تصوبت النجوم
لظلم عشيرة ظلموا وعقوا
هم أنتهكوا المحارم من أخيهم
وراموا خطئة جوراً وظلما
لتخرج هاشماً فتكون منها
فمهلاً قومنا لا تركبوننا
فيندم بعضكم ويذلُّ بعض
أرادوا قتل أحمد زاعميه
وبت ولا تسالمك الهموم
وغب عقوقهم لهم وضميم
وكل فعالهم دنس ذميم
وبعض القول ذو جنف مليم
بلاقع بطن مكة فالحطيم
بمظلمة لها خطب جسيم
وليس بمفلح أبداً ظلوم
وليس بقتله منهم زعيم

هم العرنين والعضو الصميم

خوف الحديث، ضعيف السبب
بصدقٍ ولم يأتهم بالكذب
وكعبة مكة ذات الحجب
ظبات الرماح وحدَّ القضب
صدور العوالي وخيالاً شُزب
قصير الحزام طويل اللبب
هم الأنجبون مع المنتجب

ودون محمدٍ مني ندي

ومن ذلك قوله (٦٢-٦١/١٤):

وقالوا لأحمد أنت أمرؤ
وإن كان أحمد قد جاءهم
فأنا ومن حج من راكب
تالون أحمد أو تصطلوا
ونغترفوا بين أبياتكم
تراهن من بين ضايء السبيب
عليها صناديد من هاشم

ومن شعر أبي طالب قوله (٦٣-٦٢/١٤):

بحقٍ وما تغني رسالة مرسل
وإخواننا من عبد شمس ونوفل
وأمرأ غويأ من غواة وجهل
أقرت نواحي هاشم بالتذلل
بمكة والبيت العتيق المقبل
صوارم تغري كل عضو ومفصل
نجيل تمام أو بآخر معجل
على ربوة في رأس عنقاء عيطل

ألا أبلغا عني لويأ رسالة
بني عمنا الأدنين فيما يخصهم
أظاهرتهم قومأ علينا سفاهة
يقولون لو إنا قتلنا محمداً
كذبتهم ورب الهدى ترمى نحوره
تالونيه، أوتصطلوا دون نيله
فمهلاً ولما تتج الحرب بكرها
وتلقوا ربيع الأبطحين محمداً

وتأوي إليه هاشم أن هاشماً
فأن كنتم ترجون قتل محمدٍ
فأننا سنحمله بكل طمرةٍ
وكل رديني ظمء كعوبه
عرايين كعب آخر بعد أول
فروموا بما جمعتم قتل يذبل
وذي مبعثة نهذا المراكل هيكل
وعضب كأيماض الغمامة مفصل
وقال علي بن يحيى البطريق (رحمه الله) لولا خاصة النبوة وسرها لما كان
مثل أبي طالب يمدح ابن أخيه محمداً، وهو شاب قد ربي في حجره، وهو يتيمه
ومكفوله، وجار مجرى أولاده بمثل قوله (٦٣/١٤):

وأبيض يستسقي الغمام بوجهه
يطيف به الهلاك من آل هاشم
ثمال اليتامى عصمة للأرامل
فهم عنده في نعمة وفواضل
ومن فرط حب أبي طالب محمداً صلى الله عليه وآله وسلم كان يخاف عليه
البيات إذا عرف مضجعه يقيمه ليلاً من منامه، ويضع ابنه علياً مكانه، فقال له
علي ليلة:

يا أبت، إني مقتول، فقال له (٦٤/١٤):

اصبرن يا بني فالصبر أهجى
قدر الله والبلاء شديد
لفداء الأغرذي الحب الثا
إن تصبك المنون فالنبل تبرى
كل حي وأن تملأى بعمري
كل حي مصيره لشعوب
لفداء الحبيب وابن الحبيب
قب والباع والكريم النجيب
فمصيب منها وغير مصيب
أخذ من مذاقها بنصيب

فأجابه علي عليه السلام فقال له (٦٤/١٤) :

أتأمرني بالصبر في نصر أحمدٍ وتعلم أنني لم أزل لك طائعاً

سألقي لوجه الله في نصر أحمد نبي الهدى المحمود طفلاً ويافعاً

وأشعار أبي طالب كانت تدل على أنه كان مسلماً، ولا فرق بين الكلام

المنظوم والمنثور إذا نظمنا إقراراً بالإسلام فمن ذلك أقوله (٧٢-٧١/١٤) :

يرجّون منا خطة دون نيلها ضراب وطعن بالوشيح المقوم

كذبتهم وبيت الله حتى تفلّخوا جماجم تلقى بالحطيم وزمزم

وتقطع أرحام وتتسى حليّة حليلاً، ويغشى محرم بعد محرم

على ما مضى من مقتكم وعقوقكم وغشيينكم في أمركم كل مآثم

وظلم نبي جاء يدعوا إلى الهدى وأمر أتى من عند ذي العرش قيمٌ

فلا تحسبونا مسلميه فمثله إذا كان في قوم فليس بمسلم

ومن شعر أبي طالب في أمر الصحيفة التي كتبتها قريش قي قطيعة بني

هاشم، وعلقتها على الكعبة قوله (٧٢/١٤) :

ألا أبلغا عني على ذات بينها لؤيًّا وخصا من لؤي بني كعب

ألم تعلموا أنّا وجدنا محمداً رسولاً كموسى خط في أول الكتب

وأن عليه في العباد محبةً ولا حيف فيمن خصه الله بالحب

وأن الذي رقتتم في كتابكم يكون لكم يوماً كراغية السقم

أفيقوا أفيقوا قبل أن تحضر الزبي ويصبح من لم يجن ذنباً كذي ذنب

وأواصرنا بعد المودة والقرب
أمر على من ذاقه حلب الحرب
لِعِزَاءٍ من عضن الزمان ولا كرب
وأيدٍ أثرتْ بالمهندةِ الشهب
به والضباع العرج تعكف كالشرب
وغمغمة الأبطال معركة الحرب
وأوصى بنيه بالطعان وبالضرب
ولا نشتكى مما ينوب عن النكب
إذا طار أرواح الكمأة من الرعب

ولا تتبعوا أمر الغوات الأشائم
أمانيكم هذي كأحلام نائم
ولما تروا قطع اللحى والجماجم
ولما نقاذف دونه ونزاحم
تمكن في الفرعين من آل هاشم
بخاتم رب قاهر في الخواتم
وما جاهل في قومه مثل عالم
ومن قال لا يقرع بها سن نادم

ولا تتبعوا أمر الغوات وتقطعوا
وتستجلبوا حرباً عواناً وربما
فلسنا وبيت الله نسلم أحمداً
ولما تبين منا ومنكم سوائف
بمعترك ضيِّق تربي قِصْدَ القنا
كأن مجال الخيل في حجراته
أليس أبونا هاشم شد أزره
ولسنا نملَّ الحرب حتى تملَّنا
ولكننا أهل الحفائظ والنهي
ومن ذلك قوله (٧٣/١٤):

فلا تسفوها أحلامكم في محمدٍ
تمنيتم أن تقتلوه وإنما
وإنكم واللَّه لا تقتلونــه
زعمتم بأننا مسلمون محمداً
من القوم مفضل أبيّ على العدى
أمين حبيب في العباد مسوم
يرى الناس برهاناً عليه وهيبة
نبي أتاه الوحي من عند ربه

ومن ذلك قوله - وقد غضب لعثمان بن مظعون الجمحي، حين عذبتة

قريش ونالت منه (٧٤-٧٣/١٤) :

أصبحت مكتئباً تبكي كمحزون

أمن تذكر دهرٍ غير مأمون

يفشون بالظلم من يدعو إلى الدين

أم من تذكر أقوام ذوي سفهٍ

إننا غضبنا لعثمان بن مظعون

ألا يبرون - إذن الله جمعهم

بكل مطردٍ في الكف مسنون

ونمنع الضيم أن يبغي مضامتنا

يشفى بها الداء من هام المجانين

ومرهفات كأن اللع خالطها

بعد الصعوبة بالأسماع واللين

حتى تغرَّ رجال لا حلوم لها

على نبي كموسى أو كذي النون

أو تؤمنوا بكتاب منزل عجب

كما تبين في آيات ياسين

يأتي بأمر جلي غير ذي عوج

وقد جاء في الخبر أن أبا جهل بن هشام جاء مرة إلى الرسول صلى الله عليه

وآله وسلّم وهو ساجد ويده حجر يريد أن يرضخ به رأسه، فلصق الحجر بكفه

فلم يستطيع ما أراد فقال أبو طالب في ذلك في جملة أبيات (٧٤/١٤) :

عن الغي من بعد ذا المنطق

أفبقوا بني عمنا وانتهوا

بوائق في داركم تلتقي

وإلا فأنى - إذن - خائف

ورب المغارب والمشرق

تكونوا لغيركم عبرة

ثمود وعاد وماذا بقي

كما ذاق من كان من قبلكم

ومنها :

وأعجب من ذلك في أمركم
بكف الذي قام من حينه
فأثبتته الله في كفه
عجائب في الحجر المصق
إلى الصابر الصادق المتقي
على رغمه الخائن الأحمق

وقد اشتهر عن عبد الله المأمون (رحمه الله) أنه كان يقول أسلم أبو طالب -

والله - بقوله :

نصرت الرسول رسول المليك
أذب وأحمي رسول الإله
ومأ أن أدب لأعدائمه
ولكن أذير لهم سامياً
بييض تلالا كلمع البروق
حماية حامٍ عليه شفيق
دييب البكار حذار الفنيق
كما زار ليث بغيل مضيق

وقد جاء في السيرة أن عمرو بن العاص لما خرج إلى بلاد الحبشة ليكيد

جعفر بن أبي طالب وأصحابه عند النجاشي قال :

تقول ابنتي أين أين الرحيل
فقلت: دعيني فإني امرؤ
لاكوية عنده كيئة
ولن أنثني عن بني هاشم
وعن عائب اللات في قوله
وإنني لأثني قريشاً له
وما البين مني بمستتكر
أريد النجاشي في جعفر
أقيم بها غوة الأصعر
بما اسطعت في الغيب والمحضر
ولولا رضى اللات لم تمطر
وإن كان كالذهب الأحمر

الله عليه وسلّم بمكة يقول له :

- والله أني لأشئوك.

وفيه انزل: " أن شئتك هو الأبتتر".

فكتب أبو طالب إلى النجاشي شعراً يجرضه فيه على إكرام جعفر وأصحابه
والإعراض عما يقوله عمرو وفيه وفيهم، من جملة (٧٥/١٤):

ألا ليت شعري كيف في النار جعفر وعمرو وأعداء النبي الأقارب

وهل نال إحسان النجاشي جعفرأ وأصحابه أم عاق عن ذاك شاغب

وروي عن علي عليه السلام أنه قال:

قال لي أبي: يا بني الزم ابن عمك، فإنك تسلم من كل بأس عاجل أو

آجل.

ثم قال (٧٥/١٤):

إن الوثيقة في لزوم محمدٍ فاشدّد بصحبته على أيديكا

ومن شعره المناسب لهذا المعنى (٧٦/١٤):

إن علياً وجعفرأ ثقّتي عند ملّم الزمان والنُوب

لا تخذلا وانصرا ابن عمكما أخي لأمي من بينهم وأبي

والله لا أخذل النبي ولا يخذله من بنيّ ذو حسب

ومن شعر أبي طالب يخاطب أخاه حمزة، وكان يكنى أبا يعلى (٧٧/١٤):

فضبرأ أبا يعلى على دين أحمدٍ وكن مظهرأ للدين وفقت صابرا

وحط من أتى بالحق من عند ربه بصدق وحزم لا تكن حمز كافرا

فكن لرسول الله في الله ناصراً
جهاراً وقل ما كان أحمد كافراً

قـرّم أعمز مسود
طابوا وطاب المولد
عمرو الخضم الأوحـد
ن وعيش مكة أنكـد
فيها الخبيزة تشرد
ج بها يحاث العنجد
عرفاتها والمسجد
وأنا الشجاع العريد
فيها نجيع أسود
أسد العرين توقد
في القبول لا تتزيد
ب وأنت طفل أمرد

ومن شعره المشهور أيضاً قوله يخاطب محمداً، ويسكن جأشه ويأمر بإظهار

أيدي تصول ولا سلق بأصوات

فقد سرنى إذ قلت أنك مؤمن
وباد قريشاً بالذي قد أتيته

ومن شعره المشهور (٧٧/١٤):

أنت النبي محمد
لمسودين أكرام
نعم الأرومة أصلها
هشم الربيكة في الجفـا
فجرت بذلك سنّة
ولنا السقاية للحجـي
والمأزمان وما حوت
أنى تضام ولم أمت
وبطاح مكة لا يرى
وبنو أبيك كأنهم
ولقد عهدتك صادقاً
ما زلت تتطق بالصوا

الدعوة (٧٧-٧٨/١٤):

لا يمنعنك من حق تقوم به

فإن كضك كفي إن بليت بهم ودون نفسك نفسي في الملمات

ومن ذلك قوله، ويقال أنها لطالب بن أبي طالب (٧٨/١٤) :

إذا قيل من خير الورى قبيلاً وأكرمهم أسرة

أناف لعبد مناف أب أناف له هاشم الغرة

لقد حل مجد بني هاشم مكان الذمائم والنرة

وخير بني هاشم أحمد رسول الإله على فترة

ومن ذلك قوله (٧٨/١٤) :

لقد أكرم الله النبي محمداً فأكرم خلق الله في الناس أحمد

وشق له من اسمه ليجلّه فذو العرش محمود وهذا محمد

وقوله أيضاً، وقد يروى لعلي عليه السلام (٧٨/١٤) :

يا شاهد الله عليّ فاشهد أني على دين النبي أحمد

من ضل في الدين فأنى مهتدي

وقوله من قصيدة طويلة (٧٩/١٤) :

أعوذ برب البيت من كل طاعنٍ علينا بسوءٍ أو يلوح بباطل

ومن فاجرٍ يفتنا بنا بمغيبية ومن ملحقٍ بالدين ما لم نحاول

كذبتهم وبيت الله ييذى محمدٌ ولما نطاعن دونه وتناضل

وتنصره حتى نُصرع دونه ونذهل عن أبنائنا والحلائل

وحتى نرى ذا الردع يركب روعه من الطعن فعل النكب المتحامل

نهوض الروايا تحت ذات الصلاصل
لتلتبسن أسيافنا بالأمانل
أخي ثقة عند الحفيضة باسل
يحوط الذمار غير نكس مواكل
ثمال اليتامى عصمة للأرامل
فهم عنده في نعمةٍ وفواضل
ووزان صدق وزنه غير عائل
لدينا ولا يعبا بقول إلا باطل
وأحبيته حب الحبيب المواصل
ودافعت عنه بالذرى والكواهل
وشيناً لمن عادى وزين المحافل
وأظهر ديناً حقه غير باطل

وينهض قوم في الحديث إليكم
وأنا وبيت الله من جدّ جدنا
بكل فتى مثل الشهاب سميديع
وما ترك قوم لا أبالك سيداً
وأبيض يستسقي الغمام بوجهه
يلوذ به الهلاك من آل هاشم
وميزان صدق لا يخيس شعيرة
ألم تعلموا أن ابننا لا مكذب
لعمري لقد كلّفت وهداً بأحمد
وجُدتُ بنفسي دونه فحميته
فلا زال للدينا جمالاً لأهلها
وايده رب العباد بنصره

وقد روي أن أعرابياً جاء إلى الرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في عام

جذب فقال :

أتيناك يا رسول الله ولم يبق لنا صبي يرتضع ولا شارفٌ يجتر ثم أنشده

(٨١-٨٠/١٤) :

وقد شغلت أم الرضيع عن الطفل
من الجوع حتى ما يمرُّ ولا يحلي

أتيناك والعذراء تدمي لبانها
وألقى بكفيه الفتى لاستكانةٍ

ولا شيء مما يأكل الناس عندنا سوى الحنظل العامي والعلهز الفسل
وليس لنا إلا إليك فرارنا وأين فرار الناس إلا إلى الرسل
فقام النبي صلى الله عليه وآله وسلّم يجرد رداءه حتى صعد المنبر، فحمد الله
وأثنى عليه وقال :

((اللهم اسقنا غيثاً مغيثاً، مريئاً هنيئاً، مريعاً سحاً سجالاً، عذقاً طبقاً
قارباً دائماً درأً تحيي به الأرض، وتنبت به الزرع، وتدر به الضرع، وأجعله سقياً
نافعاً عاجلاً غير راثث، فوالله ما رد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم يده إلى
نحره حتى ألقى السماء أوراقها، وجاء الناس يضحجون :

العذق العذق يا رسول الله!

فقال :

- اللهم حوالينا ولا علينا.

- فانجاب السحاب عن المدينة حتى استدار حولها كالإكليل، فضحك

رسول الله حتى بدت نواجذه ثم قال.

- لله در أبي طالب! لو كان حياً لغرت عينه، من ينشدنا قوله؟

فقام عليّ فقال :

- يا رسول الله لعلك أردت :

وابيض يستسقي الغمام بوجهه.

قال :

- أجل.

فأنشد أبياتاً من هذه القصيدة ورسول الله يستغفر لأبي طالب على المنبر.

ثم قام رجل من كنانة، فأنشده (٨١/١٤) :

لك الحمد والحمد ممن شكر	سقيننا بوجه النبي المطر
دعا الله خالقه دعوة	إليه، وأشخص منه البصر
فما كان إلا كما ساعة	أو اقصر حتى رأينا الدرر
دقاق العزالي وجم البعاق	أغاث به الله عليا مضر
فكان كما قاله عمّه	أبو طالب ذو رواءٍ غرر
به يسّر الله صوب الغمام	فهذا العيان وذاك الخير
فمن يشكر الله يلق المزيد	ومن يكفر الله يلق الغير

فقال رسول الله :

- إن يكن شاعراً أحسن.

وكتب بن أبي الحديد على ظهر كتاب أهدي إليه وطلب منه تقيظه،

والكتاب عن إسلام أبي طالب، كتب عليه هذه الأبيات (٨٤-٨٣/١٤) :

ولولا أبو طالب وابنه	لما مثل الدين شخصاً فقاما
فذاك بمكة آوى فحامي	وهذا بيثرب جس الحماما
تكفل عبد منافٍ بأمرٍ	وآوى فكان على تماما
فقل في ثبير قضى بعدما	قضى ما قضاه وأبقى شماما

فلله ذو فاتحاً للهدى ولله ذا للمعالي ختاماً
وما ضرَّ مجدَّ أبي طالب جهول لغا أو بصير تعامى
كما لا يضرَّ أياه الصبا ح من ظن ضوء النهار ظلاماً

وقال أبو طالب لمطعم بن عدي بن نوفل في أمر النبي صلى الله عليه وآله
وسلم لما تمَّ الأت قريش عليه (٢٨٤/١٥) :

جزى الله عنا عبد شمس ونوفلاً جزاء مسيء عاجلاً غير آجل
أمطعم أما سامني القوم خطئةً فإني متى أوكل فلست بأكمل
أمطعم لم أخذلك في يوم شدةٍ ولا مشهد عند الأمور الجلائل

ووفد الجارود على النبي صلى الله عليه وآله وسلم في سنة تسع، وقيل في
سنة عشر... وكان نصرانياً فأسلم وحسن إسلامه فقال (٥٥/١٨) :

شهدت بأن الله حق وسامحت بنات فؤادي بالشهادة والنهض
فأبلغ رسول الله مني رسالةً فإني حنيف حيث كنت من الأرض

ولقوله عليه السلام من كتاب له إلى معاوية جواباً على كتابه (٢٥١/١٧) :

((وقريب ما أشبهت من أعمام وأخوال؟ حماهم الشقاوة وتمني الباطل، على
الجحود بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم فصرعوا مصارعهم حيث علمت، لم
يدافعوا عظيماً ولم يمنعوا حريصاً، بوقع سيوف ما خلا منها الوغى، ولم تماشها
الهويني)) استشهد بالرواية التي تقول (٢٥٨/١٧) :

بعد صلح الحديبية قال أنس بن زعيم الدؤلي /من بني كنانة/ يهجو محمداً

صلى الله عليه وآله وسلم فضربه غلام من خزاعة فعملوا منهم عشرين رجلاً، فشخص قوم من خزاعة إلى المدينة مستصرخين برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فدخلوا عليه وهو في المسجد فقام عمرو بن سالم الخزاعي فأنشد: -

لاهُمَّ أَنِّي نَاشِدُ مُحَمَّدًا خَلَفَ أَبِينَا وَأَبِيهِ الْأَتْلِدَا
لَكُنْتَ وَالِدًا وَكُنَّا وَلِدَا نَمَّتْ أَسْلَمْنَا وَلَمْ نَنْزِعْ يَدَا
أَنْ قَرِيشًا أَخْلَفُوكَ الْمَوْعِدَا وَنَقَضُوا مِيثَاقَكَ الْمُؤَكَّدَا
هَمْ بِيْتُونَا بِالْوَتِيرِ هَجَّدَا نَتَلُوا الْقُرْآنَ رُكْعًا وَسُجَّدَا
وَزَعَمُوا أَنْ لَسْتَ تَدْعُو أَحَدَا وَهَمْ أَذَلُّ وَأَقْلَبُ عُدَدَا
فَأَنْصُرْ هَذَاكَ اللَّهُ نَصْرًا أُيِّدَا وَأَدْعُ عِبَادَ اللَّهِ يَأْتُوا مَدَدَا
فِي فَيْلِقِ كَالْبَحْرِ يَجْرِي مَزِيدَا فِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ قَدْ تَجَرَّدَا

❖ قوم لقوم من قروم أصيدا ❖

وبالرواية التي تقول (٢٦٧/١٧):

((عندما خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من المدينة إلى مكة عام الفتح جاء كعب بن مالك ليعلم أي جهة يقصد؟ فبرك بين يديه على ركبتيه ثم أنشد:

قَضِينَا مِنْ تَهَامَةِ كُلِّ نَحْبٍ وَخَيْبَرِ ثُمَّ أَحْمِينَا السِّيُوفَا
فَسَائِلُهَا فَلَوْ نَطَقَتْ لِقَالَتْ قَوَاضٍ بَيْنَ دُوسًا أَوْ ثَقِيفَا
فَلَسْتَ بِحَاضِرٍ إِنْ لَمْ تَرُدْهَا بِسَاحَةِ دَارِكُمْ مِنْهَا أَلُوفَا

فننتزع الخيام ببطن وجّ ونترك دوركم منها حلّوفاً

وبالرواية التي تقول (٢٧٤/١٧):

((عندما دخلت جيوش المسلمين مكة / عام الفتح / وجعلت الخيل تعج بذي

طوى كل وجه، ثم ثابت وسكنت، والتفت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم

إلى أسيد بن حضير فقال: كيف قال حسان بن ثابت؟

فأنشده:

عدمنا خيلنا أن لم تردها تثير النقع موعدها كداء

تظلل جيا دننا متمطراتٍ تُلطمهُنَّ بالخُمُرِ النساءُ

وبالرواية التي تقول (٢٧٦/١٧):

((لما دخل جيش الرسول مكة / في عام الفتح / قاتل من قاتل وانهمزم من

انهمزم ومن انهمزوا حماس بن خالد الدؤلي حتى أتى بيته وأغلق الباب خلفه، ولما

صارت أمراته تلومه وتسخر منه قال لها منشداً:

إنك لو شهدتنا بالخدمة إذ فرّ صفوان وفرّ عكرمة

وبويزيد كالعجوز المؤتمّة وضرينا هم بالسيفوف المسلمة

يقطعن كل ساعد وجمجمة ضرباً فلا يسمع إلا غمغمة

لهم زئير خلفنا وحمجمة لم تتطقي في اللوم أدنى كلمة

وبالرواية التي تقول (٢٨٢-٢٨٣/١٧):

كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم قد هدر دم أنس بن زُنيَم لأنه

هجاه بعد صلح الحديبية وقبل أن يفتح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مكة، قال شعراً يعتذر فيه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فعفا عنه. ومما قال أنس بن زُنيَم :

(و) أنت الذي تُهدي مُعدُّ بأمره
فما حملت من ناقة فوق كُورها
أحث على خير وأوسع نائلاً
وأكسُ لبرِّ الخال قبل ارتدائه
تعلم رسول الله أنك مدركي
تعلم رسول الله أنك قادر
ونبيُّ رسول الله أني هجوته
سوى أنني قد قلت يا ويح فتية
أصابهم من لم يكن لدمائهم
ذُوبياً وكُلثوماً وسلمى تتابعوا
على أن سلمى ليس منهم كمثلُه
فإني لا عرضاً خرقت ولا دماً

بك الله يهديها وقال لها أرشدي
أبرَّ وأوفى ذمة من محمد
إذا راح يهتزاز اهتزاز المهند
وأعطى لرأس السابق المتجرد
وأن وعيداً منك كالأخذ باليد
على كل حي من تهام ومنجد
فلا رفعت سوطي إليَّ يدي
أصيبوا بنحس يوم طلق وأسعد
كفاء فعزت عبرتي وتلدي
جميعاً فالأ تدمع العين أكمد
وأخوته وهل ملوك كأعبد؟
هرقت ففكر عالم الحق وأقصد

ويقول عبد الله بن الزعبري الذي اعتذر به إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حين قدم عليه (١٧/١٨) :

منع الرقباد بلابل وهموم
فالليل ممتد الرواق بهيم

فيه، فبت كأنني محموم
 عيرانة سرح اليدين سعووم
 أسديت إذ أنا في الضلال أهيم
 سهم، وتأمرنى به مخزوم
 أمر الغوات وأمرهم مشؤوم
 قلبي، ومخطئ هذه محروم
 ودعت أواصل بيننا وحلوم
 زللي، فأنك راحم مرحوم
 نور أغر وخاتم مختوم
 شرفاً وبرهان الإله عظيم
 برُّ وشأنك في العباد جسيم
 متقبّل في الصالحين كريم
 دوح تمكّن في العالا وأروم
 طواني، وأخرى النجم لما تفحم

مما أتاني أن أحمد لامني
 يا خير من حملت على أوصالها
 إنني لمعتذر إليك من الذي
 أيان تأمرني بأغوى خطة
 وأمد أسباب الروى ويقودني
 فالיום آمن بالنبي محمد
 مضت العداوة وانقضت أسبابها
 فاغفر فدى لك والديّ كلاهما
 وعليك من علم المليك علامة
 أعطاك بعد محبة برهانه
 ولقد شهدت بأن دينك صادق
 واللّه يشهد أن أحمد مصطفى
 فرع علاه بنانه من هاشم
 ألا من لهم آخر الليل معتم



الضوء الثاني

بيعة السقيفة

من خطبة له عليه السلام هي الخطبة المعروفة بـ (الشقشقية) قوله :
 ((أما والله لقد تقمصها ابن أبي قحافة وأنه ليعلم أن محلي منها محل القطب
 من الرحي؛ ينحدر عني السيل، ولا يرقى إليّ الطير، فسدلت دونها ثوباً، وطويت
 عنها كشحاً، وطفقت أرئي أن أصول بيد حذاء، أو أصبر على طخية عمياء، يهرم
 فيها الكبير، ويشيب فيها الصغير، ويكدح فيها مؤمن حتى يلقي ربه؛ فرأيت أن أصبر
 على هاتا أحجن، فصبرت وفي العين قذى، وفي الحلق شجا، أرى تراثي نهباً)).
 فلقوله : "لقد تقمصها" استشهد ابن أبي الحديد بقول حاتم (١٥١/١) -
 : (١٥٤)

أماوي ما يغني الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر
 وقول النابغة :

تسربل سربالاً من النصر وارتدى عليه بغضب في الكريهة قاصر
 ولقوله عليه السلام : "ينحدر عني السيل" استشهد بقول الهذلي :

وعيطاء يكثر فيها الذليل وينحدر السيل عنها انحدارا

ولقوله عليه السلام ((ولا يرقى إليَّ الطير)) استشهد بقول المتنبى :

فوق السماء وفوق ما طلبوا فإذا أرادوا غايَةَ نزلوا

وقول حبيب :

مكارم سجّت في علوِّ كأنما تحاول ثأراً عند بعض الكواكب

ولقوله عليه السلام " أن محلي منها محل القطب من الرحا "

استشهد بقول جرير بن عطية :

على قلاص ومثل خيطان السلم قد طويت بطونها على الأدم

بعد انفضاج البدن واللحم الزيم إذا قطعن علماً بدا علم

فهن بحثاً كمضلات الحذم حتى انخاها إلى باب الحكم

خليفة الحجاج غير المتهم في سرة المجد وبحبوح الكرم

وبقول أمية بن أبي الصلت لعبد الله بن جدعان : -

فحللت منها بالبطحاح وحلّ غيورك بالظواهر

ولما كان الإمام علي عليه السلام وبعض بني هاشم منشغلين بأعداد جهاز

وغسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم بعد أن رحل إلى اللطيف الخبير، قال

العباس للأمام : امدد يدك أبايعك فيقول الناس : عم رسول الله بايع ابن عم

رسول الله، فلا يختلف عليك اثنان فقال له : أيطمع - يا عم - فيها طامع غيري؟

قال : ستعلم.

فلما أن جاءهما الأخبار بان الأنصار أقعدت سعداً لتباعيه، وأن عمراً جاء

بأبي بكر فبايعه، وسبق الأنصار بالبيعة، فأنشد العباس قول دريد (١٦١/١):

أمرتهم أمري بمنعرج اللوى فلم يستبينوا النصح إلا ضحى الغد

ومن لم يبايعوا أبا بكر، سعد بن عبادة، رئيس الخزرج، وهو الذي حاولت الأنصار أقامته في الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يبايع أبا بكر حين بويع، وخرج إلى حوران، فمات بها، وقيل قتلته الجن لأنه بال قائماً في الصحراء ليلاً، ورووا بيتين من شعر، قيل أنهما سمعا ليلة قتله، ولم يرَ قائلهما:

نحن قتلنا سيدها خزرج سعد بن عبادة

ورميناه بسهمين فلم نخطيء فؤاده

ويقول قوم: إن أمير الشام - يومئذ - كمن له من رماة ليلاً، وهو ضاج إلى الصحراء بسهمين، فقتله لخروجه عن طاعة الأمام، وقد قال بعض المتأخرين في ذلك (١١١/١٠):

يقولون سعد شكّت الجن قتله ألا ربما صححت ذينك بالغدر

وما ذنب سعد أنه بال قائماً ولكن سعداً لم يبايع أبا بكر

وقد صبرت من لذة العيش أنفسُ وما صبرت عن لذة النهى والأمر

ولما بايع بشير بن سعد أبا بكر، وأزدحم الناس على أبي بكر فبايعوه، مرَّ أبو سفيان بن حرب بالبيت الذي فيه عليُّ بن أبي طالب عليه السلام فوقف فأنشد:

بني هاشم لا تطمعوا الناس فيكم ولا سيما تيم أبن مرة أو عدي

فما الأمر إلا فيكم واليكم وليس لها إلا أبو حسن علي

أبا حسن فأشدد بها كف حازم فانك بالأمر الذي يرتجى ملي

فلما كان من الغد قام أبو بكر فخطب الناس وبعد انتهائه من خطبته قال

أبن أبي عبرة القريشي (٢٠/٥-٢١) : -

ذهب اللجاح وبويع الصديق

شكر لمن هو بالثناء حقيق

ورجا رجاءً دونه الضيوق

من بعد ما زلت بسعدٍ نعله

فاتاهم الصديق والفاروق

حفت به الأنصار عاصِبَ رأسه

نفس المؤمن للقاء تتوق

وأبو عبيدة والذين اليهم

عمر وأولاهم بذاك عتيق

كنا نقول لها: علي والرضا

أن المنوّه بأسمه الموثوق

فدعت قريش باسمه فأجابها

لم يخطُ مثل خطاهم مخلوق

قل لاولى طلبوا الخلافة زلة

فيها - ورب محمد - معروق

أن الخلافة في قريش ما لكم

وقال أحد ولد أبي لهب بن عبد المطلب بن هاشم شعراً (٢١/٥) : -

عن هاشم ثم منها عن أبي حسن

ما كنت أحسب أن الأمر منصرف

وأعلم الناس بالقرآن والسنن

أليس أول من صلى لقبلكم

جبريل عون له بالغسل والكفن

وأقرب الناس عهداً بالنبى ومن

وليس في القوم ما فيه من الحسن

ما فيه ما فيهم لايمترون به

ها ان ذا غبنا من أعظم الغبن

ماذا الذي ردهم فيه فتعلمه

وخطب خالد بن الوليد، وكان شيعة لأبي بكر، ومن المنحرفين عن علي :

فأشاد بابي بكر فعجب الناس من كلامه، ومدحه حزن بن أبي وهب

المخزومي، وهو جد سعيد بن المسيب الفقيه وقال (٢٢/٥-٢٣) :-

وقامت رجال من قريش كثيرة	فلم يك منهم في الرجال كخالد
ترقى فلم يزلق به صدر نعله	وكفّ فلم يعرض لتلك الأوابد
فجاء بها غراء كالبدر ضوؤها	فَسَيَّحَهَا فِي الْحَسَنِ أَم الْقَلَائِدِ
أخالد لا تعدم لؤي بن غالب	قيامك فيها عند قذف الجلامد
كساک الوليد بن المغيرة مجده	وعلمك الأشياخ ضرب القماصد
تقارع في الإسلام عن صلب دينه	وفي الشرك عن أحساب جد ووالد
وكنيت لمخزوم بن يقظة جنة	يَعُدُّكَ فِيهَا ماجداً وابن ماجد
إذا ما سما في حربها ألف فارسٍ	عدلت بألفٍ عند تلك الشدائد
ومن يك في الحرب المثيرة واحد	فما أنت في الحرب العوان بواحد
إذا ناب أمر في قريش مُخَلَّجٌ	تشيب له رؤس العذارى النواهد
توليت منه ما يخاف وأن تغب	يقولوا جميعاً: حظنا غير شاهد

لما بوبع أبو بكر وأستقر أمره، ندم قوم كثيراً من الأنصار على بيعته، ولام بعضهم بعضاً، وذكروا علي بن أبي طالب عليه السلام وهتفوا باسمه وأنه في داره لم يخرج إليهم، وجزع لذلك المهاجرون وكثر في ذلك الكلام.

وكان اشد قريش نفر فيهم؛ وهم سهيل بن عمرو، أحد بني عامر بن لؤي، والحارث بن هشام، وعكرمة بن جهل المخزوميان، وهؤلاء أشرف قريش الذين

حاربوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم دخلوا الإسلام، وكلهم موتور قد وتره الأنصار.

فلما اعتزلت الأنصار تجمع هؤلاء؛ قام سهيل بن عمرو فخطب في قريش ثم تبعه الحارث بن هشام ثم عكرمة بن جهل ثم أبو سفيان بن حرب وقد أنكر كل الخطباء حق الأنصار وعلي بن أبي طالب عليه السلام بالخلافة. وقال حسان بن ثابت يذكر ذلك (٢٣/٦-٢٥) :-

وتنادى سهيل وأبن حرب وحارث	وعكرمة الثاني لنا أبي جهل
قتلنا أباه وانتزعنا سلاحه	فأصبح في البطحا أذل من النعل
فاما سهيل فاحتواه ابن دخشم	أسيراً ذليلاً لا يمر ولا يحلي
وصخر بن حرب قد قتلنا رجاله	غداة لوا بدر فمرجله يغلي
وراكضنا تحت العجاجة حارث	على ظهر جرداء كباسقة النخل
يقبلها طوراً وطوراً يحشها	ويعدلها بالنفس والمال والأهل
أولئك رهط من قريش تبايعوا	على خطة ليست من الخطط الفضل
وأعجب منهم قابلوا ذاك منهم	كأننا اشتملنا من قريش على دحل
وكلهم ثان عن الحق عطفه	يقولوا: اقتلوا الأنصار يا بئس من فعل
نصرنا وأويننا النبي ولم نخف	صروف الليالي والبلاء على رجل
بذلنا لهم أنصاف مال أكفنا	كقسمة ايسار الجذور من الفضل
ومن بعد ذاك المال أنصاف دورنا	وكننا اناساً لأنعيير بالبخل

ونحمي ذمار الحي وهو ابن مالك
فكان جزاء الفضل منا عليهم
ونوقد نار الحرب بالحطب الجزل
جهالتهم حمقاً وما ذاك بالعدل
فبلغ شعر حسان قريشاً، فغضبوا فأمروا ابن أبي عزة شاعرهم أن يجيئه
فقال (٢٤/٦-٢٥):

معشر الأنصار خافوا ريكم ...
أنني أرهب حرباً لاقحاً
وإستجبروا الله من شر الفتن
يشرق المرضع فيها باللبن
ليت سعد بن عباد لم يكن
جرها سعد وسعد فتنة
بين بصري ذي رعين وجدن
خلف برهوت خفياً شخصه
ما جرى البحر وما دام حضن
ليس ما قدر سعد كائناً
كيف يرجى خير أمر لم يحن
ليس بالقاطع منا شعرة
غير أضغاث أماني الوسن
ليس بالمدرک منها ابداً

ولما اجتمع جمهور الناس لأبي بكر أكرمت قريش معن بن عدي وعويم بن
ساعدة وكان لهما فضل قديم في الإسلام؛ فاجتمعت الأنصار لهما في مجلس
ودعوهما، فلما أحضر أقبلت الأنصار عليهما فعيروهما بانطلاقهما إلى المهاجرين،
وأكبروا فعلهما في ذلك، فتكلم معن وتكلم عويم فأشادا بقريش فوثبت عليهما
الأنصار، فاغلظوا لهما، وفحشوا عليهما، فقال معن في ذلك (٢٧/٦-٢٨):

وقالت لي الأنصار أنك لم تصب
فقلت أما لي في الكلام نصيب؟
فقالوا: بلى قل ما بدا لك راشداً
فقلت: ومثلي بالجواب طيب

تيوساً لها بالحسرتين نيب
 الا كل شيء ما سواء قريب
 وللقلب من قول البلاء وصيب
 ودبوا فسير القاصدين ديب
 لمن بايعوه ترشدوا وتصيبوا
 وما الناس إلا مخطئ ومصيب
 وكنت كأنني يوم ذاك غريب
 فلي فيكم بعد الذنوب ذنوب
 إذا شئت يوماً شاعر وخطيب
 وملح أجاج تارة وشروب
 أفانين شتى والرجال ضروب

تركتكم والله لما رأيتمكم
 تتادون بالأمر الذي النجم دونه
 فقلت لكم قول الشفيق عليكم
 دعوا الركض وأثوا من أعنة بغيكم
 واخلوا قريشاً والأمور وبايعوا
 أراكم أخذتم حركم بأكفكم
 ولما أبيتم زلت عنكم إليهم
 فان كان هذا الأمر ذنبي إليكم
 فلا تبعثوا مني الكلام فأنني
 واني لحلو تعتريني مرارة
 لكل أمريء عندي الذي هو أهله

وقال عويم بن ساعدة في ذلك : -

لمعن، وذاك القول جهل من الجهل
 فأنني أخوكم صاحب الخطر الفصل
 اقطع أنفاس الرجال على مهل
 وأن تنطقوا أصمت مقالتكم تبلى
 وان كنتم مستجمعين على عدلي
 وما عند بر الناس من درج الفضل

وقالت لي الأنصار أضعاف قولهم
 فقلت: دعوني لا أبا لأبيكم
 أنا صاحب القول الذي تعرفونه
 فان تسكتوا سكت وفي الصمت راحة
 وما لمت نفسي في الخلاف عليكم
 أريد بذاك الله لاشيء غيره

وما لي رحمٌ في قريش قريبة
ولكنهم قوم علينا أئمة
وكانوا أحق الناس أن تقنعوا به
لأنني أخف الناس فيما يسركم
ولا دارها داري ولا أصلها أصلي
أدين لهم ما أنفذت قدمي نعلي
ويحتملوا من جاء في قوله مثلي
وفيما بسوء لا أمرٌ ولا أحلي

وقال فروة بن عمرو - وكان ممن تخلف عن بيعة أبي بكر، وكان ممن جاهد مع رسول الله، وكان سيداً وهو من أصحاب علي عليه السلام، ومن شهد معه يوم الجمل، وفي قوله هذا ذكر معناً وعويماً وعاتبهما على قولهما: -

"خلفنا وراءنا قوماً قد حلت دماءهم بفتنتهم" (٢٩/٦) :-

قل لمعنٍ إذا جئتَه
بأن المقال الذي قلتما
مقالكم: أن من خلفنا
حلال الدماء على فتنة
فلا تأخذا قدر أثمانها
لقد كذب الله ما قلتما
وذاك الذي شيخه ساعده
خفيف علينا سوى واحدة
مراض قلوبهم فاسدة
فيا بسما رببت الوالدة
ولم تستفيدا بها فائدة
وقد يكذب الرائد الواعدة

وبعد أن أصلح الأنصار بين هذين الرجلين وبين أصحابهما، اجتمعت جماعة من قريش يوماً وفيهم ناس من الأنصار وأخلاق من المهاجرين، وذلك بعد انصراف الأنصار عن رأيها وسكون الفتنة، فاتفق ذلك عند قدوم عمرو بن العاص من سفر كان فيه، فسمع بأمر السقيفة فألقى فيهم خطبته ذكر فيها فضل

قريش وأحقيتهم بالخلافة، فلم يجبه أحد، وانصرف إلى منزله وقد ظفر، فقال :

ألا قـل لأوسٍ إذا جئتـها	وقـل كلما جئت للخـزرج
تمنيتـم الملك في يثـرب	فأنزلت القـدر لم تتضـج
وأخـرجتم الأمر قبل التـمام	وأعجب بذا المعـجل المحـرج
تريدون نتج الحـيال العـشار	ولم تلقـمـوه فلم يـنتـج
عجبت لسـعد وأصـحابه	ولو لم يهـيجـوه لم يهـتـج
رجا الخـزرجي رجاء السـراب	وقـد يخلف المرء ما يـرتـجـي
فكان كمنـحٍ على كـفـه	بـكـفٍ يـقـطـعها أهـوج

فلما بلغ الأنصار مقالته وشعره، بعثوا إليه لسانهم وشاعرهم النعمان بن عجلان، فأتى عمرواً وهو في جماعة من قريش، فقال :

- أن كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : "الأئمة من قريش" فقال :
 " لو سلك الناس شعباً وسلك الأنصار شعباً، لسلكت شعب الأنصار".

وبعد تذكيره بمواقفه المعادية للإسلام في بدء دعوته أنصرف وقال (٣١/٦) :

فقل لقريش نحن أصحاب مكة	ويوم حنين والفوارس في بدر
وأصحاب أحدٍ والنضير وخيبر	ونحن رجعنا من فريضة بالذكر
ويوم بأرض الشام أدخل جعفر	وزيد وعبد الله في علق يجري
وفي كل يوم ينكر الكلب أهله	فظاعن فيهم بالثقفة السمر
ونضرب في نقع العجاجة رؤوساً	بييض كأمثال البروق إذا تسري

نصرنا وآوينا النبي ولم نخف
 وقلنا لقوم هاجروا قبل: مرحباً
 نقاسمكم أموالنا وبيوتنا
 ونكفيكم الأمر الذي تكرهونه
 وقلتم: حرام نصب سعد ونصبكم
 وأهل أبي بكر بها خير قائم
 وكان هواناً في علي وإنه
 فذاك بعون الله يدعو إلى الهدى
 وصي النبي المصطفى وابن عمّه
 وهذا بحمد الله يهدي من العمى
 نجى رسول الله في الغار وحده
 فلولا اتقاء الله لم تذهبوا بها
 ولم نرض إلا بالرضا ولربما
 صروف الليالي والعظيم من الأمر
 وأهلاً وسهلاً، قد أمنت من الفقر
 كقسمة أيسار الجزور على الشطر
 وكنا أناساً نذهب العسر باليسر
 عتيق بن عثمان - حلال - أبا بكر
 وإن علياً كان أخلق بالأمر
 لأهل لها يا عمرو من حيث لا تدري
 وينهى عن الفحشاء والبغي والنكر
 وقاتل فرسان الضلالة والكفر
 ويفتح آذاناً ثقلن من الوقر
 وصاحبه الصديق في سالف الدهر
 ولكن هذا الخير أجمع للصبر
 ضربنا بأيدينا إلى أسفل القدر

ولما انتهى شعر النعمان وكلامه إلى قريش غضب كثير منها، وألقى ذلك
 قدوم خالد بن سعد بن العاص من اليمن، وكان رسول الله أستعمله عليها،
 فغضب للأنصار وأشاد بدورهم في نصرته الإسلام، وهو الذي امتنع عن بيعة أبي
 بكر وقال: لا أبايع إلا علياً.

ثم قال: -

تفوه عمرو بالذي لا نريده
فان تكن الأنصار زلت فأننا
فلا تقطعن يا عمرو ما كان بيننا
أتسى لهم يا عمرو ما كان منهم
وقسمتت الأموال كاللحم بالمدى
ليالي كل الناس بالكفر جهرة
فأووا وآموا وانتهينا الى المنى
وصرح للأنصار عن شنة البغض
نقييل ولا نجزيهم بالقرض
ولا تحملن يا عمرو بعضاً على بعض
ليالي جئناهم من النفل والفرض
وقسمتت الأوطان كل به يقضي
ثقال، علينا مجمعون على البغض
وقرقرارانا من الأمن والخفض

وقال خزيمه بن ثابت الأنصاري يخاطب قريشاً (٣٤/٦) :

أيال قريش أصلحوا ذات بيننا
فلا خير فيكم بعدنا فارقوا بنا
كلانا على الأعداء كف طويلة
فلا تذكروا ما كان منا ومنكم
وبينكم قد طال حبل التماحك
ولا خير فينا بعد فهر بن مالك
إذا كان يوم فيه جب الحوارك
ففي ذكر ما قد كان مشي التساوك

وقال علي عليه السلام للفضل : -

- يا فضل أنصر الأنصار بلسانك ويدك، فأهم منك وانت منهم.

فقال الفضل (٣٥-٣٤/٦) : -

قلت يا عمرو مقالاً فاحشاً
إنما الأنصار سيف قاطع
وبسيف قاطع يضر بها
أن تعد يا عمرو والله فلك
من تصبه ضبة السيف هلك
وسهام الله في يوم الحلك

منزل رحب ورزق مشترك
بركوا فيها إذا الموت برك

نصروا الدين وأووا أهله
وإذا الحرب تلطفت نارها

فأجابه حسان بن ثابت (٣٥/٦):

أبا حسن عنا ومن كأبي حسن
فصدرك مشروح وقلبك ممتحن
مكانك هيهات الهزال من السمن
بمنزلة الدلو البطين من الرسن
أمات بها التقوى وأحيا بها الإحن
كما كان منهم، والذي كان لم يكن
اليك ومن أولى به منك من دمن!
وأعلم منهم بالكتاب وبالسنن
عظيم علينا ثم بعد على اليمن

جزى الله عنا والجزاء بكفه
سبقت قريشاً بالذي أنت أهله
تمنت رجال من قريش أعزّة
وأنت من الإسلام في كل موطن
غضبت لنا إذ قام عمرو بخطبة
فكنت المرجى من لؤي بن غالب
حفظت رسول الله فينا وعهده
الست أخاه في الهدى ووصيّه
فحكك محفوظاً بنجد وشيمة

وقال الوليد بن عقبة بن أبي معيط - وكان يبغض الأنصار لأنهم أسروا أباه
يوم بدر، وضربوا عنقه بين يدي رسول الله - بعد خطبة شتم فيها الأنصار
(٣٦/٦) :-

ونسبتها في الأزد عمرو بن عامر
على كل بادٍ من معرٍّ وحاضر
بحرمته الأنصار فضل المهاجر

تباذخت الأنصار في الناس بأسمها
وقالوا: لنا حق عظيم ومنّة
فأن يك للأنصار فضل فلم تتل

وأن تكن الأنصار آوت وقاسمت
معايشها من جاء قسمة جازر
فقد أفسدت ما كان منها بمنها
وما ذاك فعل الأكرمين الأكابر
إذا قال حسان وكعب قصيدة
بشتم قريش غُنِيَّت في المعاشر
وسار بها الركبان في كل وجهةٍ
واعمل فيها كل خفٍ وحافر
فهذا لنا من كل صاحب خطبة
يقوم بها منكم ومن كل شاعر
وأهل بأن يُهَجَّو بكل قصيدة
وأهل بان يَرَمَوا بنبل فواقر

ولما أكثر في تخلف علي عليه السلام عن البيعة وأشدت أبو بكر وعمر في ذلك خرجت أم مسطح بن أثاثه، فوقفت عند قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ونادت: يا رسول الله! (٤٣/٦):

قد كان بعدك أنباء وهيمنةٌ
لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب
أنا فقدناك فقد الأرض وابلها
فاختل قومك فأشهدهم ولا تغب

قال أحد الطالبين يذكر غضب فاطمة الزهراء عليها السلام (٤٩/٦ - ٥٠):

يا أبا حفص الهوينا وما كنت
ملياً بذاك لولا الحمام
أتموت البتول غضبي ونرضى
ما كذا يصنع البنون الكرام

على أن المهاجرين لما اجتمعوا على بيعة أبي بكر، أقبل أبو سفيان وهو

يقول: -

أما والله أني عجاجة لا يطفئها إلا الدم؛ يا لعبد مناف، فيم أبو بكر من

أمركم؟ أين المستضعفان؟

ثم قال لعلي عليه السلام: ابسط يدك أبايعك، فوالله أن شئت لأملأها
على أبي فصيل - يعني أبا بكر - خيلاً ورجلاً.

فامتنع عليه علي عليه السلام؛ فلما يئس منه قام عنه وهو ينشد شعر
المسلمين (٢٢١/١-٢٢٢):

ولا يقيم على ضيم يراد به إلا الأذلان عيّر الحى والوتد
هذا على الخسف مربوط برمته وذا يشحُّ فلا يرثي له أحد

ويوم وليّ عمر بن الخطاب قال الإمام علي عليه السلام (١٦٢/١) :-

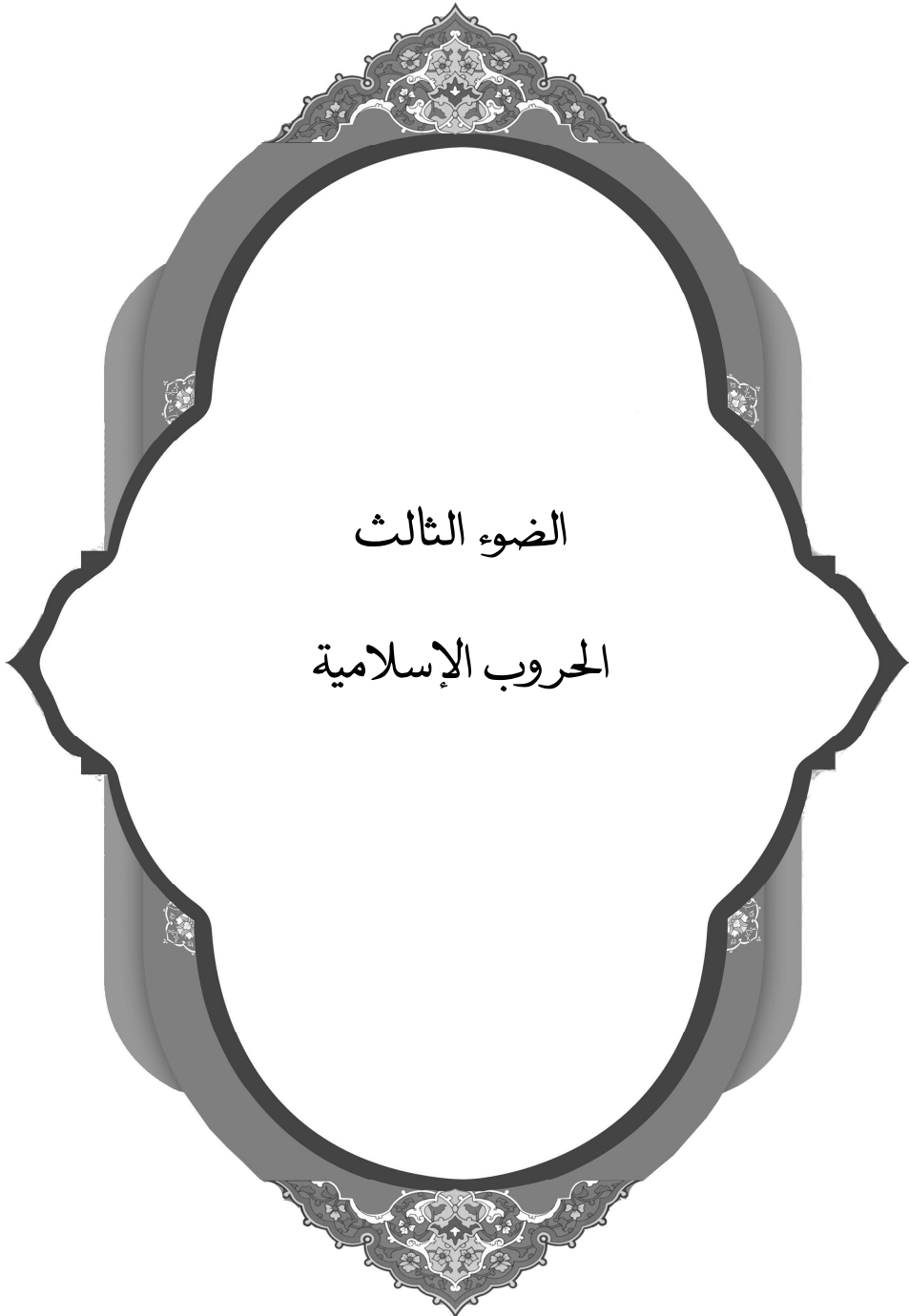
"حتى مضى الأول لسبيله، فأدلى بها إلى ابن الخطاب بعده :

شتان ما يومي على كورها ويوم حيان أخى جابر

فيا عجباً بينا يستقبلها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته يا لشد ما تشطر
ضرعها! فصيرها في الحوزة خشنا يغلظ كلمها، ويخشى مسّها، ويكثر العثار فيها،
والاعتذار منها فصاحبها كراكب الصعبة، أن أشنق لها حزم، وان اسلس لها
تقحم، فمني الناس - لعمر الله - بجنب وشماس وتلون واعتراض، فصبرت على
طول المدة وشدة المحنة"

فقال أحد شعراء الشيعة (١٧١/١) :

حملوها يوم السقيفة أوزا رأ تخف الجبال وهي ثقال
ثم جاؤوا من بعدها يستقبلو ن، وهيئات عثرة أثقال



الضوء الثالث
الحروب الإسلامية

١ - غزوة بدر

بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، إن عير قريش قد فصلت من مكة تريد الشام، وقد جمعت قريش فيها أموالها فندب لها أصحابه، وخرج يعترضها على رأس ستة عشر شهراً من مهاجره عليه السلام، وخرج في خمسين ومئة - ويقال في مئتين - فلم يلق العير، وفاتته ذاهبة إلى الشام... وهذه غزاة ذي العشيرة، رجع منها إلى المدينة فلم يلق حرباً، فلما تحيّن انصراف العير من قافلة ندب أصحابه لها، وبعث طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد بن عمر بن نفيل قبل خروجه من المدينة بعشر ليالٍ يتجسسان خبر العير، ولما راحت العير بيئاتا حتى أصبحا ثم خرجا، وقدا إلى المدينة في اليوم الذي لقي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قريشاً ببدر، فخرجا يعترضان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلقياه بتربان - وتربان بين مكة والسّالة على المحجة وكانت منزل عروة بن أذينة الشاعر وندب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المسلمين، وقال:

- وهذه عير قريش، فيها أموالهم: لعل الله أن يغنمكموها فأسرع من

أسرع، حتى أن كان الرجل ليساهم أباه بالخروج، وأبطأ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى انتهى إلى المكان المعروف بالبُقْع، وهي بيوت السقيا وهي متصلة ببيوت المدينة فضرب عسكره هناك، وعرض المقاتلة، فعرض عليه نفر من أصحابه فردهم، فلما نزل عليه السلام بيوت السقيا أمر أصحابه أن يستقوا من بئرهم: وشرب عليه السلام منها، وكان أول من شرب وصلى عندها، ودعا، يومئذ لأهل المدينة، وقدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمامه بعض أصحابه، فراح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من بيوت السقيا، لاثنتي عشرة ليلة مضت من رمضان، وخرج المسلمون معه ثلاث مئة وخمسة، وتخلف ثمانية، وضرب لهم بسهامهم وأجورهم، واستعمل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قيس بن صعصعة وأمره صلى الله عليه وآله وسلم حين فصل من بيوت السقيا أن يعدّ المسلمين ففعل، وخرج من بيوت السقيا فنزل تحت شجرة، وأصبح يوم الاثنين وهو هناك، ولحقت قريش بالشام في غيرها، واستقسمت عند هبل للخروج، وأقبل أبو سفيان بالعيث، وخاف هو وأصحابه خوفاً شديداً حين دنوا من المدينة، فلما كانت الليلة التي يصبحون فيها على ماء بدر، جعلت العير تقبل بوجوهها إلى ماء بدر، وكان بسيس بن عمرو وعدي بن أبي الزغباء وردا على مجري بدرًا يتجسسان الخبر وعرفا أن عير قريش ستنزل بعد يوم أو يومين فأتيا النبي (صلى الله عليه وآله) فاخبراه الخبر، وأصبح أبو سفيان ببدر، قد تقدم العير وهو خائف الرصد، ولما تأكد أبو سفيان من أن محمداً صلى الله عليه وآله عرف مكائهم بالرصد ضرب وجهه عيره وسار بها نحو الساحل وترك بدرًا يساراً وأنطلق سريعاً،

ولما أفلت أبو سفيان بالعين ورأى أن قد أحرزها وأمن عليها، أرسل إلى قريش يأمرهم بالرجوع، فأبت الرجوع، ولحق الرسول أبا سفيان فاخبره بمضي قريش ولم ترجع، وسار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم حتى أتى الروحاء ليلة الأربعاء للنصف من شهر رمضان؛ فمن يومئذ عقد رسول الله صلى الله عليه وآله الألوية وكانت ثلاثة، وأظهر السلاح، وأستخبر عن قريش فقبل له أنهم بجنب الوادي، فبات الفريقان كل منهم لا يعلم بمنزل صاحبه، إذ تفصل بينهم كئبان، ونزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم وادي بدر عشاء ليلة الجمعة لسبع عشرة مضت من رمضان، ولما أصبحوا قال منبه بن الحجاج، وكان رجلاً يبصر الأثر:

هذا - والله - أثر سمية وابن أم عبد، أعرفهما.

لقد جاء محمد بسفهائنا وسفهاء أهل يثرب.

ثم قال (١٤/٨٤-١١٧):

لم يترك الجوع لنا ميّتا لا بد أن نموت أو نميتا

ولما نزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم على القليب بُني له عريش من جريد، فقام معاذ على باب العريش متوشحاً سيفه، وصف رسول الله صلى الله عليه وآله أصحابه قبل أن تنزل قريش ودفع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم رايته إلى مصعب بن عمير، فتقدم بها إلى الموضع الذي أمره أن يصفها، ووقف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم ينظر إلى الصفوف وخطب فيهم، وبعث من يخبر قريشاً أن يمتنعوا عن القتال فأبوا على لسان أبي جهل،

وخطب عتبة بن ربيعة في قريش دعاهم إلى الامتناع عن الحرب.

ولكن أبا جهل قال :

- إن عتبة يشير عليكم بهذا لأن محمداً ابن عمه وهو يكره أن يقتل أبنه وابن

عمه.

فغضب عتبة وشتم أبا جهل ووصفه بالجبن والإفساد وأنشد (١٤/١١٨ -

: (١٢٥)

هذا هدايَ وأمرت أمري فبشري بالثكل أم عمرو

فذهب أبو جهل إلى عامر بن الحضرمي وحرضه على عتبة وهيج فيه روح الحرب وهكذا حتى تقدم ابن الحضرمي فشد على القوم فنشبت الحرب، فخرج إليه فهجع مولى عمر بن الخطاب، فقتله عامر، وكان أول قتيل قتل من الأنصار حارثة بن سراقة، وقتله حيان بن العرقة، وتبارز القوم، وممن قام من قريش شيبه، فقام إليه عبيدة - وهو يومئذ اسن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم فضرب رجل عبيدة بذباب السيف فاصاب عضلة ساقه، فقطعها، وكر حمزة وعلي علي شيبه فقتلاه، وحملا عبيدة إلى الرسول، فقال عبيدة :

يا رسول الله الست شهيداً؟

قال :

- بلى

قال :

- أو والله لو كان أبو طالب حياً لعلم أني أحق بما قال حين يقول
(١٣٠-١٢٦/١٤):

كذبتهم وبيت الله نخلي محمداً

ولما نطاعن دونه وناضل

ونصره حتى نصرع حوله

ونذهل عن أبنائنا والحلائل

وقد رثت هند بنت عتبة أباهما (١٣١/١٤):

اعينيَّ جوداً بدمع سرب

على خير خندف لم ينقلب

تداعى له رهطه قُصْرَةً

بنو هاشم وبنو المطلب

يذيقونه حرّاً أسيافهم

يعلونه بعد ما قد عُطِب

أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم نهي يوم بدر، عن قتل أبي
البخثري، واسمه الوليد بن هشام بن الحارث بن أسد بن عبد العزى، لأنه كان
أكف الناس عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم بمكة وكان فيمن قام في
نقض الصحيفة التي كتبها قريش على بني هاشم فلقية المجذّر بن زياد البلوي
حليف الأنصار فقال له: -

أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم نمانا عن قتلك.

ومع أبي البخثري زميل له خرج معه من مكة يقال له جنادة بن مليحة ولما
رفض المذر العفو عن زميل أبي البخثري أبي أبو البخثري ترك زميله فنازل المجزر
وأرجز فقال (١٣٤/١٤): -

لن يسلم ابن حرة زميله

حتى يموت أو يرى سبيله

ثم اقتتلا فقتله المجزر.

وارتجز عدي بن أبي الزغباء يوم بدر فقال : -

أنا عدي والسحل أمشي بها مشي الفحل

وكان عقبة بن أبي معيط قال بمكة حين هاجر رسول الله صلى الله عليه وآله

إلى المدينة (١٣٥/١٤) : -

يا راكب الناقة القصواء هاجرنا عما قليل تراني راكب الفرس

أعلُّ رمي فيكم ثم أنهله والسيف يأخذ منكم كل ملتبس

وقد روي أنه لما توجه المشركون الى بدر كان فتيان ممن تخلف عنهم بمكة

سماراً يسمرون بذي طوى في القمر حتى يذهب الليل، يتناشدون الأشعار

ويتحدثون، فبينما هم كذلك إذ سمعوا صوتاً قريباً منهم لا يرون القائل، رافعاً

صوته يتغنى (١٥٠/١٤) :

أزاد الحنيفيون بدرأ مصيبة سينقض منها ركن كسرى وقيصرا

أرانت لها صم الجبال وأفرغت قبائل ما بين الوتير فخيبرا

أجازت جبال الخشبين وجردت حرائر يضرين الترائب حُسرأ

وكان الأسود بن المطلب أصيب له ثلاثة من ولده، زمعة وعقيل والحارث

بن زمعة، فسمع أمة تبكي على بعيرها قد أضلته فقال الأسود (١٥٢/١٤) : -

تبكي أن يضل لها بعير ويمنعها من النوم السهود

فلا تبكي على بكر ولكن على بكر تصاغرت الخدود

فبكيّ أن بكيت على عقيل
فبكيّهم ولا تسمي جميعاً
على بدر سرات بني حُصيص
ألا قد ساد بعدهم رجال
وبكيّ حارثاً أسد الأسود
فما لأبي حكيمة من نديد
ومخزوم ورهط أبي الحديد
ولكن يوم بدر لم يسودوا
وعرضت الأسرى على رسول الله صلى الله عليه وآله فرأى النضير بن
الحارث، فقال:

اضربوا عنقه.

فقال المقداد:

أسيري يا رسول الله!

فقال:

اللهم اغنِ المقداد من فضلك، قم يا علي فاضرب عنقه.

فقام علي عليه السلام فضرب عنقه بالسيف صبراً، وذلك بالأثيل، فقالت
أخته وأسمها قتيله (١٧١/١٤-١٧٢):

ياراكبياً إن الأثيل مَظِنَّةٌ
بَلَّغَ بِهِ مَيْتاً فإِن تَحِيَّةُ
مَنِي إِلَيْهِ وَعَبْرَةٌ مَسْفُوحَةٌ
فَلَيْسَ مَعِنِ النَّضْرُ إِنْ نَادَيْتَهُ
مَنْ صَبَحَ خَامِسَةً وَأَنْتَ مَوْفِقُ
جَادَتِ لِمَائِحِهَا، وَأَخْرَى تَخْنُقُ
أَنْ كَانَ يَسْمَعُ مَيْتَ أَوْ يَنْطِقُ
لِلَّهِ أَرْحَامُ هُنَاكَ تَمْزُقُ

صبراً يقاد الى المدينة راغماً
 رسمف المقيد وهو عان موثق
 أمحمد ولأنت نجل نجيبه
 في قومها، والفحل فحل معرق
 ما كان ضرك لو فنت وربما
 من الفتى وهو المغيظ المحنق
 والنضر أقرب من قتلت وسيلة
 وأحقهم أن كان عتق يعتق
 وروي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلّم لما وصل إليه شعرها رق له،
 وقال :

- لو كنت سمعت شعرها قبل أن أقتله لما قتلته.

ومن أسرى بدر سهيل بن عمر والذي يكنى أبو يزيد وكان يطعم الخبز قال
 فيه أمية بن أبي الصلت الثقفى، وقد رآه مربوط اليدين إلى عنقه (١٤/١٨٧) :

يابا يزيد رأيت سيبك واسعاً وسماء جودك تستهل فتمطر

وقال فيه مالك بن الدخشم، وهو الذي أسره يوم بدر (١٤/١٨٨) :

أسرت سهيلاً فلا أبتغي به غيره من جميع الأمم
 وخندف تعلم أن الفتى سهيلاً فتاهها إذ تظأم
 ضربت بذى الشفر حتى انثنى وأكرهت نفسي على ذى العلم

أي على ذى العلم بسكون اللام، ولكنه حركه للضرورة.

وقال كعب بن الأشرف يرثي قتلى بدر من المشركين (١٤/١٩٧) :

طحننت رحى بدر لمهلك أهله ولمثل بدر يستهل ويُدمع
 قتلت سراة الناس حول حياضة لا تبعدوا أن الملوك تُضرع

ويقوم أقوام أذل بعزهم
 صدقوا فليت الأرض ساعة قتّلوا
 صار الذي اثر الحديد بطعنه
 نبئت أن بني المغيرة كلهم
 وابننا ربيعة عنده ومنية
 نبئت أن الحارث بن همالمهم
 ليزور يثرب بالجموع وإنما
 أنا ابن أشرف ظل كعباً يجزع
 ظلت تشيخ بأهلها وتصدّع
 أو ظل أعمى مرعشاً لا يسمع
 خشعوا لقتل ابن الحكيم وجُدّعوا
 ما نال مثل الهالكين وتبع
 في الناس يبني الصالحات ويجمع
 يسعى إلى الحسب القديم الأروع

وروي أن عمرو بن أبي سفيان أسره علي عليه السلام يوم بدر ولم يفتده أبو
 سفيان وبيننا هو محبوس بالمدينة خرج سعد بن النعمان بن الحلال أخو بني عمرو بن
 عوف معتمراً ومعه امرأة له فغدا عليه أبو سفيان فحبسه بمكة بابنه عمرو بن أبي
 سفيان، وأرسل إلى قوم بالمدينة هذا الشعر (٢٠١/١٤) :

أرهط ابن الحال أجيبوا دعاءه
 فان بني عمرو لثام أذلة
 تعاقدتمو ألا تسلموا السيد الكهلا
 لأن لم يفكوا عن أسيرهم الكبلا
 فذهب قوم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم فطلبوا منه فك عمرو
 ففكه فبعثوا به الى ابي سفيان فخلى عن سعد، وقال حسان بن ثابت يجب أبا
 سفيان (٢٠١/١٤) :

ولو كان سعد يوم مكة مطلقاً
 بعضب حسام أو بصفراء نبعة
 لأكثر فيكم قبل أن يؤسر القتلى
 تحن إذا ما أنبضت تحفز التبلا

ومن أسرى بدر خالد بن الأعمى العقيلي، حليف لبني مخزوم، وهو الذي
يقول (٢٠٣/١٤) :-

ولسنا على الأعقاب تدمى كلومنا ولكن على أقدامنا تقطر الدما

ومن قتلى بدر من المشركين؛ عقبة بن أبي معيط قتله عاصم بن ثابت صبراً
بالسيف بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وأن رسول الله صلى الله عليه
وآله صلبه بعد قتله فكان أول مصلوب في الإسلام. وفيه يقول ضرار بن الخطاب
(٢٠٩/١٤) :-

عين بكى لعقبة بن أبان فرع فهر وفارس الفرسان

٢ - غزوة أحد

لما رجع من حضر من المشركين إلى مكة وجدوا العير التي قدم بها أبو سفيان بن حرب من الشام موقوفة في دار الندوة. . . ومشت أشراف قريش إلى أبي سفيان فقالوا:

- يا أبا سفيان. . . أنظر هذه العير التي قدمت بها فاحتبستها، فقد أنها أموال أهل مكة ولطيمة قريش، وهم طيبوا الأنفس، يجهزون بهذه العير جيشاً كثيفاً إلى محمد صلى الله عليه وآله وسلّم فقد ترى من قتل آباءنا وأبناءنا وعشائنا.
فقال أبو سفيان:

- قد طابت أنفس قريش بذلك؟

قالوا:

- نعم...!

قال:

فأنا أول من أجاب إلى ذلك وبنو عبد مناف معي، فأوالله الموتور والثائر

وقد قتل أبني حنظلة بيدر وأشراف قومي، فلم تزل العير موقوفة حتى تجهزوا للخروج.

فباعوها فصارت ذهباً عينا. فلما أجمعوا على المسير قالوا:

- نسير في العرب فنستنصرهم.

وهكذا ساروا في العرب، فأجمعوا على أن يبعثوا أربعة من قريش في العرب، يدعونهم إلى نصرهم؛ فبعثوا عمرو بن العاص وهبيرة بن وهب الزبيري وأبا عزة الجمحي، فأبى أبو عزة أن يسير وقال:

- من علي محمد يوم بدر، وحلفت أن لا أظاهر عليه عدوا.

- فمشى إليه صفوان بن أمية يحاول معه ولكنه أبى وأنصرف عنه صفوان بن أمية آيساً منه، فلما كان الغد جاءه صفوان وجبير بن مطعم فطلب منه صفوان ما طلبه أمس فأبى، فقال جبير:

- ما كنت أظن أني أعيش حتى يمشي اليك أبو وهب في أمر تأبى عليه، فأحفظه.

فقال:

- أنا أخرج.

فخرج الى العرب يجمعها ويقول (٢١٥-٢١٣/١٤):

إيه بني عبد مناف الرزام	أنتم حماة وأبوكمُ حام
لا تسلمون لا يحل السلام	لا يعدونني نصركم بعد العام

فخرج النفر مع أبي عزة فألبوا العرب وجمعوا، وبلغوا ثقيفاً فخرجوا ومعهم نساءؤهم كل معه زوجته أو ابنته أو أخته أو أمه، ومن خرجن مع الرجال زوجة غراب بن سفيان بن عوف وهي عمرة بنت الحارث بن علقمة الكنانية، وهي التي رفعت لواء قريش حين سقط حتى تراجعت قريش الى لوائها، وفيها يقول حسان (٢١٦/١٤-٢١٧):

ولولا لواء الحارثية أصبحوا يباعون في الأسواق بالثمن البخس

وخرجت قريش وهم ثلاثة آلاف بمن ضوي اليها من كنانة والأحابيش وغيرهم على لواء واحد، يحمله طلحة بن أبي طلحة... ولما أجمعوا المسير كتب العباس بن عبد المطلب كتاباً وختمه، وأستأجر رجلاً من بني غفار وسيره الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخبره أن قريشاً قد أجمعت للسير إليه، ولما وصل الغفاري دفع الكتاب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقراه عليه أبي بن كعب، واستكتكم أياً ما فيه، وأخبر أبي بن كعب سعد بن الربيع ما في الكتاب، فجعل سعد يقول:

- يا رسول الله، والله أني لأرجو أن يكون في ذلك خير.

وأرجعت يهود المدينة والمنافقون وقالوا:

- ما جاء محمد بشيء يحبه.

وأنصرف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة وقد أستكتكم سعد

بن الربيع الخبر.

وشاع الخبر بين الناس بمسير قريش، وسارت قريش إلى بدر ثم خرجت إلى أحد. وخرج النساء ومعهن الدفوف يحرزن الرجال ويذكرهم قتلى بدر في كل منزل.

وكانت قريش بذى الحليفة يوم الخميس صبيحة عشر من مخرجهم من مكة وذلك لخمس ماضين من شوال على رأس اثنين وثلاثين شهراً من الهجرة، ولما أصبحوا بذى الحليفة خرج فرسان منهم فأنزلوهم الوطاء وبعث النبي صلى الله عليه وآله عينين له ليلة الخميس فاعترضا قريش بالعقيق، فسارا معهم حتى نزلا الوطاء، فأتيا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخبراه. وكان مقدم قريش يوم الخميس خمس خلون من شوال، وكانت الوقعة يوم السبت لسبع خلون من شوال. وحرست المدينة تلك الليلة ورأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رؤيا ليلة الجمعة، فلما أصبح واجتمع المسلمون خطبهم، وقال:

- أشيروا عليّ....

فأشاروا عليه بما يحصنهم ويمكنهم من المشركين فاخذ بما أشاروا عليه وهكذا بدأت الحرب، وصرن نساء المشركين يحرزن رجالهم على القتال ويقلن
(٢٣٥/١٤):

نحن بنات طارق نمشي على النمارق

إن تقبلوا نعانق أو تدبروا نفارق

فراق غير وامق

وقد قتل طلحة بن أبي طلحة من جيش المشركين فحمل لواءهم أخوه

عثمان بن طلحة وهو أبو شيبة فارتجز وقال (٢٣٦/١٥):

ان عليّ رب اللواء حقاً أن تخضب الصعدة أو تتدقا

وبعد أن قتل عثمان حمل اللواء أخوهما أبو سعد بن أبي طلحة فرماه سعد بن أبي الوقاص فأصاب حنجرتَه فأدلع لسانه ادلاع الكلب، وكان النساء خلف أبي سعد يقلن (٢٣٧/١٥):

ضرباً بني عبد الدار ضرباً حماة الأدبار

ضرباً بكل بتار

وكان الإمام علي إذا برز لا يسلب كأن أبا تمام عناه بقوله (٢٣٨/١٤):

أن الأسود أسود الغاب همتهما يوم الكريهة في المسلوب لا السلب

وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم لما فرّ معظم أصحابه عنه يوم أحد كثرت عليه كتائب المشركين، وقصدته كتيبة من بني كنانة، ثم من بني عبد مناة بن كنانة، فيها بنو سفيان بن عوف، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم:

- يا علي اكفني هذه الكتيبة.

فحمل عليها، وأنها لتقارب خمسين فارساً، وهو عليه السلام راجل، فما زال يضربها بالسيف تتفرق عنه ثم تجتمع عليه، هكذا مراراً حتى قتل بني سفيان بن عوف الأربعة، وتمام العشرة منها، ومن لا يعرف بأسمائهم. فقال جبرائيل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم:

يا محمد إن هذه المواساة، لقد عجبت الملائكة من مواساة هذا الفتى.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم

وما يمنعه وهو مني وأنا منه!

فقال جبرائيل عليه السلام:

وأنا منكما.

وسمع ذلك اليوم صوت من قبل السماء لا يرى شخص الصارخ به ينادي

مراراً (٢٥١/١٥):

(لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي).

فستل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم عنه فقال:

هذا جبرئيل.

كان حنظلة بن أبي عامر في معركة أحد قد اعترض أبا سفيان بن حرب

فضرب عرقوب فرسه فأكسدت الفرس، ووقع أبو سفيان على الأرض فجعل

يصيح:

يا معشر قريش أنا أبو سفيان بن حرب.

وحنظلة يريد أن يذبحه بالسيف، فأسمع الصوت رجلاً لا يلتفتون إليه من

الهزيمة، وحتى عاينه الأسود بن شعوب، فحمل على حنظلة بالرمح فأنقذه،

ومشى إليه حنظلة بالرمح فضربه ثانية فقتله، وهرب أبو سفيان يعدو على قدميه،

فلحق ببعض قريش فنزل عن صدر فرسه، وردف وراء أبا سفيان، فذلك قول أبي

سفيان يذكر صبره ووقوفه وأنه لم يفر، وذكره محمد بن إسحاق (٢٧٠/١٤):

ولو شئت نجتني كميت طميرة
وما زال مهري مزجر الكلب فيهم
أقاتلهم وادّعي يال غالب
فبكي ولا ترعي مقالة عاذل
اياك وأخواناً لنا قد تتابعوا
وسلي الذي قد كان في التعن أنني
ومن هاشم قرماً كريماً ومصعباً
ولو أنني لم أشف نفسي منهم
فأبوا وقد أودى الجلابيب منهم
أصابهم من لم يكن لدمائهم
ولم أحمل النعماء لأبن شعوب
لدن غدوة حتى دنت لغروب
وأدفعهم عني بركن صليب
ولاتسأمي من عبرة ونحيب
وحق لهم من حسرة بنصيب
قتلت من النجار كل نجيب
وكان لدى الهيجاء غير هيب
وكانت شجاً في الصدر ذات ندوب
بهم كمد من واجب وكئيب
كفاء ولا في سنخهم بضرب

وفي يوم أحد انتخى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال:

أنا ابن العواتك.

وقال أيضاً (٢٧٦/١٤):

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

وقال عبد الله بن الزبيري يذكر يوم أحد (٢٧٧-٢٧٨/١٤):

إلا ذرفت من مقاتيك دموع
وشط بمن تهوى المزار وفرقت
وقد بان في حبل الشباب قطوع
نوى الحرب دار بالحبيب فجوع

وليس لما ولى على ذي صباية
 فدع ذا ولكن هل أتى أم مالك
 ومُجُنَّبنا جرداً الى أهل يثرب
 عشية سرنا من كداءٍ يقودها
 يشد علينا كل زحف كأنها
 فلمأ رأونا خالطتهم مهابة
 فودوا لو أن الأرض ينشق ظهرها
 وقد عُرِيت بيض كأن وميضها
 بإيماننا نعلو بها كل هامة
 فغادرن قتلى الأوس عاصبة بهم
 ومراً بنو النجار في كل تلة
 ولولا علو الشعب غادرن أحمد
 كما غادرت في الكر حمزة ثاويماً

وأن طال تذراف الدموع رجوع
 أحاديث قومي والحديث يشيع!
 عناجيح فيها ضامر وبديع
 ضُرُورُ الأعادي للصديق نفوع
 عذبر نضوح الجانبين نقيع
 وخاصرهم رعب هناك فظيع
 بهم، وصبور القوم ثم جزوع
 حريق وشيك في الأباء سريع
 وفيها سممام للعدو ذريع
 ضياع وطير موقهن وقوع
 بأثوابهم من وقعهن نجيع
 ولكن علا والسمهري شروع
 وفي صدره ماضي الشباة وقيع

وقال ابن الزبيري أيضاً من قصيدة مشهورة وهي (٢٧٩/١٤) :

يا غراب البين أسمعت فقل
 أن للخير وللشر مدى
 أنما نندب أمراً قد فُعل
 فسواء قبر مثرٍ ومقل
 أبلغا حسان عني أية
 فقريض يشفي ذياك الغل
 كم ترى بالجسر من جمجمة
 وأكفاً قد أثرت ورجل

وسراييل حسان شققت	عن كماءٍ غودروا في المنزل
كم قتلنا من كريم سيدٍ	ماجد الجدين مقدم بطل
صادق النجدة قرم بارع	غير ملطاة لدى دمع الأسل
فسل المهراس من ساكنه؟	من كراديس وهام كالحجر
ليت أشياخي ببدر شهدوا	جزع الخزرج من وقع الأسل
حين حطت بقباء بركها	واستحر القتل في عبد
ثم خفوا عند ذاكم رُقْصاً	رقص الحفان تعدو في
فقتلنا النصف من ساداتهم	وعدلنا ميل بدرٍ فأعتدل
لا اليوم النفس إلا أننا	لو كررنا لفعلنا المفتعل
بسيوف الهند تعلو هامهم	تبرد الغيظ ويشفين الغلل

وقال حسان وهو بذكر كسر عتبة بن أبي وقاص سن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم أحد وكلم شفثيه وشجَّ وجهه فجعل يمسح الدم عن وجهة ويقول: كيف يفلح قوم خضبوا نبيهم بالدم، وهو يدعوهم الى ربهم
فأنزل الله عز وجل:

{لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ } .

قال حسان بن ثابت في ذلك اليوم (٥٥/٦):

وإنصرهم الرحمن رب المشارق	إذا الله حيا معشراً بفعالهم
ولقائك، قبل الموت، إحدى الصواعق	فهدك ربي يا عتيب بن مالك

بسطت يميناً للنبي محمدٍ
فهدمت فاه قطعت بالبورق
فهللاً ذكرت الله والمنزل الذي
تصير اليه عند احدى الصعائق
فمن عاذري من عبد عذرة بعدها
هوى في دجوجيٍّ شديد المضايق
وأورث عاراً في الحياة لأهله
وفي النار يوم البعث أم البوائق

ولما قتل حمزة بن عبد المطلب علت هند بنت عتبة، يومئذ، صخرة مشرفة،
وصرخت بأعلى صوتها (١٣/١٥) :-

نحن جزيئاكم بيوم بدر
والحرب بعد الحرب ذات سعر
ما كان عن عتبة لي من صبر
ولا أخى وعمه وبكري
شفيت نفسي وقضيت نذري
شفيت وحشي غليل صدري
فشكر وحشيٍّ عليٍّ عمري
حتى تُرمَّ أعظمي في قبري

فاجبتها هند بنت أئاة بن عبد المطلب بن عبد مناف (١٤/١٥) :-

خزيت في بدرٍ وغير بدر
يا بنت عذارٍ عظيم الكفر
أفحك الله غداة الفجر
بالحاشمين الطوال الزهر
بكل قطاع حسام يغري
حمزة ليثي وعليٍّ صقري
إذ رام شيب وأبوك قهري
فَحَصَّبًا منه ضواحي النحر

ومن الشعر الذي ارتجزت به هند بنت عتبة يوم أحد (١٤/١٥) :

شفيت، من حمزة نفسي بأحد
حين بقرت بطنه عن الكبد
أذهب عنيّ ذاك ما كنت أجد
من لوعة الحزن الشديد المعتمد

والحرب تعلقكم بشؤبوب بَرِد تُقَدِّمِ أَقْدَاماً عَلَيْكُمْ، كَالْأَسَدِ

فقال حسان بن ثابت يهجوها (١٤/١٥):

أشرت لكاع وكان عادتها لؤماً إذا أشرت مع الكفر
أخرجت مرقصة الى أحدٍ في القوم مقتبة على بكر
بكر ثفال لا حراك به لاعن معاتبة ولا زجر
أخرجت ثائره محاربةً بابيك وابنك بعد في بدر
وبعمك المتروك منجدلاً وأخيك منعفرين في الجفر
فرجعت صاغرة بلا ترة منّا ظفرت بها ولا وتر

وقال أيضاً يهجوها (١٥/١٥):

لمن سواقط ولدانٍ مطرحة باتت تفحص في بطحاء اجياد
باتت تمخض لم تشهد قوابلها الى الوحوش وإلا جنة الوادي
يظل يرحمها الصبيان منعفراً وخاله وأبوه سيد الوادي

وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول يوم أحد: -

ما فعل عمي، ما فعل عمي؟

فخرج الحارث بن الصمة يطلبه فأبطأ، فخرج عليه السلام يطلبه ويقول

- (١٦/١٥)

يارب إن الحارث بن الصمة كان رفيقاً وينا ذا ذمة
قد ظل في مهامة مهمّة يلتمس الجنة فيها ثمة

حتى انتهى إلى الحارث، ووجد حمزة مقتولاً، فجاء فأخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأقبل يمشي حتى وقف عليه فقال : -

- ما وقفت موقفاً قط أغيظ اليّ من هذا الموقف. وخرجت فاطمة مع نساء وقد رأت الذي بوجه أبيها صلى الله عليه وآله وسلم فاعتنقته، وجعلت تمسح الدم عن وجهه، وذهب علي عليه السلام فأتى بماء من المهراس وقال لفاطمة : امسكي هذا السيف غير ذميم وقال (٣٥/١٥) : -

أفاطم هاك السيف غير ذميم فلسنت برعديد ولا بلئيم
لعمرى لقد جاهدت في نصر أحمد وطاعة رب بالعباد رحيم

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : -

- لئن كنت صدقت القتال اليوم لقد صدق معك سماك بن خرشبة، وسهل بن حنيف.

ولما كان بين الحارث بن سويد الصامت والمجذّر بن زياد البلوي ثأراً، إذ قتل المجذّر أبا الحارث قبل الأسلام، فضمها الحارث، فلما كان يوم أحد وجال المسلمون تلك الجولة، أتاه الحارث (وكان قد أسلم أيضاً) من خلفه فضرب عنقه، وقد أتى جبرئيل النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأخبره أن الحارث بن سويد قتل المجذّر غيلة، وأمر بقتله، ولما رآه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم دعا عويم بن ساعدة فقال له : -

قدم الحارث بن سويد إلى باب المسجد فاضرب عنقه بمجذّر بن زياد فإنه قتله يوم أحد، فضرب عويم عنقه، ففي ذلك قال حسان (٥٠/١٥)

يا حارٍ في سنةٍ من قوم أولكم
أم كنت يا ابن زياد حين تقتله
وقلتُم لن نرى والله مبصركم
محمد والعزیز الله يخبره
أم كنت ويحك مفترأ بجبريل
بغرةٍ في فضاء الله مجهول
وفيكُم محكم الآيات والقيـل
بما يكن سريرات الأقاويل

وكان سويد بن الصامت حين ضربه المجذر و بقي قليلاً ثم مات، فقال قبل
أن يموت يخاطب أولاده (٥٠/١٥-٥١) :-

أبلغ جلاساُ وعبد الله مالكة
أقتل جذارة إذ ما كنت لاقبيهم
وان دعيت فلا تخذلها حار
والحي عوفاً على عرف وأنكار

بعد أن زار معبد بن معبد الخزاعي - وهو مشرك - محمداً صلى الله عليه
وآله وسلّم وجيش المسلمين وعاد إلى قريش أخبرهم عما ينوي من أخذ ثارهم في
أحد، وقد حملني ما رأيت منهم أن قلت أبياتاً، قالوا: - وما هي؟

فأنشدهم هذا الشعر (٥٩/١٥) :

كادت تهد من الأصوات راحلتي
تعدو بأسدٍ ضراب لا تتابله
فقلت ويل ابن حربٍ من لقائهم
أنني نذرت لأهل البسل ضاحية
إذ سالت الأرض بالجرد الأبايل
عند اللقاء ولا ميل معازيل
إذا تقطمطت البطحاء بالجـيل
لكل ذي إريبة منهم ومعقول
وليس يوصف ما أنذرت بالقيـل
من جيش أحمد لا وحش قنابله

٣ - غزوة الخندق

قال الواقدي وابن إسحاق: خرج عمرو بن عبدٍ ودٌ يوم الخندق شاهراً سيفه معلماً مدلاً بشجاعته وبأسه، وخرج معه ضرار بن الخطاب الفهري؛ وعكرمة بن أبي جهل، وهبيرة ابن أبي وهب ونوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزوميون، فطافوا بخيولهم على العبور فعبرت، وصاروا مع المسلمين على أرض واحدة ورسول الله صلى الله عليه وآله جالس وأصحابه قيام على رأسه، فتقدم عمرو بن عبد ود فدعا إلى البراز مراراً، فلم يقم إليه أحد، فلما أكثر قام علي عليه السلام فقال: -

- أنا أبارزه يا رسول الله.

فأمره بالجلوس، وأعاد عمرو النداء والناس سكوت كأن على رؤوسهم الطير، فقال عمرو: -

أيها الناس أنكم تزعمون أن قتلاكم في الجنة وقتلانا في النار أفما يجب أحدكم أن يقدم على الجنة؟ وأن يقدم عدواً له على النار؟

فلم يَقم إليه أحد، فقام علي عليه السلام دفعة ثانية :

- أنا له يا رسول الله.

فأمره بالجلوس فجال عمرو بفرسه مقبلاً ومدبراً، وجاءت عظماء الأحزاب، فوقف من وراء الخندق ومدت أعناقها تنظر، فلما رأى عمرو أن أحداً لا يجيبه قال (٦٣-٦٢/١٩) :-

ولقد عجزتُ من النداء
ووقف من جبين المشيِّ
أنِّي كذلك لم أزل
أن الشجاعة في الفتى
ء بجمعهم هل من مبارز
مع موقف القرن المناجز
متسرعاً قبل الهزاهز
والجود من غير الغرائز

فقام علي عليه السلام فقال :-

يا رسول، إذن لي في مبارزته.

فقال :-

إذن، فدلني فقلده سيفه، وعممه بعمامته، وقال :-

امضي لشأنك.

فلما انصرف قال :-

اللهم أعنه عليه.

ولما قرب منه قال مجيباً إياه عن شعره (٦٣/١٩) :

لا تعجلن فقد أتاك
ك مجيب صوتك غير عاجز

ذو نية وبصيرة يرجو بذاك نجاة فائز
أنى لأمل أن أقيـ هم عليك نائحة الجنائز
من ضربة فوهاء يبـ قى ذكرها عند الهزاهز

فقال عمرو: -

من أنت؟

وكان عمرو شيخاً كبيراً قد جاوز الثمانين، وكان نديم أبي طالب بن عبد
المطلب في الجاهلية، فانتسب علي عليه السلام له وقال: -

أنا علي بن أبي طالب.

فقال: -

- أجل، لقد كان أبوك نديماً لي، وصديقاً، فأرجع فيني لا أحب أن أقتلك.

فقال له علي عليه السلام: -

لكني أحب أن أقتلك.

فقال: -

- يا ابن أخي: - إني لأكره أن أقتل الرجل الكريم مثلك، فأرجع وراءك

خير لك.

فقال علي عليه السلام: -

أن قريشاً تتحدث عنك أنك قلت: - لا يدعوني أحد إلى ثلاث إلا أجبت،

ولو واحدة منها.

قال : -

أجل.

فقال علي عليه السلام.

فإني أدعوك إلى الإسلام.

قال :

دع عنك هذه.

فقال :

فإني أدعوك إلى أن ترجع من تبعك من قريش إلى مكة.

قال :

- إذن تتحدث نساء قريش عني أن غلاماً خدعني.

قال :

فإني أدعوك إلى البراز.

فحمي عمرو، وقال :

ما كنت أظن أن أحداً من العرب يرومها مني.

ثم نزل فعقر فرسه، وقيل ضرب وجهه ففر وتجاولا، فثارت لهما غبرة وارقتما عن العيون، إلى أن سمع الناس التكبير عالياً من تحت الغبرة، فعلموا أن علياً قتله، وانجلت الغبرة عنها، وعلي عليه السلام ركب صدره يحز رأسه، وفر

أصحابه ليعبروا الخندق، فظفرت بهم خيلهم إلا نوفل بن عبد الله فأقصر فرسه،
فوقع في الخندق فرماه المسلمون بالحجارة فقال : -

يا معشر الناس، قتلة أكرم من هذه.

فنزّل إليه علي عليه السلام فقتله.

ولما انتشر خبر مقتل عمرو بن عبد ود رثاه شعراء من قريش منهم : -

مسافع بن عبد مناف بن زهرة بن حذافة بن جُمع يبيكي عمرو بن عبد الله

بن عبدٍ ودٍ قال (٢٨٨/١٣) :

جزع المذاد وكان فارس مَّيَل

عمرو بن عبدٍ كان أول فارسٍ

بيقى القتال بشكِّلم ينكُل

سمح الخلائق ما جد ذو مِرَّةٍ

ان ابن عبد منهم لم يعجل

ولقد علمتم حين ولوا عنكم

بيغي القتال له وليس بمؤثّل

حتى تكنّفها الكمأة وكلهم

بجنوب سلع غير نكس أميل

ولقد تكنّفت الفوارس فارساً

فخرّاً ولو لاقيت مثل المعضل

فاذهب عليّ ما ظفرت بمثلها

لاقى حمام الموت لم يتحلّحل

سأل النزال هناك فارس غالبٍ

فشلاً وليس لدى الحروب بزُمَّل

أعني الذي جزع المذاد ولم يكن

وقال هبيرة بن أبي وهب المخزومي، يعتذر من فراره عن علي بن أبي طالب

عليه السلام وتركه عمرواً يوم الخندق وبيكيه (٢٨٩/١٩) :

وأصحابه جنباً ولا خيفة القتل

لعمرك ما وليت ظهري محمداً

ولكنني قلبت أمري فلم أجد
 وقفت ولما لم أجد لي مقداً
 ثى عطفه عن قرنه حين لم يجد
 فلا تبعدن يا عمرو حياً وهالكاً
 ولا تبعدن يا عمرو حياً وهالكاً
 فمن لطراد تقدع الخيل بالقنا
 هنالك لولا كان ابن عمرو لزارها
 كفتك عليّ من ترى مثل موقف
 فما ظفرت كفاك يوماً بمثلها

وقال هبيرة بن أبي وهب أيضاً يرثي عمرواً وبيكيه (٢٨٩/١٩-٢٩٠):

لقد علمت عليا لؤي بن غالب
 وفارسها عمرو إذا يسوقه
 (و) عيشة يدعوه علي وإنه
 فيا لهف نفسي أن عمرواً لكائن
 لقد أحرز العلياً علي بقتله
 لفارسها عمرو إذا ناب نائب
 علي، وأن الموت لاشك طالب
 كفارسها إذ خام عنه الكتائب
 بيثرب لازالت هناك المصائب
 وللخير يوماً لا محالة جالب

وقال حسان بن ثابت الأنصاري يذكر عمرواً (٢٩٠/١٩):

أمسى الفتى عمرو بن عبدٍ ناظراً
 ولقد وجدت سيوفنا مشهورة
 كيف العبور وليته لم يعبر
 ولقد وجدت جياننا لم تقصر

ضربوك ضرباً غير ضرب الحسّر
يا عمرو أو لجسيم أمر منكر

ومخزوم وتيم ما تُقيل
كأن جبينه سف صقيل
تطاوله الأسنة والنصول
تكشفت المقانب والخيول
جرازاً لا أفلّ ولا نكول
على عفراء لا بعْد القتيل

ولقد لقيت غداة بدرٍ عصابة
أصبحت لا تدعى ليوم عزيمة
وقال حسان أيضاً (٢٩٠/١٩):

لقد شقيت بنو جمح بن عمرو
وعمرو كالحسام فتى قريش
فتى من نسل عامر أريحي
دعاه الفارس المقدام لما
أبو حسنٍ فقنعه حساماً
فغادره مكباً مسأحياً

٤ - غزوة مؤتة

بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الحارث بن عمير الأزدي في سنة ثمانٍ إلى ملك بصرى بكتاب، فلما نزل مؤتة عرض له شرحبيل بن عمرو الغساني فقال: -

أين تريد؟

قال: -

الشام.

قال: -

لعلك من رسل محمد؟

قال: -

نعم.

فأمر به فأوثقه رباطاً ثم قدمه فضرب عنقه، ولم يقتل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رسول غيره، وبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم،

فاشتد عليه، وندب الناس وأخبرهم بمقتل الحارث، فأسرعوا وخرجوا، فعسكروا بالجرف، فلما صلى صلى الله عليه وآله وسلم الظهر جلس وجلس أصحابه حوله، وجاء النعمان بن مهض اليهودي فوقف مع الناس فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : -

زيد بن حارثة أمير الناس، فإن قتل زيد بن حارثة، فجعفر بن أبي طالب فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة، فإن أصيب ابن رواحة فليترض المسلمون من بينهم رجلاً فليجعلوه عليهم، فقال النعمان بن مهيض : -

يا أبا القاسم، إن كنت نبياً فسيصلب من سميت قليلاً كانوا أو كثيراً إن الأنبياء في بني إسرائيل كانوا إذا استعملوا الرجل على القوم ثم قالوا إن أصيب فلان، فلوا سموا مئة أصيبوا جميعاً، ثم جعل اليهودي يقول لزيد بن حارثة : -
إعهد فلا ترجع إلى محمد أبداً إن كان نبياً.

قال زيد : -

أشهد أنه نبي صادق.

فلما أجمعوا المسير عقد رسول الله صلى الله عليه وآله لهم اللواء بيده دفعه إلى زيد بن حارثة، وهو لواء أبيض ومشى الناس إلى أمراء رسول الله صلى الله عليه وآله ويدعونهم ويدعون لهم وكانوا ثلاثة آلاف فلما ساروا في معسكرهم ناداهم المسلمون : -

دفع الله عنكم وردكم سالمين صالحين غانمين.

فقال عبد الله بن رواحة (٦١/١٥-٦٢):

لكنني أسأل الرحمن مغفرة
أو طعنة بيدي حران مجهزة
حتى يقولوا إذا مروا على جدتي
يا أرشد الله من غاز إذا رشدا
وضربة ذات فرع تقذف الزيدا
بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا

وقد اختلف الرواة فيمن كان الأمير الأول، ومن خلال قصيدة حسان بن
ثابت يظهر أن جعفر بن أبي طالب كان هو الأمير الأول ثم زيد بن حارثة فعبد الله
بن رواحة، وهو ما يقول به الشيعة. قال حسان (٦٢/١٥-٦٣):

تأوبني ليل بيثرب أعسر
لذكرى حبيب هيّمت لي عبدة
بلى إن فقدان الحبيب بليّة
فلا يبعدن الله قتلى تتابعوا
وزيد وعبد الله حين تتابعوا
رأيت خيار المؤمنين تواردوا
غداة غدوا بالمؤمنين يقودهم
أغرّ كضوء البدر من آل هاشم
فطاعن حتى مال غير موسدٍ
فصار مع المستشهدين ثوابه
فكنا نرى في جعفر من محمدٍ
وهم إذا ما نُوم الناس مُسهر
سفوحاً وأسباب البكاء التذكر
وكم من كريم بيتلى ثم يصبر
بمؤته منهم ذو الجناحين جعفر
جميعاً وأسيف المنية تخطر
شعوباً وخلق بعدهم يتأخر
الى الموت ميمون النقيبة أزهر
أبي إذا سيم الظلامه أصعر
بمعترك فيه القنا منكسر
جنان وملتف الحقائق أخضر
وقاراً وأمرأ حازماً حين يأمر

وما زال في الإسلام من آل هاشمٍ
همُّ جبل الإسلام والناس حولهم
بهاليل منهم جعفر وابن أمِّه
وحمزة والعباس منهم ومنهم
بهم تفرج الغمء من كل مأزق
همو أولياء الله أنزل حكمه
دعائم صدق لا ترام ومفخر
رضام إلى طول يطول ويقهر
علي ومنهم أحمد المتخير
عقيل وماء العود من حيث يعصر
عماس إذا ما ضاق بالناس مصدر
عليهم وفيهم والطناب المطهر

ومنها قول كعب بن مالك الأنصاري من قصيدة أولها (٦٤-٦٣/١٥):

نام العيون ودمع عينك يهمل
وجدأ على النفر الذين تتابعوا
ساروا إمام المسلمين كأنهم
إذ يهتدون بجعفر ولوائه
حتى تقوضت الصفوف وجعفر
فتغير القمر المنير لفقده
قوم علا بنيانهم من هاشمٍ
قوم بهم عصم الإله عباده
فضلوا المعاشر عفةً وتكرماً
سحاً كما وكف الرباب المسبل
قتلا بمؤتته اسندوا لم ينقلوا
طود يقودهم الهزير المشبل
قدام أولهم ونعم الأول
حيث التقى جمع الغواة مجدلاً
والشمس قد كسفت وكادت تأفل
فرع أشم وسؤدد متأثل
وعليهم نزل الكتاب المنزل
وتعمدت أخلاقهم من يجهل

وأن عبد الله بن رواحة ودع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بشعر منه

: (٦٥/١٥)

فثبت الله ما آتاك من حسنٍ تثبتت موسى ونصراً كالذي نصرُوا
 أنى تفرست فيك الخيل نافرة فراسة خالفتهم في الذي نظروا
 أنت الرسول فمن يحرم نوافله والبشر منه فقد أودى به القدر

وكان زيد بن أرقم يحدث، قال: -

كنت يتيماً في حجر عبد الله بن رواحة، فلم أر واليَّ يتيم كان خيراً لي منه،
 خرجت معه في وجهة إلى مؤتة، وصبَّ بي وصبيت به، فكان يردفني خلف رحله،
 فقال ذات ليلة، وهو على راحلته بين شعبي رحله (٦٦/١٥):

إذا بلَّغتنِي وحملت رحلي مسافة أربع بعد الحساء
 فشأنك فانعمي وخلالك ذم ولا أرجع إلى أهلي ورائي
 وآب المسلمون وخلفوني بأرض الشام مشتهر الثواء
 وزودني الأقارب من دعاءٍ الى الرحمان وانقطع الأخاء
 هنالك لا أبالي طلع نخلٍ ولا نخل أسافلها رواء

ولما قتل جعفر بن أبي طالب وتسلم الراية عبد الله بن رواحة جعل يتردد

بعض التردد، ويستقدم نفسه يستنزها وقال:

أقسمت يا نفس لتتزلنَّه طوعاً وإلاَّ سوف تكرهنَّه
 مالي أراك تكربن الجنَّة إذا جلى الناس وشدوا الرنَّه
 قد طالما قد كنت مطمئنَّة هل أنت إلا نطفة في شنه

ثم ارتجز فقال (٦٩/١٥-٧٠):

يا نفس إلا تقتلي تموتي هذا حمام الموت قد حليتِ
وما تمنيت فقد أُعطيَتْ إن تفعلني فعلهما هديتِ
وان تأخرت فقد شقيتِ

٥ - وقعة الجمل - مقتل عثمان

مقتل عثمان

قبل ذكر وقعة الجمل لا بد من التمهيد لها في ذكر بعض ما قيل في مقتل عثمان من شعر؛ فلقوله عليه السلام من كلام له فيما رده إلى المسلمين من قطائع عثمان (٢٦٩/١):

((والله لو وجدته قد تزوج به النساء، ومُلك به الماء، لرددته فإن في العدل سعة ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه أهون)).

استشهد ابن أبي الحديد بالرواية التي تقول (٢٧٠/١):

إنه عليه السلام أمر بكل سلاح وجد لعثمان في داره، مما تقوى به على المسلمين فقبضت، وأمر بقبض سيفه ودرعه، وأمر أن لا يعرض لسلاح وجد له لم يقاتل به المسلمين، وبالكف عن جميع أمواله التي وجدت في داره وفي غير داره، وأمر أن ترتجع الأموال التي أجاز بها عثمان حيث أصيب أو أصيب أصحابها.

ثم أستشهد بقول الوليد بن عقبة - وهو أخو عثمان من أمه يذكر قبض علي عليه السلام نجائب عثمان وسيفه وسلاحه (٢٧١-٢٧٠/١):

بني هاشم ردوا السلاح ابن أختكم
 بني هاشم كيف الهوادة بيننا
 بني هاشم كيف التودد منكم
 بني هاشم إلا تردوا فإننا
 بني هاشم إنا وما كان منكم
 قتلتم أخي كيما تكونوا مكانه

ولا تنهبوه لا تحل مناهبه
 وعند عليّ درعه ونجائبه؟
 وبزین أروى فيكم وصرائبه؟
 سواء علينا قاتلاه وسالبه
 كصدع الصفا لا يشعب الصدع شاعبه
 كما غدرت يوماً بكسرى مرزبه

فأجابه عبد الله بن أبي سفيان الحارث بن عبد المطلب بأبيات طويلة من
 جملتها:

فلا تسألونا سيفكم إن سيفكم
 وشبهته كسرى وقد كان مثله

أضيع وألقاه لدى الروع صاحبه
 شبيهاً بكسرى هديه وضرائبه

أي كان كافراً كما كان كسرى كافراً.

ولقوله عليه السلام: ((والله ما معاوية بأدهى مني، ولكنه يغدر ويفجر،
 ولولا كراهية الغدر لكنت من أدهى الناس، ولكن كل غدره فجرة كفرة؛ ولكل
 غادر لواء يعرف به يوم القيامة، والله ما أستغفل بالملكية ولا أستفز بالشديدة)).

أستشهد ابن أبي الحديد بالرواية التي تقول (٢٣٤/١٠):

((لما حصر عثمان أبرد مروان بن الحكم بخبره بريدين، أحدها إلى الشام
 والآخر إلى اليمن - وبها، يومئذ يعلى بن منبه - ومع كل واحد منها كتاب وكتب
 في آخره:

وما بلغت عثمان حتى تخطمت
لقد رجعت عوداً على بدء كونها
سيبيديء مكنون الظمائر قولهم
فان تقعدا لا تطلبا ما ورثتما
رجال ودانت للصفار رجال
وان لم تجرراً فالمصير زوال
ويظهر منهم بعد ذاك فعال
فليس لنا طول الحياة مقال
وتظهر منا كادة وهزال
نعيش بدار الذل في كل بلدة

وبعد ورود كتاب مروان بن الحكم على معاوية كتب إلى رؤوس قريش
ومن كتب إليهم سعيد بن العاص، وكتب في آخر كتابه (٢٣٧/١٠-٢٣٨):

تالله لا يذهب شيخي باطلا
القاتلين الملك الحلاحلا
حتى أبير مالكا وكاهلا
خير معد حسبا ونائلا

وكتب في أسفل الكتاب، الذي بعثه إلى عبد الله بن عامر (٢٣٩/١٠):

عليك سلام الله قيس بن عاصم
تحية من أهدى السلام لأهله
فما كان قيس هلكة هلك واحد
ورحمته ما شاء أن يترحما
إذا شط داراً عن مزارك سلما
ولكنه بنيان قوم تهديما

وكتب في آخر الكتاب الذي بعثه إلى الوليد بن عقبة (٢٣٩/١٠):

أخترت نومك أن هبت شامية
على طلاب ثأراً من بني حكم
عند الهجير وثرياً بالعشيات
هيئات من راقد طلاب ثارات

وكتب في آخر الكتاب إلى يعلى بن أمية (٢٤٠/١٠):

واعلم يا ابن أمية أن القوم قاصدوك بادئ بدء لاستنتاف ما حوته يدك

من المال، فاعلم ذلك واعمل على حسبه إن شاء الله وكتب في أسفل الكتاب :

ظل الخليفة محصوراً يناشدهم
وقد تآلف أقوام على حنقٍ
وقام يُذكرهم وعد الرسول له
فقال كفوا فإني معتب لكم
فكذبوا ذاك منه ثم ساوره
بالله طوراً وبالقرآن أحياناً
عن غير جرم وقالوا فيه بهتاناً
وقوله فيه إسراراً وإعلاناً
وصارفٌ عنكم يعلى ومرواناً
من حاض لبته ظلاماً وعدواناً

وكتب إليه مروان جواباً عن كتابه وكتب في أسفل الكتاب (٢٤٢/١٠) :

أَيَقْتُلُ عِثْمَانَ وَتَرْقَى دُمُوعَنَا
وَنَشْرِبُ بَرْدَ الْمَاءِ رِيّاً وَقَدْ مَضَى
فإني ومن صبح الملبون بيته
سأمنع نفسي كل ما فيه لذةٍ
وأقتل بالمظلوم من كان ظالماً
ونرقد هذا الليل لا نتقزع
على ظمأً يتلو القرآن ويركع
وطافوا به سعياً، وذو العرش يسمع
من العيش حتى لا يرى فيه مطمع
وذلك حكم الله ما عنه مدفع

وكتب إليه عبد الله بن عامر، وكتب في أسفل الكتاب (٢٤٢/١٠) :-

لا خير في العيش في ذل ومنقصةٍ
إننا بنو عبد شمس معشر أنف
والله لو كان ذمياً مجاورنا
فكيف عثمان لم يدفن بمزبلةٍ
فازحف إليّ فإني زاحف لهم
والموت أحسن من ضيم ومن عار
نحرٌ جماجمة طلاب أوتار
ليطلب العزلم نقعد عن الجار
على القمامة مطروحاً بها عار
بكل أبيض ماضي الحد بتار

وكتب إليه الوليد بن عقبة، وكتب في أسفل الكتاب (٢٤٣/١٠):

نومي عليّ محرم إن لم أقم	بدم ابن أمي من دم العلات
قامت عليّ إذا فقدت ولم أقم	بطلاب ذاك مناحة الأموات
عذبت حياض الموت عندي بعدما	كانت كريهة مورد النهلات

وكتب إليه يعلى بن أمية، وكتب في أسفل الكتاب (٢٤٤/١٠):

لمثل هذا اليوم أوصى الناس	لا تعطِ ضيماً أو يخر الرأس
---------------------------	----------------------------

٦ - وقعة الجمل

لما نزل علي عليه السلام ذا قار كتبت عائشة إلى حفصة بنت عمر : -
أما بعد، فأني أخبرك أن علياً قد نزل ذا قار، وأقام بها مرعوباً خائفاً لما بلغه
من عدتنا وجماعتنا، فهو بمنزلة الأشعر، إن تقدم عُقْر، وإن تأخر نُحْر.
فدعت حفصة جوارِي لها يتغنين ويضربن بالدفوف، فأمرتهن أن يقلن في
غنائهن :

ما الخبيرُ ما الخبيرُ عليٌّ في السِّفرِ
كالفرس الأشقرُ إن تقدم عُقْرُ
وان تأخر نُحْرُ

وجعلت بنات الطلقاء يدخلن علي حفصة، ويجتمعن لسماع ذلك الغناء،
فبلغ أم كلثوم بنت علي عليه السلام فلبست جلابيبها، ودخلت عليهن في نسوة
متنكرات، ثم أسفرت عن وجهها، فلما عرفتها حفصة خجلت واسترجعت،
فقالت أم كلثوم : -

لئن تظاهرتما عليه منذ اليوم، لقد تظاهرتما على أخيه من قبل فأنزل الله فيكما ما أنزل.

فقالت حفصة : -

كفى رحمك الله.

فأمرت بالكتاب فخرق، واستغفرت الله.

فقال سهل بن حنيف في ذلك هذه الأشعار (١٤/١٣-١٤) :

عذرنا الرجال بحرب الرجال	فما للنساء وما للسباب؟
أما حسبنا ما أتينا به	لك الخير من هتك ذاك الحجاب
ومخرجها اليوم من بيتها	يعرفها الذنب نبج الكلاب
إلى أن أتانا كتاب لها	مشوم فيا قبح ذاك الكتاب

وقالت أخت علي بن عدي، من بني عبد العزى بن عبد شمس وكان أخوها علي بن عدي من شيعة علي عليه السلام في جملة عسكره (١٤/١٧) :

لاهُمَّ فاعقر بعليِّ جملة ولا تبارك في بعير حملة

ألا علي بن عدي ليس له

ثم أجمع علي عليه السلام على المسير من الربذة إلى البصرة، فقام إليه رفاة بن رافع فقال : -

يا أمير المؤمنين؛ أي شيء تريد؟ وأين تذهب بنا؟

قال عليه السلام :

أما الذي نريد ونبوي فإصلاح، إن قبلوا منا وأجابوا إليه.

قال : -

فإن لم يرضوا؟

قال عليه السلام :

ندعهم ما تركونا.

قال : -

فإن لم يتركونا؟

قال عليه السلام :

نمتنع عنهم.

قال :

فنعم إذأ.

وقام الحجاج بن غزية الأنصاري، فقال : والله يا أمير المؤمنين لأرضينك

بالفعل، كما أرضيتني منذ اليوم بالقول، ثم قال : -

دراكها دراكها قبل الفوت فانفر بنا وأسمُ بنا نحو الصوت

لا وألت نفسي أن خفت الموت

والله لننصرن الله - عز وجل - كما سمانا أنصارا.

وقد ذكر أبو مخنف لوط بن يحيى في كتاب وقعة الجمل، جملة أشعار وأراجيز

في هذه الواقعة، منها (١/١٤٣-١٤٧) :

قول عبد الله بن سفيان بن الحارث بن عبد المطلب :

ومنا عليُّ ذاك صاحب خيبر
وصيُّ النبي المصطفى وابن عمِّه
وصاحب بدرٍ يوم سالت كتائبه
فمن ذا يدانيه ومن ذا يقاربه؟

وقول عبد الرحمن بن جعيل : -

لعمري لقد بايعتمُّ ذا حفيظةٍ
علياً وصيَّ المصطفى وابن عمِّه
على الدين معروف العفاف موقفاً
وأول من صلى أخا الدين والتقى

وقول ابن الهيثم بن تيهان، كان بدرياً : -

قل للزبير وقل لطلحة إننا
نحن الذين رأيت قريش فعلنا
نحن الذين رأيت قريش فعلنا
كنا شعار نبينا ودثاره
نحن الذين شعارنا الأَنْصار
يفديه منا الروح والأبصار
إن الوصي أماننا ودليلنا
برح الخفاء وباحت الأسرار

وقول عمرو بن حارثة الأنصاري، وكان مع محمد بن الحنفية يوم الجمل،

وقد لامه أبوه عليه السلام لما أمره بالحملة فتعاس:

أبا حسن أنت فصل الأمور
جمعت الرجال على رايةٍ
بين بك الحل و المحرم
ولم ينكص المرء من خيفةٍ
فقال رويداً فلا تعجلوا
فأعجلته والفتى مجمع
بها أبوك يوم الوغى مقحم
ولكن توالت له أسهم
فإني إذا رشقوا مقدم
بما يكره الوجل المحجم

سميُّ النبيُّ وشبه الوصيُّ ورايته لونها العندم

وقول رجل من الأزد:

هذا عليُّ وهو الوصيُّ أخاه يوم النجوى النبيُّ
وقال هذا بعدي الوليُّ وعاه واعٍ ونسي الشقي

وخرج يوم الجمل غلام من بني ضبة شاب معلم من عسكر عائشة، وهو يقول:

نحن بني ضبة أعداء علي ذاك الذي يعرف قدماً بالوصي
وفارس الخيل على عهد النبي ما أنا من فضل عليٍّ بالعمي
لكنني أنعى ابن عفان التقي أن الولي طالب ثأر الولي

وقول سعيد بن قيس الهمداني - وكان من عسكر علي عليه السلام:

أية حربُ ظهرت نيرانها وكسرت يوم الوغى مُرَّانها
قل للوصي أقبلت قحطانها فادعُ بها تكفيكها همدانها

همُّ بنوها وهمُّ إخوانها

وقول زياد بن لبيد الأنصاري - من عسكر الأمام علي عليها السلام:

كيف ترى الأنصار في يوم الطلب إننا أناسٌ لا نبالي من عطب
ولا نبالي في الوصي من غضب وإنما الأنصار جدُّ لا لعب
هذا علي وابن عبد المطلب تنصره اليوم على من قد كذب

من يكسب البغي فيبئسما اكتسب

وقول حجر بن عدي الكندي :

يا ربنا سلم لنا عليا
المؤمن الموحد التقيا
بل هادياً موقفاً مهديا
فيه فقد كان له وليا
سلم لنا المبارك المضيا
لا خطل الرأي ولا غويا
واحفظه ربي واحفظ النبيا
ثم ارتضاه بعده وصيا

وقول خزيمه بن ثابت الأنصاري ذو الشهادتين، وكان بدرياً :

ليس بين الأنصار في حجة الحرب
وقراع الكمأة بالقضب البيض
فأدعها تستجب فليس من الخبز
يا وصي النبي قد أجلت الحرب
واستقامت لك الأمور سوى
حسبهم ما رأوا وحسبك منا
وبين العداة إلا الطعان
إذا ما تحطم المُرَّان
رج والأوس يا علي جبان
الأعادي وسادات الأضعان
الشام وفي الشام يظهر الإذعان
هكذا نحن حيث كنا وكانوا
وقوله أيضاً :

أعائش خلي عن علي وعييه
وصي رسول الله من دون أهله
وحبك منه بعض ما تعلمينه
إذا قيل ماذا عبت رميته
وليس سماء الله قاطرة وما
بما ليس فيه إنما أنت والده
وأنتِ على ما كان من ذاك شاهده
ويكفيك لو لم تعلمي غير واحده
بخذل ابن عفان وما تلك آبه
لذاك وما الأرض الفضاء بمائده

وقول ابن بديل بن ورقاء الخزاعي :

يا قوم للحظة العظمى التي حدثت
الفاصل الحكم بالتقوى إذا ضربت
حرب الوصي وما للحرب من آسي
تلك القبائل أخماساً لأسداس

وقول عمرو بن أميمة يوم الجمل في خطبة الحسن بن علي عليه السلام بعد
خطبة عبد الله بن الزبير:

حسن الخير يا شبيهه أبيه
قمت بالخطبة التي صدع الله
وكشفت القناع فأفتضح الأمر
لست كابن الزبير لجج في القول
وأبى الله أن يقوم بما قام
أن شخصاً بين النبي - لك الخير
قمت فينا مقام خير خطيب
بها عن أبيك أهل العيوب
واصلحت فاسدات القلوب
وطاطا عنان فسل مريب
به ابن الوصي وابن النجيب
وبين الوصي غير مشوب

وقول زهير بن قيس الجعفي :

أضربكم حتى تقري لعلي
من زانه الله وسماه الوصي
خير قريش كلها بعد النبي
إن الولي حافظ ظهر الولي

كما القوي تابع أمر القوي

كتب الإمام علي عليه السلام إلى عامله في البصرة عثمان بن حنيف
الأنصاري بقدم طلحة والزبير وعائشة إلى البصرة ليطالبوا بدم عثمان، وطلب
منه أن يستوضح منهم سبب قدومهم وأن يدعوهم إلى الطاعة والرجوع إلى

الوفاء بالعهد والميثاق، فبعث عثمان أبا الأسود الدؤلي وعمران بن الحصين الخزاعي إلى عائشة ورهطها فكلماها وكلما طلحة والزبير ولما لم ينفع معهم النصح والإرشاد قال أبو الأسود الدؤلي لعثمان بن حنيف (٣١٣/٩-٣١٤):

يا ابن حنيف قد أتيت فانفِرِ وطاعن القوم وجالد وأصبرِ

وأبرز لها مستلئماً وشمّرِ

فقال ابن حنيف: اي والحرمين لأفعلن، وأمر مناديه فنادى في الناس:

-السلح السلاح!

فاجتمعوا إليه وقال أبو الأسود الدؤلي:

أتينا الزبير فداني الكلام وطلحة كالنجم أو أبعده

وأحسن قوليهما فادح يطيق به الخطب مستكده

وقد وعدونا بجهد الوعيد فأهون علينا بما أوعدوا

فأن تلقموا الحرب بين فملمقهما حدها الأنكد

وأن علياً لكم مصحرٌ ألا أنه الأسد الأسود

أما أنه ثالث العابدين بمكة والله لا يُعبده

فرخّوا الخناق ولا تعجلوا فأن غداً لكم موعد

برز علي عليه السلام يوم الجمل، فنادى بالزبير:

يا أبا عبد الله، مراراً، فخرج الزبير، فتقاربا حتى اختلفت أعناق خيلهما،

فقال له علي عليه السلام:

- إنما دعوتك لأذكرك حديثاً قاله لي ولك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أتذكر يوم رآك وأنت معتني فقال لك : -أتجبه؟ قلت : ومالي لا أحبه وهو أخي وابن خالي!

فقال (أما أنك ستحاربه وأنت ظالم له).

فاسترجع الزبير وقال :

أذكرتني ما أنسانيه الدهر.

ورجع إلى صفوفه، فقال له عبد الله ابنه،

لقد رجعت إلينا بغير الوجه الذي فارقتنا به!

فقال :

أذكرني عليّ حديثاً أنسانيه الدهر فلا أحاربه أبداً، وإني لراجع وتارككم منذ

اليوم.

فقال له عبد الله :

ما أراك إلا جنت عن سيوف بني عبد المطلب، إنها لسيوف حداد تحملها

فتية أنجاد.

فقال الزبير :

- ويلك أهجني على حربته؟ أما أني حلفت أن لا أحاربه.

قال :

كفر عن يمينك؛ لا تتحدث نساء قريش أنك جنت، وما كنت جباناً.

فقال الزبير:

غلامي مكحول حرٌ كفارة عن يميني،

ثم أنصل سنان رجمه وحمل على عسكر علي عليه السلام برمح لاسنان له

فقال علي عليه السلام:

أفرجوا له فانه محرج.

ثم عاد إلى أصحابه، ثم حمل ثانية، ثم ثالثة، ثم قال لابنه:

أجنباً ويملك ترى.

فقال:

لقد أعذرت (١٣٣/١ - ١٣٤).

لما أذكر علي عليه السلام الزبير بما ذكره به ورجع الزبير، قال:

نادى عليٌّ بأمر لست أنكره وكان عمر أبيك الخير مذ حين

فقلت حسبك من عدلٍ أبا حسنٍ بعض الذي قلت منذ اليوم يكفين

تلك الأمور التي تخشى مغبتها والله أمثل في الدنيا وفي الدين

فاخترت عاراً على نارٍ مؤججة أنى يقوم لها خلق من الطين

ولما أنصرف الزبير عن حرب علي عليه السلام، مرَّ بوادي السباع فاتبعه

عمر بن جرموز، وكان فاتكاً، فسار ابن جرموز معه، فلما حضرت الصلاة وقام

الزبير إليها شد ابن جرموز عليه فقتله، وأخذ رأسه وخاتمه وسيفه، وجاء إلى علي

عليه السلام، ولما علم الإمام أنه هو الذي قتله قال:

- والله ما كان ابن صفية جباناً ولا لثيماً، ولكن الحين ومصارع السوء، ثم

قال :

ناولني سيفه فناوله فهزه، وقال : -

سيف طالما جلى به الكرب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

فقال ابن جرموز : -

الجائزة يا أمير المؤمنين.

فقال :

أما أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ((بشر قاتل ابن

صفية بالنار)) فخرج ابن جرموز خائباً وقال (١/١٣٥-١٣٦) : -

أتيت علياً برأس الزبير أبغي به عنده الزلفه

فبشر بالنار يوم الحساب فبئست بشارة ذي التحفه

فقلت له أن قتل الزبير لولا رضاك من الكلفه

فان ترض ذاك فمنك الرضا وإلا فدونك لي حلفه

ورب المحلين والمحرمين ورب الجماعة والألفه

لسيان عندي قتل الزبير وضرطة عنز بذئ الجحفه

ثم خرج ابن جرموز على علي عليه السلام مع أهل النهروان، فقتله معهم

فيمن قتل، وكان الزبير وطلحة قد قاما في الناس، فقالا : -

إن علياً إن يظفر فهو فناؤكم يا أهل البصرة فاجمعوا حقيقتكم، فإنه لا

يبقى حرمة إلا انتهكها، ولا حريماً إلا حكته، ولا ذرية إلا قتلها ولا ذوات خدر إلا سباهن، فقاتلوا مقاتلة من يحمي عن حريمه ويختار الموت على الفضيحة يراها في أهله.

فخرج من أهل البصرة شيخ صبيح الوجه، نبيل، عليه جبة وشيء، يحض الناس على الحرب، ويقول (٢٥٥/١-٢٥٦):

يا معشر الأزد عليكم أمكم فأنها صلاتكم وصومكم
والحرمة العظمى التي تعمكم فاحضروها جدكم وحزمتكم

وقال أبو مخنف: -

لم يقل أحد من رجاز البصرة قولاً كان أحب إلى أهل الجمل من قول هذا الشيخ، استقتل الناس عند قوله، وثبتوا حول الجمل، وانتدبوا فخرج عوف بن قطن الضبي؛ وهو ينادي:

ليس لثمان ثار إلا علي بن أبي طالب وولده.

فاخذ خطام الجمل وقال:

يا أم يا أم خلا مني الوطن لا أبتغي القبر ولا أبغي الكفن
من ها هنا معشر عوف بن قطن أن فاتنا اليوم علي فالغبين
أو فاتنا ابناه حسين وحسن إذاً أمت بطول همٍّ وحزن

ثم تقدم فضرب بسيفه حتى قتل، وتناول عبد الله بن أبيزي خطام الجمل، وكان من أراد الجد في الحرب وقاتل قتال مستميت يتقدم إلى الجمل فيأخذ بخطامه،

ثم شد على عسكر علي عليه السلام وقال :

أضربهم ولا أرى أبا حسن ها إن هذا حزن من الحزن

فشد عليه علي أمير المؤمنين عليه السلام بالرمح فطعنه فقتله وقال : -

قد رأيت أبا حسن، فكيف رأيت؟

وترك الرمح فيه.

وكان عمرو بن يثرب الضبي أخذ بخطام الجمل فدفعه إلى ابنه ثم دعا إلى البراز، فخرج إليه علباء بن هيثم السدوسي فقتله عمرو، ثم دعا إلى البراز فخرج إليه هند بن عمر الجملي فقتله عمرو، ثم دعا إلى البراز، فقال زيد بن صوحان العبدي لعلي عليه السلام :

يا أمير المؤمنين، إني رأيت يداً أشرفت علي من السماء وهي تقول : هلم إلينا، وأنا خارج إلى ابن يثرب، فإذا قتلتني فادفني بدمي ولا تغسلني فإني مخاصم عند ربي، ثم خرج فقتله عمرو، ثم رجع إلى خطام الجمل مرتجماً يقول (٢٥٨/١ - ٢٥٩) :

أرديت علباء وهندا في طلق ثم ابن صوصان خضيباً في علق
قد سبق اليوم لنا ما قد سبق والوتر منا في عدي ذا الفرق
والأشتر الغاوي وعمرو بن الحمق والفراس المعلم في الحرب الحنق
ذاك الذي في الحادثات لم يطق أعني علياً ليته فينا مزق

وأن عمرواً لما قتل من قتل وأراد أن يخرج لطلب البراز، قال للأزد :

- يا معشر الأزد إنكم قوم لكم حياء وبأس، وأني قد وترت القوم، وهم قاتلي، وهذه أمكم نصرها دين، وخذلانها عقوق ولست أخشى أن أقتل حتى أصرع، فإن صرعت فاستنقذوني.

فقال له الأزد:

ما في الجمع أحد نخافه عليك إلا الأشر.

قال:

فإياه أخاف.

فقيضه الله له، فقد علما جميعاً فارتجز الأشر:

أني إذا ما الحرب أبدت	وأغلقت يوم الوغى أبوابها
ومزقت من حنق أثوابها	كنا قداماها ولا أذناها
ليس العدو دوننا أصحابها	من هابها اليوم فلن أهابها

لاطعنها أخشى ولا ضرأبها

ثم حمل عليه فطعنه فصرعه فحامت عنه الأزد فاستنقذوه فوثب وهو وقيد ثقيل فلم يستطع أن يدفع عن نفسه واستعرضه عبد الرحمن بن طود البكري، فطعنه فصرعه ثانية، ووثب عليه رجل من سدوس فأخذه مسحوباً برجله حتى أتى به علياً عليه السلام فناشده الله فقال:

يا أمير المؤمنين أعف عني فإن العرب لم تزل قائلة عنك إنك لم تجهز على

جريح قط، فأطلقه، وقال:

إذهب حيث شئت، فجاء إلى أصحابه وهو لما به، ولما انكشفت الحرب
شكرت ابنة عمرو بن يثربي الأزدي وعابت قومها، فقالت :

يا ضب إنك قد فجعت بفارسٍ	حامي الحقيقة قاتل الأقران
عمرو بن يثرب الذي فجعت به	كل القبائل من بني عدنان
لم يحمه وسط العجاجة قومه	وحنت عليه الأزدي أزد عمان
فلهم عليّ بذاك حادث نعمةٍ	ولحبهم احببت كل يماني
لو كان يدفع عن منية هالكٍ	طول الأكف بذابل المُرَّان
أو معشر وصلوا الخطا بسيوفهم	وسط العجاجة والحتوف دوان
ما نيل عمرو والحوادث جمّة	حتى ينال النجم والقمران
لو غير الأشتر ناله لندبته	وبكيتته ما دام هضب أبان
لكنه من لا يعاب بقتله	أسد الأسود وفارس الفرسان

وخرج عبد الله بن خلف الخزاعي، وهو رئيس البصرة وأكثر أهلها مالاً
وضياعاً، فطلب البراز، وسأل أن لا يخرج إليه إلا علي عليه السلام، وارتجز
فقال :

أبا تراب أدنُ مني فترا فإنني وأن إليك بشرا

وأن في صدري عليك عمرا

فخرج علي عليه السلام فلم يمهل أن ضربه ففلق هامته.

وروي أن شعاره عليه السلام كان في ذلك اليوم ((قسم لا ينصرون اللهم

انصرنا على القوم الناكثين)).

وفي اليوم الثالث خرج أول الناس عبد الله بن الزبير ودعا إلى المبارزة فبرز إليه الأشتر، فقالت عائشة:

من برز إلى عبد الله؟

قالوا:

-الأشتر.

فقالت:

واثكل أسماء.

فضرب كل منهما الآخر فجرحه، ثم اعتنقا فصرع الأشتر عبد الله وقعد على صدره، واختلط الفريقان، هؤلاء لينقدوا عبد الله وهؤلاء ليعينوا الأشتر. وكان الأشتر طاوياً ثلاثة أيام لم يطعم، وهذه عادته في الحرب، وكان أيضاً شيخاً عالي السن، فجعل عبد الله ينادي:

أقتلوني ومالكاً واقتلوا مالكاً معي

وأفلت ابن الزبير من تحته ولم يكد، فذلك قول الأشتر (٢٦٢/١-٢٦٣):

أعائش لولا أنني كنت طاوياً ثلاثاً لألفيت ابن أختك هالكا
غداة ينادي والرجال تحوزه بأضعف صوت اقتلوني ومالكاً
فلم يعرفوه إذ دعاهم وغممه خدبٌ عليه في العجاجة باركا
فنجاه مني أكله وشبابه وأنني شيخ لم أكن متماسكا

وقالت على أي الخصال جرعته بقتلٍ أتى أم ردة لا أبا لكا
أم المحصن الزاني الذي حل قتله فقلت لها لا بد من بعض ذلكا

والبيتان الأخيران جواب على سؤال عائشة من مالك بن الحارث الأشر بعد
انقضاء أمر الجمل، هو أنه هو الذي صنع بابن أختها ابن الزبير ما صنع فأجابها:
- نعم، ولولا أنني كنت طاوياً ثلاثة أيام لا رحمت أمة محمد منه، فذكرته بحديث
رسول الله صلى الله عليه وآله إذ قال: ((لا يحل دم مسلم إلا بأحد ثلاثة أمور:
كفر بعد أيمان، أو زنا بعد إحصان، أو قتل نفس بغير حق))

فقال الأشر:

على بعض هذه الثلاثة قاتلناه يا أم المؤمنين.

وقال ذلك الشعر.

وانتهى الحارث بن زهير الأزدي من أصحاب علي عليه السلام إلى الجمل
ورجل أخذ بخطامه لا يدنوا منه أحد إلا قتله، فلما رآه الحارث بن زهير مشى إليه
بالسيف وارتجز فقال لعائشة (٢٦٤/١):

يا أمنا أحقَّ أم نعلم والأم تغذو ولدها وترحم
أما ترين كم شجاع يكلم وتُختلى هامته والمعصم

فاختلف هو والرجل ضربتين فكلاهما أثخن صاحبه.

فخرج خباب بن عمرو الراسبي، وهو من عسكر أهل البصرة (٢٦٤/١):

أضربهم ولو أرى عليا عمته أبيض مشرفيا

أربح منه معشراً غويًا

فصمد عليه الأشر فقتله.

ثم تقدم عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد العاص بن أمية بن عبد شمس، وهو من أشرف قريش - وكان اسم سيفه (وَلَوْل) فارتجز فقال (٢٦٥/١):

أنا ابن عتاب وسيضي ولول والموت دون الجمل المجلل

طاف علي عليه السلام على أصحابه وهو يقرأ آيات من القرآن ما تشد من عزيمتهم ثم رفع مصحفاً بيده فقال: -

من يأخذ هذا المصحف فيدعوهم إلى ما فيه، وله الجنة؟ ، فقام غلام اسمه (مسلم) عليه قباء أبيض، فقال:

أنا آخذه.

فنظر إليه علي عليه السلام وقال:

إن أخذته فيدك اليمنى تقطع فتأخذه بيدك اليسرى فتقطع ثم تضرب بالسيف حتى تقتل.

فقال:

لا صبر لي على ذلك.

فنادى علي ثانية، فقام الغلام، أعاد عليه القول، أعاد الغلام القول مراراً،

حتى قال الغلام:

أنا آخذه، وهذا الذي ذكرت في الله قليل.

فأخذه وانطلق، فلما خالطهم ناداهم : -

هذا كتاب الله بيننا وبينكم فضربه رجل فقطع يده اليمنى فتناوله باليسرى
فضربه آخر فقطع اليسرى فاحتضنه فضربوه بأسيافهم حتى قتل، فقالت أم ذريح
العبدية في ذلك (١١٢/٩) :

يا رب إن مسلماً أتاهم بمصحف أرسله مولاهم
للعدل والأيمان قد دعاهم يتلو كتاب الله لا يخشاهم
فخضبوا من دمه ضباهم وأمهم واقفة تراهم
تأمرهم بالغى لا تنهاهم

وكان الإمام علي عليه السلام قد مر بطلحة وهو يكبد بنفسه، فوقف عليه
فقال : -

أما والله إن كنت لأبغض أن أراكم مصرعين في البلاد، ولكن ما حتم واقع
ثم تمثل (١١٣/٩-١١٤) :

وما تدري إذا أزمعت أمراً بأي الأرض يدركك المقييل
وما يدري الفقير متى غناه ولا يدري الغني متى يعيل
وما تدري إذا ألحقت شولاً أتنتج بعد ذلك أم تحيل

وقيل أن حكيم بن جبلة - ويعد أشجع العرب - أنه قطعت رجله يوم
الجمل فأخذها بيده، وزحف على قاتله فضربه بها حتى قتله وهو يقول
(٥٦/١٨) :

يا نفس لا تراعي إن قطعت كراعي

إن معي ذراعي

فلا يعرف في العرب أحد صنع صنيعه.

دفع أمير المؤمنين عليه السلام يوم الجمل رايته إلى محمد ابنه وقد استوت

الصفوف وقال له :

احمل.

فتوقف قليلاً، فقال له :

احمل.

فقال :

يا أمير المؤمنين أما ترى السهام كأنها شأيب المطر؟

فدفع في صدره فقال :

أدركك عرق من أمك.

ثم أخذ الراية فهزها، ثم قال :

اطعن بها طعن أبيك تحمداً لا خير في الحرب إذا لم توقد

ثم حمل وحمل الناس خلفه فطحن عسكر البصرة، وبعد أن ضعضع أركان

عسكر الجمل، دفع إلى محمد الراية وقال :

امسح الأولى بالأخرى، وهذه الأنصار معك، وضم إليه خزيمة بن ثابت ذا

الشهادتين، في جمع من الأنصار، كثر منهم من أهل بدر، فحمل حملات كثيرة
أزال بها القوم عن مواقعهم وأبلى بلاءً حسناً، فقال الأنصار:

يا أمير المؤمنين، لولا ما جعل الله - تعالى - للحسن والحسين لما قدمنا على
محمد أحداً من العرب.

فقال خزيمة بن ثابت فيه (٢٤٣/١-٢٤٥):

محمد ما في عودك اليوم وصمة	ولا كنت في الحرب الضروس معرّدا
أبوك الذي لم يركب الخيل مثله	عليّ، وسماك النبي محمدا
فلو كان حقاً من أبيك خليفة	لكنت، ولكن ذاك ما لا يرى بدا
وأنت بحمد الله أطول غالب	لساناً، وأنداها بما ملكت يدا
وأقربها من كل خير تريده	قريش وأوفاهها بما قال موعدا
وأطعنهم صدر الكمي برمحه	وأكساهم للهام غضباً مهندا
سوى أخويك السيدين كلاهما	من الأرض أوفي الأوج مرقى ومصعدا

ومن الأراجيز المحفوظة يوم الجمل لعسكر البصرة قول بعضهم (١٢٥٤ -

: (٢٥٥)

نحن بني ضبة أصحاب الجمل	ننازل الموت إذا الموت نزل
تنعى ابن عفان بأطراف الأسل	ردوا علينا شيخنا ثم بجل
الموت أحلى عندنا من العسل	لا عار في الموت إذا حان الأجل
إن علياً هو من شر البديل	إن تعدلوا بشيخنا لا يعتدل

أين الوهاد وشماريخ القل

فأجابه رجل من عسكر الكوفة من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام

نحن قتلنا نعثلاً فيمن قُتل أكثر من أكثر فيه أو أقل
أنى يُرد نعثل وقد قحل نحن ضربنا وسطه حتى انجدل
لحكّمه حكم الطواغيت الأول آثر في الفيء وجافى في العمل
فأبدل الله به خير بدل أني أمرؤ مستقدم غير وكل

مشمر للحرب معروف بطل

ومن أراجيز أهل البصرة:

يا أيها الجند الصليب الإيمان قوموا قياماً واستغيثوا الرحمن
أنى أتاني خبر ذو ألوان أن علياً قتل ابن عفان
ردوا إلينا شيخنا كما كان يا رب وأبعث ناصرأ لعثمان

يقتلهم بقوة وساطان

فأجابه رجل من عسكر الكوفة:

أبت بيتوت مذحج وهمدان بأن تبرد نعثلاً كما كان
خلقاً سوياً بعد خلق الرحمن وقد قضى بالحكم حكم الشيطان
وفارق الحق ونور الفرقان فذاق كأس الموت شرب الظمآن

ومن الرجز المشهور المقول يوم الجمل، قاله أهل البصرة:

يا أمنا عاءش لا تراعي كل بنيك بطل المصاع

وحولك اليوم رجال شنوه وحي همدان رجال الهبوه
والمالكين القليو الكبوه والأزد حي ليس فيهم نبوه

ونختتم فقرة (وقعة الجمل) بقوله عليه السلام: (دماؤكم زعاق)، أي ملح.
وهذا وإن لم يكن من أفعالهم إلا أنه مما تدم به المدينة، ولا ذنب لأهلها في
أنها بلاد الحمى والسباع، كما قال الشاعر (٢٥٢/١):

بلاد بها الحمى وأسد عرينة وفيها المعلى يعتدي ويجور
فأني لمن قد حل فيها لراحم وانبي لمن لم يأتها لنذير

ولقوله عليه السلام عند خروجه لقتال أهل البصرة (١٨٥/٢):

((ما لي ولقريش؟ والله لقد قاتلتهم كافرين، وأقاتلهم مفتونين)).

استشهد بقول هاشم بن عتبة المرقال، يذكر نفور أهل الكوفة إلى علي عليه

السلام (١٨٨/٢):

وسرنا إلى خير البرية كلها على علمنا إننا إلى الله نرجع
نوقره في فضله ونجلّه وفي الله ما نرجو وما نتوقع
ونخصف إخفاق المطي على الوجا وفي الله ما نرجو وفي الله نرجع
دلفنا بجمع آثروا الحق والهدى إلى ذي تقى في نصره نتسرع
نكافح عنه والسيوف شهيرة تصافح اعناق الرجال فتقطع

٧ - وقعة صفين

١ - الوصي : - قبل الخوض في واقعة صفين أرى أن أذكر بعض الشعر الذي ذكر الإمام علي عليه السلام بعده وصياً بعد الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو واحد من الأدلة على أحقية الإمام بخلافة المسلمين.

ذكر نصر بن مزاحم بن يسار المنقري في كتابه (صفين) جملة من الأشعار تتضمن تسميته عليه السلام بالوصي، وقال نصر بن مزاحم، قال زهير بن قيس الجعفي (١٤٧/١) :

فصلى الإله على أحمد	رسول المليك تمام النعم
رسول المليك ومن بعده	خليفة الفائم المدعم
علياً عنيت وصي النبي	بجالد عنه غواة الأمم

ومن الشعر المنسوب إلى الأشعث بن قيس :

أتانا الرسول رسول الإمام	فسر بمقدمه المسلمونا
رسول الوصي وصي النبي	له الفضل والسبق في المؤمنينا
بما نصح الله والمصطفى	رسول الإله النبي الأمينا

يجاهد في الحق لا ينثني
وصي النبي وذو صهره
وكم بطل ماجد قد أذاق
وكم فارسٍ كان سال النزال
فذاك عليُّ إمام الهدى
وكان إذا دعا للنزال
جميع الطفاة مع الجاحدين
وسيف المنية في الظالمينا
منية حتفٍ من الكافرينا
فآب الى النار في الآيينا
وغيث البرية والمحمينا
كليث عرين يزين العرينا

ومن الشعر المنسوب إلى الأشعث أيضاً (١٤٨/١):

أتانا الرسول رسول الوصي
رسول الوصي وصي النبي
وزير النبي وذو صهره
له الفضل والسبق في الصالحات
محمدأ أعني رسول الإله
أجبننا علينا بفضل له
فقيه حليم له صولة
حليم عفيف وذو نجدة
عليُّ المهذب من هاشم
وخير البرية في العالم
وخير البرية من قائم
لهدي النبي به يأتني
وغيث البرية والخاتم
وطاعة نصح له دائم
كليث عرين بها سائم
بعيد من الغدر والمائم

١ - الوقعة : - بعد أن انتهى الإمام عليه السلام من وقعة الجمل قدم إلى

الكوفة يوم الاثنين لثني عشرة ليلة مضت من رجب سنة ست وثلاثين.ومعه
أشراف الناس وأهل البصرة، استقبله أهل الكوفة وفيهم قراؤهم وأشرافهم فنزل

الرحبة وأقبل حتى دخل المسجد الأعظم فصلّى فيه ركعتين ثم صعد المنبر وخطب وان علياً عليه السلام حين قدم من البصرة نزع جريراً همدان، فجاء حتى نزل الكوفة؛ فأراد علي عليه السلام أن يبعث إلى معاوية رسولاً فقال له جرير:

ابعثني إلى معاوية فإنه لم يزل مستنصحاً وودا فآتيه فأدعوه على أن يسلم لك هذا الأمر، ويجمعك على الحق، على أن يكون أميراً من أمرائك وعاملاً من عمالك.

وعلى الرغم من معارضة الأشر ببعثه عليه السلام وقال له حين أراد أن يبعثه:

- إن حولي من أصحاب رسول الله عليه السلام من أهل الدين والرأي من رأيت، وقد اخترتك عليهم لقول رسول الله عليه السلام فيك: ((إنك من خير ذي يمن، أيت معاوية بكتابي، فإن دخل فيما دخل فيه المسلمون وإلا فانبذ إليه وأعلمه أني لا أرضى به أميراً. وأن العامة لا ترضى به خليفة.

فانطلق جرير إلى الشام وسلم معاوية كتاب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بعد أن ألقى كلمة موجزة دعا إلى مبايعة الإمام علي عليه السلام.

فقرأه وأغتم بما فيه، وذهبت به أفكاره كل مذهب، وطاول صبراً بالجواب عن الكتاب، حتى كَلَّم قوماً من أهل الشام في الطلب بدم عثمان فأجابوه ووثقوا له. واستشار أخاه عتبة بن أبي سفيان، فقال له: -

استعن بعمر بن العاص.

فكتب إليه معاوية يستقدمه ليستشيريه، ولما قدم كتاب معاوية إلى عمرو استشار ابنه عبد الله ومحمد، فأشار عليه عبد الله بعدم الذهاب فيما أشار محمد عليه بالذهاب، فقال عمرو:

أما أنت يا عبد الله فأمرتني بما هو خير لي في ديني، وأنت يا محمد فأمرتني بما هو خير لي في دنياي، وأنا ناظر.

فلما جنَّ الليل رفع صوته وأهله يسمعون فقال (٦٢/٢-٦٣):

تطاول ليلي بالهموم الطوارقِ	وخوف التي تجلو وجوه العوائق
وإن ابن هند سألني أن أزوره	وتلك التي فيها بنات البوائق
أتاه جريـر من عليّ بخطبةٍ	أمرت عليه العيش ذات مضائق
فإن نال مني ما يؤمل رده	وإن لم ينلـه ذلٌّ ذلُّ المطابق
فو الله ما أدري وماكنت هكذا	أكون ومهما قادني فهو سابق
أخادعه أن الخداع دنيـة	أم أعطيه من نفسي نصيحة وامق
أم أقعد في بيتي وفي ذاك راحة	لشيخ يخاف الموت في كل شارق
وقد قال عبد الله قولاً تعلقـت	به النفس إن لم تقتطعني عوائق
وخالفه فيه أخوه محمد	وإنـي لصلب العود عند الحقائق

على الرغم من نصيحة غلامه وردان بلزوم بيته بقوله:

فإن ظهر أهل الدين عشت في عفو دينهم وإن ظهر أهل الدنيا لم يستغنوا

عنك.

أقول، على الرغم من ذلك رحل إلى معاوية وهو يقول (٣٦/٢):

ياقاتل الله ورداناً وقدحته
أبدى لعمرك ما في النفس وردان
لما تعرضت الدنيا عرضت لها
بحرص نفسي وفي الأطباع أدهان
نفسى تعف وأخرى الحرص يغلبها
والمرء يأكل تبناً وهو غرثان
أما عليّ فدين ليس يشركه
دنيا وذاك له دنيا وسلطان
فاخترت من طريف دنياً على بصير
وما معي بالذي أختار برهان
أنى لأعرف ما فيها وأبصره
وفيّ أيضاً لما أهواه ألوان
لكن نفسي تحب العيش في شرف
وليس يرضى بذل العيش إنسان

عندما التقى معاوية في الشام قال له :

-أبا عبد الله طرقتنا في ليلتنا ثلاثة أخبار ليس فيها ورد ولا صدر

قال عمرو:

وما ذاك؟

قال معاوية :

منها أن محمداً بن حذيفة كسر سجن مصر فخرج هو وأصحابه، وهو من آفات هذا الدين، ومنها أن قيصرأ زحف بجماعة الروم ليغلب على الشام، ومنها أن علياً نزل الكوفة وهياً للمسير إلينا.

فقال عمرو:

ليس كل ما ذكرت عظيماً؛ أما ابن أبي حذيفة، فما يتعاطمك من رجل

خرج في أشياعه أن تبعث إليه رجلاً يقتله، أو يأتيك به، وإن قاتل لم يضرك وأما قيصر فاهد له الوصائف وآنية الذهب والفضة، وسيلة المودعة، فإنه إليها سريع، وأما علي والله يا معاوية ما يسوى العرب بينك وبينه في شيء من الأشياء، وإن له في الحرب لحظاً ما هو لأحدٍ من قريش، وإنه لصاحب ما هو فيه إلا أن تظلمه.

قال معاوية لعمرو:

- يا أبا عبد الله: إني أدعوك إلى جهاد هذا الرجل الذي عصى الله وشق عصا المسلمين، وقتل الخليفة وأظهر الفتنة وفرق الجماعة وقطع الرحم.

فقال عمرو:

من هو؟

قال:

علي ...

قال:

والله يا معاوية ما أنت وعلي بجملي بعير، ليس لك هجرته ولا سابقته، ولا صحبته ولا جهاده، ولا فقهه ولا علمه، والله أن له - مع ذلك - لحظاً في الحرب ليس لأحدٍ غيره، ولكن قد تعودت من الله تعالى إحساناً وبلاءً جميلاً؛ فما تجعل لي إن شايعتك على حربيه، وأنت تعلم ما فيه من الغرر والخطر؟

قال:

حكّمك .

فقال :

مصر طعمة.

فتلكأ عليه معاوية وقال له : -

- يا أبا عبد الله إني أكره لك أن تتحدث العرب عنك أنك إنما دخلت في هذا

الأمر لغرض الدنيا.

قال عمرو :

لا ، لعمر الله ما مثلي يخدع ، لأننا أكيس من ذلك.

قال معاوية :

إذنُ مني أسارك.

فدنا منه عمرو ليساره ، فعرض معاوية أذنه وقال :

هذه خدعة! هل ترى في البيت أحداً؟ ليس غيري وغيرك.

فأنشأ عمرو يقول (٦٤/٢-٦٦) :

به منك دينا فانظرن كيف تصنع
أخذت بها شيخاً يضر وينفع
لأخذ ما تعطي ورأسي مقنَّع
لأخذ ، كلا ، والمخادع يخدع
وأكفي أن زلت النعل أصرع
وأنني بذا المنوع قدماً لمولع

معاوي لا أعطيك ديني ولم أنل
فان تعطني مصرأ فأربح بصفقةٍ
وما الدين والدنيا سواء وإنني
ولكنني أغضي الجفون وأنني
وأعطيك أمراً فيه للملك قوةٌ
وتمنعني مصرأ وليست برغبةٍ

فقال معاوية :

يا أبا عبد الله، أما تعلم أن مصر مثل العراق؟

قال :

بلى، ولكنها إنما تكون لي إذا كانت لك، إنما تكون لك، إذا غلبت علياً
على العراق.

وقد كان أهل مصر بعثوا بطاعتهم إلى علي عليه السلام.

فلما حضر عتبة بن أبي سفيان، قال لمعاوية :

-أما ترضى أن تشتري عمرواً بمصر إن هي صفت لك؟ ليتك لا تغلب

على الشام.

فقال معاوية :

-يا عتبة بت عندنا الليلة.

فلما جنَّ الليل على عتبة رفع صوته لسمع معاوية، وقال (٦٦/٢-٦٧) :

أيها المانع سيفاً لم يهز	إنما ملت على خبزٍ وقز
إنما أنت خروف ماثلٌ	بين ضرعين وصوف لم يجز
اعطِ عمرواً إن عمرواً تارك	دينه اليوم لـدنيا لم تحز
يا لك الخير فزن من درّة	شخبة الأول وابعد ما غرز
واسحب الذيل وبادر فوقها	وانتهزها إن عمرواً ينتهز
اعطه مصرراً وزده مثلها	إنما مصر لمن عزّ فبز

واترك الحرص عليها ضلّةً
واشعب النار لمقرور يَكز
إن مصرراً لعلّي أو لنا
يغلب اليوم عليها من عجز

فلما سمع معاوية قول عتبة، أرسل إلى عمرو فأعطاه مصر.

وكان لعمرو بن العاص عمٌ من بني سهم، وهو فتىٌ شاب، وكان داهية حليماً، وجاءه من مصر فلما جاء عمرو بالكتاب مسروراً عجب الفتى، وقال:

ألا تخبرني يا عمرو بأي رأي نعيش في قريش؟ أعطيت دينك وعفيت ديناً
غيرك! أتري أهل مصر - وهم قتلة عثمان - يدفعونها إلى معاوية وعلّي حي؟
وأتراها إن صارت لمعاوية لأخذها بالحرف الذي قدمه في الكتاب؟

فقال عمرو:

- يا ابن أخي إن الأمر لله دون علي ومعاوية. فقال الفتى (٦٨/٢-٦٩):

رُمي عمرو بداهية اليبلاذ	ألا يا هند أخت بني زياد
بعيد القعر مغشي الكباد	رمي عمرو بأعور عبشمي
مزخرفة صوائد للفؤاد	له خُدع يحار العقل منها
ينادي به بخدعته المنادي	فشرط في الكتاب عليه صرفاً
كلا المرأين حية بطن واد	وأثبت مثله عمرو عليه
ولا ملت الغداة إلى الرشاد	ألا يا عمرو ما أحرزت مصرراً
فكنت بها كوافد قوم عاد	وفدت إلى معاوية بن حرب
بطرس فيه نصح من مداد	وأعطيت الذي أعطيت منها

ألم تعرف أباح حسنٍ علياً
عدلت به معاوية بن حربٍ
ويا بُعد الأصابع من سهيلٍ
أتأمن أن تذال على خديٍّ
وما نالت يداه من الأعادي
ويا بُعد البياض من السواد!
ويا بُعد الصلاح من الفساد!
يحث الخيل بالأسل الحداد
قريب فأنظرن مَنْ ذا تعادي
ينادي بالنزال وأنت منه

فقال عمرو:

يا ابن أخي، لو كنت عند علي لوسعني، ولكني الآن عند معاوية.

قال الفتى:

انك لو لم تُرد معاوية لم يردك؛ ولكنك تريد دنياه وهو يريد دينك.

وبلغ معاوية قول الفتى فطلبه فهرب فلحق بعلي عليه السلام فحدّثه أمره

فسرّ به وقربه، فغضب مروان وقال:

ما بالي لا أشتري كما أشتري عمرو؟

فقال معاوية:

إنما يشتري الرجال لك.

فلما بلغ علياً ما صنع معاوية قال (٦٩/٢-٧٠):

يا عجباً لقد سمعت منكراً
يشرق السمع ويعشي البصراً
أن يقرنوا وصيّه والأبـترا
كذبا على الله يشين الشعرا
ما كان يرضى أحمداً لو أخبرا
شاني الرسول والوصي الأخرزا

كلاهما في جنده قد عسكرا	قد باع هذا دينه فأفجرا
من ذا بدنيا بيعه قد خسرا	يملك مصر إن أصاب الظفرا
أنني إذا الموت دنا أو أحضرا	شمرت ثوبي أو دعوت قنبرا
قدم لوائي لا تؤخر حذرا	لا يدفع الحذار ما قد قُدرًا
لما رأيت الموت موتاً أحمرًا	عبأت همدان وعبّوا حميرا
حيّ يمانٍ يعظون الخطرا	قِرْن إذا ناطح قرنًا كسرا
قل لأبن حرب لا تدب الخمرًا	ارود قليلاً أبدٍ منك الضجرا
لا تحسبن يا ابن هند غمرا	وسل بنا بدرًا بنا وخيبرا
يوم جعلناكم ببدرٍ جزرا	إذ وردوا المرفذموا الصِّدرا
لو ان عندي يا ابن هند جعفرًا	أوحمزة القرم السهام الأزهرًا

رأت قريش نجم ليل أظهرًا

ودعا معاوية بعض أصحابه وخاصته من رؤوس قحطان واليمن وبني عم شرحبيل بن السمط، فأمرهم أن يلقوه ويخبروه أن علياً قتل عثمان، فلما قدم كتاب معاوية على شرحبيل، وهو بمحصر، استشار أهل اليمن فاختلفوا عليه، فقام إليه عبد الرحمن بن غنم الأزدي، وهو صاحب معاذ بن جبله وختنه، وكان أفاقه أهل الشام، ودعا شرحبيل أن يسير إلى علي عليه السلام فيبايعه عن الشام وقومه شرحبيل إلا أن يسير إلى معاوية، فكتب إليه عياض الشمالي، وكان ناسكاً

: (٧٢-٧١/٢)

يا شرح يا ابن السمط إنك بالغ
 وشرح أن الشام شامك ما بها
 فإن ابن هند ناصب لك خدعة
 فان نال ما يرجو بنا كان ملكنا
 فلا تبغين حرب العراق فإنها
 وإن علياً خير من وطئ الثرى
 له في رقاب الناس عهد وذمة
 فبايع ولا ترجع على العقب كافراً
 ولا تسمعن قول الطفافة فإنهم
 وماذا عليهم أن تطاعن دونهم
 وإن غلبوا لم يصل بالخطب غيرنا
 يهون على عليا لؤي بن غالب
 فدع عنك عثمان بن عفان إنما
 على أي حال كان مصرع جنبه

بود علي ما تريد من الأمر
 سواك فدع عنك المضلل من فھر
 تكون علينا مثل راغية البكر
 هنيئاً له، والحرب قاصمة الظهر
 تحرّم أطهار النساء من الزھر
 من الهاشميين المدارك للوتر
 كعهد أبي حفص وعهد أبي بكر
 أعيذك بالله العزيز من الكفر
 يريدون أن يلقوك في لجة البحر
 وكنا بحمد الله من وكد الطھر
 وكان علي حربنا آخر الدهر
 دماء بني قحطان في ملككم تجري
 لك الخير لا تدري بأنك لا تدري
 فلا تسمعن قول الأعيور أو عمرو

ولما أبطأ جرير عند معاوية على الإمام كتب إلى جرير بعد ذلك :

"أما بعد فإذا أتاك كتابي هذا فاحمل معاوية على الفصل، وخذه بالأمر
 الجزم، ثم خيره بين حرب مُجَلِّية أو سلم مُحْظية فإن اختار الحرب فانبذ له، وإن
 اختار السلم فخذ بيعته".

فلما انتهى الكتاب إلى جرير أتى معاوية فأقرأه الكتاب، فقال له: يا معاوية أنه لا يطبع على قلب إلا بذنب، ولا يشرح صدر إلا بتوبة، ولا أظن قلبك إلا مطبوعاً، أراك وقفت بين الحق والباطل كأنك تنتظر شيئاً في يدي غيرك.

فلما بايع أهل الشام وذاقهم قال معاوية:

يا جرير الحق بصاحبك.

وكتب إليه وكتب أسفل كتابه بقول كعب بن جعيل شاعر أهل الشام

(١٢٧/٢ - ١٢٨):

أرى الشام تكره أهل العراق	وأهل العراق لهم كارهونا
وكل لصاحبه مـبغض	يرى كل ما كان من ذلك دينا
إذا ما رمونا رميناهمو	ودنّاهمو مثلما يقرضونا
وقالوا عليّ إمام لنا	فقلنا رضينا ابن هند رضينا
وقالوا نرى أن تدينوا لنا	فقلنا ألا لا نرى أن نديننا
ومن دون ذلك خرط القتاد	وطعن وضرب يقر العيوننا
وكل يُسُّر بما عنده	يرى غث ما في يديه سميننا
وما في عليّ لمستعتب	مقال سوى ضمّه المحدثينا
وإثاره اليوم أهل الذنوب	ورفع القصاص من القاتلينا
إذا سئل عنه حذا شبهةً	وعمى الجواب على السائلينا
فليس براضٍ ولا ساخطٍ	ولا في النهاية ولا الأمرينا

ولا هو ساء ولا سره^{هـ} ولا بد من بعض ذا أن يكونا

وكان مع الإمام علي عليه السلام رجل من طي، ابن أخت لجريز، فحمل
زهير بن قيس (حامل كتاب الإمام إلى جريز) شعراً له إلى خاله جريز وهو
:(٧٢-٧١/٣)

جريز بن عبد الله لا تردد الهدى	وبايع علياً إنني لك ناصح
فإن علياً خير من وطئ الحصا	سوى أحمد، والموت غادر ورائح
ودع عنك قول الناكثين فإنما	أولاك - أبا عمرو - كلاب نوابح
وبايع إذا بايعته بنصيحة	ولا يك منها في ضميرك قاذح
فإنك إن تطلب به الدين يقضه	وإن تطلب الدنيا فإنك رابح
وان قلت عثمان بن عفان حقه	علي عظيم والشكور مناصح
وحق علياً إذ وليك كحقه	وشكرك ما أوليت في الناس صالح
وإن قلت لا أرضى علياً إمامنا	فدع عنك بحراً ضل فيه السوابح
أبى الله إلا أنه خير دهره	وأفضل من ضمت عليه الأباطح

وكان جريز بن عبد الله البجلي قد خطب في أهل همدان فأخبرهم أن
الولاية تمت لعلي عليه السلام غير أن (طلحة والزبير نقضا بيعته...) وألبا عليه
الناس ثم لم يرضيا حتى نصبا له الحرب، ثم قال (٧٣-٧٢/٣) :

أتانا كتاب عليّ فلم	نرد الكتاب بأرض العجم
ولم نعص ما فيه لما أتى	ولمّا نذم ولّمّا نلّم

ونحن ولادة على ثغرننا
 نساقبهم الموت عند اللقاء
 طحنناهم طحنة بالقنا
 مضينا يقيناً على ديننا
 أمين الإله وبرهانه
 رسول المليك ومن بعده
 علي عيّت وحيي النبي
 له الفضل والسبق والمكرمات
 فسر الناس بخطبة جرير وشعره.

وقال ابن الأوزر القسري في جرير يمدحه في ذلك (٧٣/٣):

لعمري أيبك والأنباء تُنمى
 وقال مقالة جدعت رجلاً
 بدابك قبل أمته علي
 أتاك بأمره زحر بن قيس
 فكنت بما أتاك به سمياً
 فأنت بما سعدت به وزير
 فأحرزت الثواب، ورب حاد
 ليهنك ما سقيت به رجال
 لقد جلى بخطبته جرير
 من الحيين خطبهم كبير
 وفخك أن أردت الحق رير
 وزحر بالتي حدثت خبير
 وكدت إليه من فرح تطير
 ونعم المرء أنت له أمير
 حدا بالركب ليس له بعير
 من العلياء والفضل الكبير

وبعد أيام من خطبته جرير ودعوته أهل الشام ومعاوية إلى مبايعة علي عليه السلام خطب معاوية في أهل الشام ودعاهم إلى الأخذ بثأر عثمان والى مبايعته، فقام أهل الشام فأجابوه إلى الطلب بدم عثمان، فلما أمسى معاوية أغتم بما هو فيه وجنه الليل وعنده أهل بيته، فقال (٧٣/٣) :

تطاول ليلي واعترتني وساوسي	لأتِ أتى بالترهات البسابس
أتانا جرير والحوادث جمّة	بتلك التي فيها أجداع المعاطس
أكابده والسيف بيني وبينه	ولست بأثواب الدنيّ بلابس
إنّ الشام أعطت طاعة يمنية	تواضعها أشياخنا في المحالس
فان يجمعوا أصدماً علياً بجهة	تفتُّ عليها كل رطب ويابس
وأني لأرجو خير ما نال نائل	وما أنا من ملك العراق بأيس
وَألا يكون عند ظني بنصرهم	وأن يخلفوا ظني كف عابس

اجتمع شرحبيل بجرير بن عبد الله البجلي عند حصين بن نمير بناء على طلب الأول فقال شرحبيل :

يا جرير . أتيتنا بأمر ملفّف لتلقنا في لهوات الأسد، وارتدت أن تخلط الشام بالعراق، وأطريت علياً، وهو قاتل عثمان، والله سائلك عما قلت يوم القيامة.
فقال جرير : -

يا شرحبيل، أما قولك أني جئت بأمر ملفّف، فكيف يكون ملفّفاً وقد اجتمع عليه المهاجرون والأنصار، وقوتل على رده طلحة والزبير! وأما قولك أني

القيك في لهوات الأسد، ففي لهواتها ألقيت نفسك، وأما خلط أهل الشام بالعراق فخلطهما على حق خير من فرقتهما على باطل.

فبلغ ما قالاه إلى معاوية فبعث إلى جرير فزجره . . . فكتب جرير كتاباً إلى شرحبيل قال فيه (٨١-٨٠/٣) :

شرحبيل يا ابن السمط لا تتبع الهوى
لاتك كالمجري إلى شر غاية
وقل لأبن حرب مالك اليوم خلّة
شرحبيل أن الحق قد جدّ جدّه
وأرود ولا تفرط بشيءٍ نخافه
مقال ابن هند في علي عضيهة
وما من علي في ابن عفان سقطة
وما كان إلا لازماً نصر بيته
فمن قال قولاً غير هذا فحسبه
وصي رسول الله من دون أهله
فما لك في الدنيا من الدين من بدل
فقد خرق السريال واستتوق الجمل
تروم بها ما رمت وأقطع بها الأمل
فكن فيه مأمون النديم من النفل
عليك، ولا تعجل، فلا خير في العجل
ولله في صدر ابن أبي طالب أجل
بقول، ولا مالاً عليه ولا قتل
إلى أن أتى عثمان في داره الأجل
من الزور والبهتان يعرض الذي أحتمل
ومن باسمه في أهله يضرب المثل

ولما قرأ شرحبيل الكتاب ذعر وفكر، وقال :

هذه نصيحة لي في ديني ودنياي، ولا والله لا أعجل في هذا الأمر بشيء في نفسي منه حاجة، فاستشر له القوم.

ولفّ له معاوية الرجال يدخلون إليه ويخرجون، ويعظون عنده قتل عثمان

ويرمون به علياً، ويقيمون الشهادة الباطلة، والكتب المختلقة حتى أعادوا رأيه وشحذوا عزمه، وبلغ ذلك قومه فبعث ابن أخت له من بارق، وكان يرى رأي علي بن أبي طالب عليه السلام فبايعه بعد، وكان ممن لحق من أهل الشام، وكان ناسكاً، فقال (٨١/٣-٨٢) :

لعمري أبي الأشقي ابن هند لقد رمى	شرحبيل بالسهم الذي هو قاتله
ولفّق قوماً يسحبون ذيولهم	جميعاً وأوى الناس بالذنب فاعله
فألفى يمانياً ضعيفاً نخاعه	إلى كل ما يهوى تحدى رواحله
فطأطأ لها لما رموه بثقلها	ولا يرزق التقوى من الله خاذله
ليأكل دنيا لأبن هند بدينه	ألا وابن هند قبل ذلك آكله
وقالوا عليٌّ في ابن عفان خدعةٌ	ودبت إليه في الشنان غوائله
ولا والذي أوى ثبيراً مكانه	لقد كفّ عنه كفّه ووسائله
وما كان إلا من صحاب محمدٍ	وكلهم تغلي عليه مراجله

[ومع هذا كله] جعل شرحبيل يستنهض مدائن الشام حتى أستفرغها لا يأتي على قوم إلا قبلوا ما أتاهم به، فبعث إليه النجاشي بن الحارث وهو الذي حدّه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لشربه الخمر، وكان صديقاً له (أي للنجاشي) فقال (٨٣/٣) :

شرحبيل ما للدين فارقت أمرنا	ولكن لبغض المالكي جريـر
وشحناء دبّت بين سعد وبينه	فأصبحت كالحادي بغير بعير
وما أنت إذ كانت بجيلة عاقبت	قريشاً فيا لله بُعد نصير

أتفضل أمراً عبت عنه بشبهةٍ
يقول رجال لم يكونوا أئمة
وما قول قوم غائبين تقاذفوا
ونترك أن الناس أعطوا عهدهم
إذا قيل هاتوا واحداً تقتدوناه
لعلك أن تشقى الغداة بحربةٍ
وقد صار فيها عقل كل بصير
ولا للتي لُفُو لها بحضور
من الغيب ما ولاهمُ بغرور
علياً على أنسٍ به وسرور
نظيراً له لم يفصحوا بنظير
شرحيل ما ما جتته بصغير

ودخل شرحبيل بن السمط الأسود بن جبلة الكندي على معاوية وطالبه أن يعلن طلباً بدم عثمان، فنصحه جرير بن عبد الله - وكان حاضراً - بالتمهل ولكنه يئس من معاوية ومن عوام أهل الشام وكان معاوية قد أتى جريراً قبل ذلك في منزله فقال له : -

يا جرير، أني قد رأيت رأياً.

قال : -

- هاته.

قال : -

أكتب إلى صاحبك يجعل لي الشام ومصر جباية، فإذا حضرته الوفاة لم يجعل لأحد بعده في عنقي بيعة وأسلم له هذا الأمر؛ وأكتب إليه بالخلافة.

فقال جرير : -

أكتب ما أردت أكتب معك.

فكتب علي عليه السلام إلى جرير : -

- أما بعد فإنما أراد معاوية أن لا يكون في عنقه بيعة، وأن يختار من أمره ما أحب، وأراد أن يرثك ويبطئك حتى يذوق أهل الشام، وأن المغيرة بن شعبة قد كان أشار علياً أن أستعمل معاوية على الشام، وأنا حينئذ بالمدينة، فأبيت ذلك عليه، ولم يكن الله أن يراني أتخذ المضلين عضداً، فأن بايعك الرجل؛ وإلا فاقبل والسلام.

وفشا كتاب معاوية في العرب، فبعث إليه الوليد بن عقبة (٨٤/٣-٨٥) :

معاوي إن الشام شامك فاعتصم	بشامك لا تُدخِل عليك الأفاعيا
وحام عليها بالصوارم والقنا	ولاتك موهون الذراعين واهيا
وأن علياً ناظر ما تجيبه	فأهد له حرباً تشيب النواصيا
وإلا فسلم أن في السلم راحة	لمن لا يريد الحرب فاختر معاويا
وأن كتاباً يا ابن حرب كتبته	على طمع؛ يزجي اليك الدواهيا
سألت علياً فيه ما لن تناله	ولو نلته لم ييق إلا ليااليا
وسوف ترى منه التي ليس بعدها	بقاء فلا تكثر عليك الأمانيا
أمثل علي تعتريه بخدعةٍ	وقد كان ما جريت من قبل كافيًا؟

وكتب الوليد بن عقبة إلى معاوية أيضاً يوقظه ويشير عليه بالحرب، وألاً

يكتب جواب جرير (٨٥/٣-٨٦) :

معاوي أن الملك قد جب غاربة

وأنت بما في كفك اليوم صاحبه

هي الفصل فأختر سلمه أو تحاربه
ولا تأمن اليوم الذي أنت راهبه
والأفسلم لا تدب عقاربه
على خدعة ما سوغ الماء شاربه
يقوم بها يوماً عليه نوادبه
وتطلب ما أعيت عليك مذاهبه
فقبَّح ممليه وقبَّح كاتبه
وأنت بأمرٍ لامحالة راكبه
تتال بها الأمر الذي أنت طالبه
عدو ومالاه عليه أقاربه
بلا ترة كانت وأخر ساحبه
فحسبي وإياكم من الحق واجبه
ندافع بحراً لا تُرد غواربه
سواك، فصرح لست ممن تواريه

وخرج جرير يوماً يتجسس الأخبار؛ فإذا هو بغلام يتفلى على قعود له،

وهو يقول (١٦/٣) :

وأشتر والمكشع جروا الد واهيا
وصاحبة الأذننى أثاروا الد واهيا

أتاك كتاب من عليّ بخطه
فلا ترجُ عند الواترين مودة
وحاربه أن حاربت حرب ابن حرة
فأن علياً غير ساحب ذيله
والأ ما ما يريد وهذه
فلا تدعنَّ الملك والأمر مقبل
فان كنت تتوي أن تجيب كتابه
وأن كنت تتوي أن تردَّ كتابه
فالق إلى الحي اليمانيّ كلمة
تقول: أمير المؤمنين أصابه
أفانين منهم قاتل ومحرض
وكنت أميراً قبل بالشام فيكم
فجئوا، ومن أرسى ثبيراً مكانه
فأقلل وأكثر مالها اليوم صاحب

حكيم وعمّار الشجا ومحمد
وقد كان فيها للزبير عجاجة

فأما عليٌّ فاستجار ببيته
 فقل في جميع الناس ما شئت بعده
 وأن قلت عمَّ القوم فيه بفتنةٍ
 فقولاً لأصحاب النبي محمد: -
 أيقتل عثمان بن عفان بينكم
 فلا نوم حتى نستبيح حريمكم
 فلا أمرٌ فيها ولم يك ناهياً
 فلو قلت أخطأ الناس لم تك خاطياً
 فحسبك من ذاك الذي كان كافياً
 وخصا الرجال الأقرب بين الأديان
 على غير شيء ليس إلا تعامياً
 ونخضبُ من أهل الشنان العواليا

فقال جرير:

يا ابن أخي من أنت؟

فقال: - غلام من قريش، وأصلي من ثقيف، إن ابن المغيرة بن الأخنس بن شريق، قتل مع عثمان يوم الدار.

فعجب جرير من شعره وقوله. وكتب بذلك إلى علي عليه السلام فقال علي عليه السلام:

والله ما أخطأ الغلام شيئاً.

وقد سبق أن نقلنا أنه لما بايع معاوية أهل الشام، وبعد أن ذاقهم قال:

يا جرير الحق بصاحبك.

وكتب إليه بالحرب وكتب في أسفل الكتاب شعر كعب بن جعيل:

أرى الشام تكره أهل العراق وأهل العراق لهم كار هونا

وكتب مع جرير إلى علي جواباً عن كتابه إليه، مما قال فيه:

ولعمري ليس حججك عليَّ كحججك على طلحة والزبير، لأنهما بايعاك ولم أباعك، وما حججتك على أهل الشام كحججتك على أهل البصرة، لأن أهل البصرة أطاعوك ولم يطعك أهل الشام، فأما شرفك في الإسلام، وقرابتك من النبي صلى الله عليه وآله وسلم وموضعك من قريش فلست أدفعه.

ثم كتب في آخر الكتاب شعر كعب بن جعيل الذي أوله (٨٧/٣-٨٨):

أرى الشام تكره أهل العراق وأهل العراق لهم كار هونا

فكتب إليه أمير المؤمنين عليه السلام جواباً عن كتابه، ومما قال فيه:

وبعد، فما أنت وعثمان؟ إنما أنت رجل من بني أمية، وبنو عثمان أولى بمطالبة دمه، فإن زعمت أنك أقوى على ذلك فأدخل فيما دخل فيه المسلمون، ثم حاكم القوم اليّ. وأما تمييزك بينك وبين طلحة والزبير، وبين أهل الشام وأهل البصرة، فلعمري ما الأمر فيما هناك إلا سواء، لأنهما بيعة شاملة لا يستثنى فيها الخيار، ولا يستأنف فيها النظر، وأما شرفي في الإسلام وقرابتي من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وموضعي من قريش، فلعمري لو استطعت دفعه لدفعته.

ثم دعا النجاشي، أحد بني الحارث بن كعب، أن يرد على ابن جعيل، شاعر

أهل الشام، فقال النجاشي يجيبه (٨٩/٣):

دعاً يا معاويَ ما لم يكونا فقد حقق الله ما تحذرونا

أتاكم عليٌّ بأهل العراق وأهل الحجاز فما تصنعونا

على كل جرداء خيفانةٍ وأشعث نهد يسر العيوننا

عليها فوارس مخشيةً
 يرون الطعان خلال العجاج
 همو هزموا الجمع جمع الزبير
 وأكوا يميناً على حلفةٍ
 تشيب النواهد قبل المشيب
 فان تكروهوا الملك ملك العراق
 فقل للمضل من وائلٍ
 جعلتم علياً وإشباعه
 إلى أفضل الناس بعد النبي
 وصهر الرسول ومن مثله

كأسد العرين جمين العرينا
 وضرب الفوارس في النقع دينا
 وطلحة والمعشر الناكثينا
 لنهدي إلى الشام حرياً زبونا
 وتلقي الحوامل منها الجنينا
 فقد رضي القوم ما تكروهونا
 ومن جعل الغث يوماً سميناً
 نظير ابن هند أما تستحونا؟
 وصنو الرسول من العالمينا
 إذا كان يوم يشيب القرونا

وقبل أن نبدأ بشعر ورجز الحرب نرى مواصلة أسبابها ومحفزاتها وأستنهاض
 الهمم في كلا الجانبين؛ إذ قال نصر بن مزاحم:

لما قتل عثمان ضربت الركبان الى الشام بقتله، فيها معاوية يوماً إذا أقبل
 الحجاج بن خزيمة بن الصمة فقال رجزاً ومعاوية يسمع (٩١/٣):

أن بني عمك عبد المطلب
 وأنت أولى الناس بالوثب فثب
 وسر بنا سير الجرير المثلب
 هم قتلوا شيخكم غير كذب
 وأغضب معاوي للإله واحتسب
 وأنهض بأهل الشام ترشد وتصب

ثم أهزز الصعدة للشأس الشغب

ثم قال الحجاج لمعاوية :

- إنك لتقوى على عليّ بدون ما يقوى به عليك؛ لأن معك قوماً لا يقولون إذا قلت، ولا يسألون إذا أمرت؛ وإن مع علي قوماً يقولون إذا قال ويسألون إذا أمر، فقليل ممن معك خير من كثير ممن معه.

فضاق معاوية صدرًا بما أتاه، وندم على خذلان عثمان وقال (٩٢/٣) -

(٩٣) :

أتاني أمر فيه للنفس غمّة	وفيه بكاء للعيون طويل
وفيه فناء شامل وخزاية	وفيه أجتداع للأنوف أصيل
مصاب أمير المؤمنين وهرة	تكاد له صم الجبال تزول
فله عيناً من رأى مثل هالك	أصيب بلا ذنب وذاك جليل
تداعت عليه بالمدينة عصابة	فريقان منهم قاتل وخذول
دعاهم فصموا عنه عند دعائه	وذاك على ما في النفوس دليل
ندمت على ما كان من تبغى الهوى	وقصريّ فيه حسرة وعويل
سأبغى أبا عمرو بكل مثقفٍ	وبيض لها في الدارعين صليل
تركتك للقوم الذين هم هم	شجاك فماذا بعد ذلك أقول؟
فلمست مقيماً ما حييت ببلدة	أجرُّ بها ذليّ وأنت قتيل
فلا لوم حتى تُشجر الخيل يالقنا	ويشفي من القوم الغواة غليل
ونطحنهم طحن الرحا بثفالها	وذاك بما أسدوا إليك قليل

فاما التي فيها مودة بيتنا فليس اليها ما حيت سبيل
سألقتها حرباً عواناً ملحّة وأنّي بها من عامنا لكفيل
وكتب الوليد بن عقبة إلى معاوية يستبطنه في الطلب بدم عثمان ويحرضه
وينهاه عن قطع الوقت بالمكاتبة (٩٤/٣) :

ألا أبلغ معاوية بن حربٍ فأنتك من أخي ثقة ملّيم
قطعت الدهر كالسدم المعنّى تهدر في دمشق ولا تريم
فأنتك والكتاب إلى عليٍّ كدابغة وقد حلم الأديم
فقومك بالمدينة قد تردّوا فهم صدعى كأنهم الهشيم
فلو كنت المصاب وكان حياً تجرد لا الفف ولا سؤوم
يهنئك الأمانة كل ركبٍ عن الأفاق سيرهم الرسيم
لك الويلات أقحمها عليهم فخير الطالبى الثرة الغشوم

فكتب معاوية إليه الجواب بيتاً من شعر أوس بن حجر (٩٥/٣) :

ومستعجب مما يرى من أناتنا ولو وبنته الحرب لم يترمرم

وقدم عبيد الله بن عمر بن الخطاب على معاوية بالشام، فقال له معاوية :

يا ابن أخي أن لك أسم أبيك فأنظر بملء عينيك وأنطق بملء فيك فأنت
المأمون المصدّق، فاصعد المنبر وأشتم علياً، وأشهد عليه أنه قتل عثمان.

فقال :

أيها الأمير، أما شتمه فإنّ أباه أبو طالب، وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم،

فما عسى أن أقول في حسبه؟ وأما بأسه فهو الشجاع المطرق، وأما أيامه فما قد عرفت، ولكني ملزمه دم عثمان فلما خرج عبيد الله بن عمر من معاوية، قام خطيباً فتكلم بحاجته، ولما انتهى إلى أمر علي أمسك ولم يقل شيئاً، فلما نزل بعث إليه معاوية وقال له :

يا ابن أخي؛ أنك بين رعيّ وخيانة.

فبعث إليه :

إني كرهت أن أقطع الشهادة على رجل لم يقتل عثمان. وعرفت أن الناس محتملوها مني فتركتها.

فهجره معاوية واستخف به وفسقه، فقال عبيد الله (١٠١/٣) :

معاوي لم أحرص بخطبة خاطبٍ	ولم أك غيأً في لؤي بن غالب
ولكنني زاولت نفساً أبيعهُ	على قذف شيخ بالعراقين غائب
وقذيفي علياً بابن عفان جهرةً	يجدع بالشحنأ أنوف الأقارب
فأما انثقا في أشهد اليوم وثبةً	فلست لكم فيها ابن حرب بصاحب
ولكنه قد قرّب اليوم جهده	ودبوا حواليه ديب العقارب
فما قال أحسنتم ولا قد أسأتمُ	أصيب بريئاً لا بأثوب تائب
حرام على أهاله نتف شعره	فكيف وقد جازوه ضربة لازب
وقد كان فيها للزبير عجاجة	وطلحة فيها جاهد غير لاعب
وقد أظهر من بعد ذلك توبة	فياليت شعري ما هما في العواقب

عندما نزل الإمام علي عليه السلام في الكوفة بعد حرب الجمل قال شن بن عبد القيس في ذلك (١٠٧/٣) :

قل لهذا الإمام قد خبت الحر	ب وتمت بذلك النعماء
وفرغنا من حرب من نقض الـ	عهد وبالشام حية صماء
تفتت السم ما لمن نهشته	فارمها قبل أن تعض شفاء
إنه والذي يحج له النا	س ومن دون بيته البيداء
لضعيف النخاع إن رمي اليو	م بخيل كأنها الأشلاء
جانحات تحت العجاج سخالاً	ممهضات تخالها الأسلاء
تتبارى بكل أصيد كالفحل	بكفيه صعدة سمراء
ثم لا ينثني الحديد ولما	يخضب العاملين منها الدماء
إن تذرهُ فما معاوية الدهر	بمعطيك ما أراك تشاء
ولنيل السماك أقرب من ذا	ك ونجم العيوق والعواء
فاضرب المد والحديد إليهم	ليس والله غير ذا الأدواء

وأيام كان جرير البجلي عند معاوية ينتظر جوابه كتب معاوية وعمرو بن العاص كتاباً إلى أهل مكة والمدينة يستعديانهم فيه على علي عليه السلام، فكتب إليهما عبيد الله بن عمر بن الخطاب (١٠٩/٣-١١٠) :

- أما بعد، فلعمري لقد أخطأتما موضع النصرة وتناولتماها من مكان بعيد؛ وما زاد الله من شك في هذا الأمر بكتابكما إلا شكاً وما أنتما والمشورة، وما أنتما والخلافة؟

أما أنت يا معاوية فطليق وأما أنت يا عمرو فظنين ألا فكفا أنفسكما، فليس
لكما فينا وليٌّ ولا نصيرٌ، والسلام، وكتب رجل من الأنصار إليهما مع كتاب عبد
الله بن عمر:

معاويَ إن الحق أبلج واضح وليس بما ربصت أنت ولا عمرو
نُصِب ابن عفان لنا اليوم خدعة كما نصبت الشيخان إذ قضي الأمر
فهذا كذاك البلا حذو فعله سواء كرقراقٍ يُغرِّب به الشعر
رميتم علياً بالذي لا يضيره وإن عظمت فيه المكيدة والمكر
وما ذنبه إن نال عثمان معشر أتوه من الأحياء تجمعهم مصر
فثار إليه المسلمون ببيعة علانية ما كان فيها لهم قسر
وبايعه الشيخان ثم تحملا إلى العمرة العظمى وباطنه الغدر
فكان الذي قد كان مما اقتصاصه يطول، فيا لله ما أحدث الدهر
وما أنتما والنصر منا وأنتما بعيثا حروب ما يبوخ لها جمر
وما أنتما لله در أبيكما وذكركما الشورى وقد وضح الفجر

وفي أيام نزول الإمام علي عليه السلام في الكوفة قام عدي بن حاتم الطائي
إلى علي عليه السلام فقال:

يا أمير المؤمنين إن عندي رجلاً لا يوازي به رجل وهو يريد أن يزور ابن
عمه حابس الطائي بالشام، فلو أمرناه أن يلقي معاوية لعله يكسره أو يكسر أهل
الشام فقال علي عليه السلام: نعم.

فأمره عدي بذلك، وكان اسم الرجل خفاف بن عبد الله.

فقدم على ابن عمه حابس بن سعد بالشام - وحابس سيد طي بها - فحدث خفاف حابساً أنه شهد عثمان بالمدينة وسار مع علي إلى الكوفة، وكان لخفاف لسان وهياً، فغدا حابس بخفاف إلى معاوية فحدثه بالتفصيل عن مقتل عثمان وبراً ساحة الإمام علي عليه السلام من قتله.

فدعر معاوية من قوله، وقال حابس :

- أيها الأمير لقد أسمعني شعراً غير به حالي في عثمان، وعظم به علياً فقال

معاوية :

- أسمعني يا خفاف.

فأنشده (١١١/٣-١١٢) :

ولجني عن الفراش تجايف
ض بعينٍ طويلة التذراف
هل لي اليوم بالمدينة شاي
ب وفيهم من البرية كاف
أم حرام بسنة الوقفاف
تطلب اليوم قلت: حسب خفاف
ولا أهل صححة وعفاف
إن قلبي من القلوب الضعاف

قلت والليل ساقط الأكناف
أرقب النجم مائلاً ومشى الغم
ليت شعري وإنني لسؤول
من صحاب النبي إذ عظم الخط
أحلال دم الإمام بـذنب
قال لي القوم لا سبيل إلى ما
عند قوم ليسوا بأوعية العلم
قلت، لما سمعت قولاً: دعوني

قد مضى ما مضى ومر به الدهر
 إنني والذي يحج له النا
 فتبارى مثل القسي من النبع
 ارهب اليوم إن أتاك علي
 إنه الليث عادياً وشجاع
 فارس الخيل كل يوم نزال
 واضع السيف فوق عاتقه الأيد
 لا يرى القتل في الخلاف عليه
 سوّم الخيل ثم قال لقوم
 استعدوا لحرب طاغية الشا
 ثم قالوا أنت الجناح لك الريـ
 أنت والٍ وأنت والدنا البر
 وقرى الضيف في الديار قليل
 وهم ما هم إذا نشب البأس
 وانظر اليوم قبل نادبة القوم
 إن هذا رأي الشفيق على الشام

فانكسر معاوية وقال :

- يا حابس، إني لا أظن هذا إلا عيناً لعلي، أخرجته عنك لا يفسد أهل

الشام.

ولما رجع جرير إلى علي عليه السلام كثر قول الناس في التهمة لجرير في أمر معاوية، فاجتمع جرير والأشتر عند علي عليه السلام فقال الأشتر:

- أما والله يا أمير المؤمنين، أن لو كنت أرسلتني إلى معاوية، لكنت خيراً لك من هذا الذي أرخى خناقه وأقام عنده، حتى لم يدع باباً يرجو فتحه إلا فتحه، ولا باباً يخاف أمره إلا سدّه.

فقال جرير:

- لو كنت - والله - أتيتهم لقتلوك. وخوفه بعمره، وذو الكلاع وحوشب بن ظليم، وقال:

- إهم يزعمون أنك من قتلة عثمان.

فقال الأشتر:

- والله لو أتيتهم يا جرير لم يعينني جواهما، ولم يثقل علي محملهما، ولحملت معاوية على خطة أعجله فيها عن الفكر، وقال (١١٦/٣-١١٧):

لعمرك يا جرير لقول عمرو	وصاحبه معاوي بالشام
وذي كلع وحوشب ذي ظليم	أخف علي من ريش النعام
إذا اجتمعوا علي فخلّ عنهم	وعن بازٍ مخالبه دوام
ولست بخائفٍ ما خوفوني	وكيف أخاف أحلام النيام
وهمهم الذي حاموا عليه	من الدنيا، وهمي ما أمامي

فإن أسلم أعممهم بحربٍ يشيب لهولها رأس الغلام
وإن أهلك فقد قدمت أمراً أفوز بفلجه يوم الخصام
وقد زادوا عليّ وواعدونني ومن ذامات من خوف الكلام

وكتب مصقلة إلى نعيم بن هبيرة الشيباني، وهو من شيعة علي عليه السلام
من الشام مع رجل من نصارى تغلب، يقال له حلوان :

- أما بعد، فإني كلمت معاوية فيك، فوعدك الكرامة، ومناك الإمارة فاقبل
ساعة تلقى رسولي والسلام.

فأخذه مالك بن كعب الأرحبي فسرح به إلى علي عليه السلام فأخذ كتابه
فقرأه ثم قدمه فقطع يده، فمات. وكتب نعيم إلى أخيه شعراً لم يرده عليه
(١٤٦/٣) :

لا ترمين - هداك الله - معترضاً بالظن منك فما بالي وحلوانا
ذاك الحريص على ما نال من طمع وهو البعيد فلا يورثك أحزاننا
ماذا أردت إلى إرساله سفهاً ترجو سقاط امرئٍ لم يلفَ وسناننا
عرضته لعلي إنه أسد يمشي العرضنة في آساد خفاننا
قد كنت في خير مصطاف ومرتبِع نحمي العراق وتدعى خير شيباننا
حتى تقحمت أمراً كنت تكرهه للراكبين له سراً وإعلاننا
لو كنت أديت مال الله مصطبراً للحق زكيت أحياننا وموتاننا
لكن لحقت بأهل الشام ملتمساً فضل ابن هند فذاك الرأي أشجاننا

فاليوم تفرع سن العجز من ندمٍ ماذا تقول وقد كان الذي كانا
أصبحت تبغضك الأحياء قاطبةً لم يرفع الله بالعصيان إنسانا

ولما هرب مصقلة (بأموال المسلمين) قال أصحاب علي عليه السلام له :

يا أمير المؤمنين، فيؤنا؟

قال : إنه قد صار على غريم من الغرماء فاطلبوه.

وقال ظبيان بن عمارة، أحد بني سعد بن يزيد مناة في بني ناجية (١٤٧/٣) :

هلا صبرت للقراع ناجيا والمرهفات تختلي الهواديا
والطعن في غوركم نواليا وصائبات الأسهم القواضيا

وقال ظبيان أيضاً :

ألا فاصبرن للطعن والضرب ناجيا وللمرهفات يختلين الهواديا
فقد صب رب الناس حزيا عليكم وصبركم من بعد عشر مواليا
سجالكم بالخيل جرداً عواديا أخو ثقة لا يبرح الدهر غازيا
فصبحكم في رحلكم وخيولكم بضرب يرى فيه المدجج هاويا
فأصبحتم من بعد عزٍ وكثرة عبيد العصا لا تمنعون الذراريا

وعندما أراد الإمام علي عليه السلام المسير إلى صفين عارض رجل فزاري

الإمام في مسيره فاشتد عليه القوم فهرب في سوق البراذين وحاول الاختفاء بينها

إلا أن أصحاب الإمام عليه السلام قتلوه فقال شاعر بني تيم اللات بن ثعلبة

: (١٧٤/٣)

أعوذ بربي أن تكون منييتي كما مات في سوق البراذين أريد
تعاوره همدان خفق نعالهم إذا رفعت عنه يد خفضت يد

وإن عبد الله بن معتم العبسي وحنظلة بن الربيع التميمي لما أمر علي عليه السلام الناس بالمسير إلى الشام دخلا عليه في رجال كثير من غطفان وبني تميم، وطلبوا منه التريث وعدم العجلة، فخطب الإمام عليه السلام فيهم، ومما قاله عليه السلام:

- وأيم الله إني لأسمع كلام قوم ما أراهم يعرفون معروفاً، ولا ينكرون منكراً.

فأشار قوم من رهط الإمام عليه السلام بعدم الأخذ بقول حنظلة وحبسه وصاحبه ثم بعث الإمام عليه السلام إلى حنظلة بن الربيع المعروف بحنظلة الكاتب - وهو من الصحابة - فقال له:

يا حنظلة أنت عليّ أم لي؟

فقال:

- لا لك ولا عليك.

قال: فما تريد؟

قال:

- أشخص إلى الرها فإنه فرج من الفروج اصمد له حتى ينقضي هذا الأمر.
ولما غضب قوم من قوله ذلك وأرادوا قتله طلب منهم إمهاله ليدخل داره

ويفكر، ولكن عندما حلّ المساء هرب إلى معاوية مع ثلاثة وعشرين رجلاً من قومه وكذلك هرب معتم، ولكنهما لم يقاتلا مع معاوية واعتزلا الفريقين جميعاً.

وأمر علي عليه السلام بهدم دار حنظلة فهدمت، هدمها عريفهم شبت بن ربي وبكر بن تميم، فقال حنظلة يهجوها (١٧٦/٣-١٧٧):

أيا راكباً أما عرضت فبأغن	مغلقة عني سراة بني عمرو
فأوصيكم بالله والبر والتقوى	ولا تنظروا في النائبات إلى بكر
ولا شبت ذي المنخرين كأنه	أزب جمال قد رغا ليلة النضر

وقال أيضاً يخرض معاوية بن أبي سفيان :

أبلغ معاوية بن حرب خطة	ولكل سائلة نسيل قرار
لا تقبلن دنية ترضونها	في الأمر حتى تقتل الأنصار
وكما تبوء دماؤهم بدمائكم	وكما تهدم بالديار ديار
وترى نساؤكم يجلسن حواسراً	ولهن من ثقل الرحال شنار

لما وضع علي عليه السلام رجله في ركاب دابته يوم خرج من الكوفة إلى

صفين، قال :

- بسم الله.

فلما جلس على ظهرها قال :

- ((سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين)) و ((إنا إلى ربنا

لمنقلبون)).

ثم خرج أمامه الحر بن سهم بن طريف، وهو يرتجز ويقول (١٦٦/٣) -
:(١٦٧)

يافرسي سيري وأمي الشاما وقطعي الحزون والأعلاما
ونابذي من خالف الإماما إنني لأرجو أن لقين العاما
جمع بني أمية الطغاما أن نقتل العاصي والهماما

وأن نزيل من رجال هاما

وبلغ عمرو بن العاص مسيره فقال (١٦٩/٣):

لا تحسبني يا علي غافلا لأوردن الكوفة القنابلا

بجمعي العام وجمعي قابلا

فبلغ ذلك علياً عليه السلام فقال (١٦٩/٣):

لأوردنها العاصي بن العاصي سبعين ألفا عاقدي النواصي
مستحقين حلق الدلاص قد جنبوا الخيل مع القلاص

أسود غيل حين لا مناص

بعد حوار بين الإمام علي عليه السلام وابن زينب ابن عون في أحقية دعوة
الإمام وبطلان دعوى معاوية وقناعته بما يدعوه إليه الإمام عليه السلام وكان
عمار بن ياسر حاضراً فخرج وهو يقول (١٧٩/٣):

سيروا إلى الأحزاب أعداء النبي سيروا فخير الناس أتباع علي
هذا أوان حاب سل المشريفي وقودنا الخيل وهز السمهري

ولما عرف معاوية بعزم الإمام علي على الحرب كتب إليه يقول :

- وعافانا الله وإياك (٣١٣/٣) :

ما أحسن العدل والإنصاف من عمل وأقبح الطيش ثم النفس في الرجل

وكتب بعده :

اربط حمارك لا تتزع سويته
ليست ترى السيد زيداً في نفوسهم
إن تسألوا الحق نعطِ الحق سائله
أو تأنفون فإننا معشر أنف
وقد أروح أمام الحي يقدمني
محب مثل شاة الربل محتفر
يبدو ملجمه هاويله تلحُّ
فذاك ذخري إذا ما خيلهم ركضت
إذا يرد وقيد العير مكروب
كما يراه بنو كوز ومرهوب
والدرع محقبة والسيف مقروب
لا نطعم الضيم إن السم مشروب
صا في الأديم كمثل اللون منسوب
بالقصر بين على أولاه مصبوب
كأنه من جذوع العين مشذوب
إلى المشوَّب أو معاء سرحوب

فأمر علي عليه السلام أن يوزع الناس على القتال، حتى أخذ أهل الشام مصافهم ثم قال : أيها الناس، إن هذا موقف، من نطف فيه نطف يوم القيامة، ومن فلج فيه فلج يوم القيامة.

ثم قال لما رأى نزول معاوية بصفين :

لقد أتانا كاشراً عن نابه يهبط الناس على اعتزابه

فليأتنا الدهر بما أتى به

وكتب علي عليه السلام إلى معاوية جواب كتابه :

- أما بعد (٣١٤/٣) :

فإن للحرب عراقاً شـرراً إن عليها قائداً عشـنذرا
ينصف من أحجر أو تتمـرا على نواحيها مزجاً زمجرا
إذا وبن ساعة تغشمـرا

وكتب بعده :

ألم تر قومي إن دعاهم أخوهم أجابوا، وإن يغضب على القوم يغضبوا
هم حفظوا غيبي كما كنت حافظاً لقومي أخرى مثلها إن يغيبوا
بنو الحرب لم تفقد بهم أمهاتهم وآباؤهم آباء صدق فأنجبوا
حتى إذا كان رجب، وخشي معاوية أن يتابع القراء علياً عليه السلام أخذ
في المكر، وأخذ يحتال للقراء، لكيما يجمعوا ويكفوا حتى ينظروا، فكتب في سهم :
من عبد الله الناصح؛ إني أخبركم أن معاوية يريد أن يفجر عليكم الفرات
فيغرقكم فخذوا حذرکم، ثم رمى بالسهم في عسكر علي عليه السلام، فوقع
السهم في يد رجل فقراه ثم قرأه صاحبه وقرأته الناس وقرأه من أقبل وأدبر،
قالوا: هذا أخ لنا ناصح؛ كتب إليكم يخبركم بما أراد معاوية؛ فلم يزل السهم يُقرأ
ويرتفع حتى رُفِع إلى علي عليه السلام. وقد بعث معاوية مئتي رجل من القملة إلى
عاقول من النهر، بأيديهم المرور والذبل يحفرون فيها بجيال عسكر علي عليه
السلام. فقال علي عليه السلام :

- ويحكم! إن الذي يعالج معاوية لا يستقيم له ولا يقوى عليه، إنما يريد أن يزيلكم من مكانكم.

ونصحهم أن لا ينخدعوا بمكر معاوية، ولكنهم ارتحلوا وصعدوا بعسكرهم ملياً، وارتحل علي عليه السلام في أخريات الناس، وهو يقول (١٨/٤-١٩):
 فلو أني أظعتُ عصمتُ قومي إلى ركن اليمامة أو شام
 ولكني متى أبرمتُ أمراً منيت بخلف آراء الطفام
 ولما خلا المكان نزل معاوية وعسكر فيه.

بعد أن استولى معاوية على الفرات ذهب شباب من الناس إلى أن يستقوا فمنعهم أهل الشام فقام رجل ذلك اليوم من أهل الشام من السكون يعرف بالشليل بن عمر إلى معاوية، فقال (٣١٩/٣):

اسمع اليوم ما يقول الشليل	إن قولي قول له تأويل
امنع الماء من صحاب عليّ	أن يذوقوه فالذليل ذليل
واقتل القوم مثلما قتل الشيخ	صدى فالقصاص أمر جميل
إننا والذي تسامى له البدن	هدايا كأنهن الغيول
لو علي وصحبه وردوا الماء	لما ذقتموه حتى تقولوا
قد رضينا بأمركم وعلينا	بعد ذاك الرضا جلال ثقيل
فامنع القوم ماؤكم ليس للقوم	بقضاء وإن يكن فقيل

ثم قام رجل من أهل الشام همدايي ناسك يتأله ويكثر العبادة، يعرف بمعدى

بن أقبال، وكان صديقاً لعمر بن العاص وأخاً له، فطلب من معاوية السماح لأهل العراق من الاستقاء من الفرات وقال له :

- إنهم لو سبقوكم إليه لسقوكم منه.

فأغلظ له معاوية، وقال لعمر بن العاص :

- اكفني صديقك.

فأتاه عمرو فأغلظ له، فقال الهمداني في ذلك شعراً (٣/٣٢٠-٣٢١) :

وعمر بن معاوية بن حرب	وعمر بن معاوية بن حرب
سوى طعنٍ يحار العقل فيه	وسوى طعنٍ حين تختلط الدماء
ولست بتابع دين بن هندٍ	طوال الدهر ما أرسى حِراء
لقد ذهب العتاب فلا عتاب	وقد ذهب الولاء فلا ولاء
وقول في حوادث كل خطبٍ	على عمروٍ وصاحبه العفاء
ألا لله درك يا بن هندٍ	لقد برح الخفاء فلا خفاء
أتحمون الفرات على رجالٍ	وفي أيديهم الأسل الظمءاء
وفي الأعناق أسياف حداد	كأن القوم عندهم نساء
أترجوا أن يجاوركم عليٌّ	بلا ماءٍ وللا حزاب ماء
دعاهم دعوة فأجاب قوم	كحرب الإبل خالطها الهناء

ثم سار الهمداني في سواد الليل حتى لحق بعلي عليه السلام.

لما اغتم علي عليه السلام بما فيه أهل العراق من العطش، خرج ليلاً قبل

رايات مدحج، فإذا رجل ينشد شعراً (٣/٣٢١-٣٢٢):

أيمنعنا القوم ماء الفرات	وفينا الرماح وفينا الجحف
وفينا الشوازي مثل الوشيح	وفينا السيوف وفينا الزعف
وفينا علي له سورة	إذا خوفوه الردى لم يخف
ونحن الذين غداة الزبير	وطلحة خضنا غمار التلف
فما بالننا أمس أسد العرين	وما بالننا اليوم شاء النجف
فما للعراق وما للحجاز	سوى الشام خصم فصكوا الهدف
فثوروا عليهم كبزل الجمال	دوين الدميل وفوق القطف
فإما تفوزوا بماء الفرات	ومثواه منهم عليه جيف
وإما تموتوا على طاعة	تحل الجنان وتحبو الشرف
وإلا فأنتم عبيد العصا	وعبد العصا مستذل نظف

فحرك ذلك علياً عليه السلام، ثم مضى إلى رايات كندة فإذا إنسان ينشد

إلى جانب منزل الأشعث وهو يقول (٣/٣٢٢-٣٢٣):

لئن لم يحل الأشعث اليوم كرباً	من الموت فيها للنفوس تعنت
فنشرب من ماء الفرات بسيفه	فهبنا أناساً قبل ذاك فموت
فإن أنت لم تجمع لنا اليوم أمرنا	وتنض التي فيها عليك المذلة
فمن ذا الذي تشى الحناجر باسمه	سواك، ومن هذا إليه التلفت؟
وهل من بقاء بعد يوم وليلة	نظل خفوتاً والعدو يصوت

هلموا إلى ماء الفرات ودونه صدور العوالي والصفيح المشتتُ
وأنت امرؤ من عصبة يمنيةٍ وكل امريءٍ من سنخه حين ينبتُ

فلما سمع الأشعث قول الرجل، قام فأتى علياً عليه السلام، فقال:

- يا أمير المؤمنين، أيمنعنا القوم ماء الفرات، وأنت فينا، والسيوف في أيدينا،
خلّ عنا وعن القوم، فوالله لا نرجع حتى نردّه أو نموت. ومُر الأشر فليعلُ بخيله،
ويقف حيث تأمره، فدعا علي عليه السلام الأشر فقال:

ألم تغلبن على رأيي أنت والأشعث؟ فدونكما.

فقالا: إنا نكفيك يا أمير المؤمنين.

فقال عليه السلام:

- ذلك لكما.

فنادى الأشعث في الناس فأتاه اثنا عشر فارساً من كندة وأفناء قحطان فشد
عليه سلاحه وهو يقول (٣٢٣/٣):

ميعادنا اليوم بياض الصبح هل يصلح الزاد بغير الملح
لا لا ولا أمر بغير نصح دبوا إلى القوم بطعن سمح
مثل العزالي بطعان سمح لا صالح للقوم وابن صالح

حسبي من الإقحام قباب رمح

وكان الأشر قد تعالَى بخيله حيث أمر علي عليه السلام فبعث إليه

الأشعث:

- أقحم الخيل.

فأقحمها حتى وضعت سنابكها في الفرات. وأخذت أهل الشام السيوف فولوا مدبرين.

ودعا الأشتر بالحارث بن همام النخعي، ثم الصهباني، فأعطاه لواءه وأوصاه، فقال:

- يا مالك لأسرنك أو لأموتن، فاتبعني.

ثم تقدم اللواء وارتجز، فقال:

يا أخوا الخيرات يا خير النخع	وصاحب النصر إذا عمّ الفزع
وكاشف الخطب إذا الأمر وقع	ما أنت بالحرب العوان بالجدع
قد جزع القوم وعموا بالجزع	وجرّعوا الغيظ وغصوا بالجرع
إن تسقنا الماء فليست بالبدع	أو نعطش اليوم فجنّد مقتطع

ما شئت خذ منها وما شئت فدع

وارتجز صالح بن فيروز من فرسان الشام فقال (٣٢٨/٣):

يا صاحب الطرف الحصان الأدهم	أقدم إذا شئت علينا أقدم
أنا بن ذي العز وذي التكرم	سيدك كل عكّ فاعلم

وكان صالح مشهوراً بالشدة والبأس، فارتجز عليه الأشتر فقال:

أنا ابن خير مذحج ومركبا	وخيرها نفساً وأماً وأباً
آليت لا أرجع حتى أضربا	بسيّفي المصقول ضرباً معجبا

ثم شد عليه فقتله، وهو أول قتيل قتله الأشر بیده.

وبعد أن قتل أربعة من فرسانهم برز إليه زامل بن عقيل - وكان فارساً - فطعن الأشر في موضع الصدر فصرعه على فرسه، ولم يصب مقتلاً، وشد عليه الأشر بالسيف راجلاً فكشف قوائم فرسه، وارتجز عليه فقال (٣٢٩/٣):

لا بد من قتلي أو من قتلكا قتلت منكم أربعاً من قبلكا
كلهم كانوا حماة مثلكا

ثم ضربه بالسيف وهما راجلان فقتله، ثم خرج إليه محمد بن روضة فقال، وهو يضرب في أهل العراق ضرباً منكراً:

يا ساكني الكوفة يا أهل الفتن يا قاتلي عثمان ذاك الموثمن
أورث قلبي قتله طول الحزن أضربكم ولا أرى أباً حسن
فشد عليه الأشر فقتله، وقال:

لا يبعد الله سوى عثماننا وأنزل الله بكم هواننا

ثم برز إليه الأجلح بن منصور الكندي - وكان من شجعان العرب وفرسانها - وهو على فرس له اسمه لاحق؛ فلما استقبله الأشر كره لقاءه واستحيا أن يرجع عنه، فتضاربا بسيفيهما فسبقه الأشر بالضربة فقتله، فقالت أخته ترضيه:

ألا فبابكي أخا ثقة فقد - والله - أبكينا
لقتل الماجد القمعا م لا مثل له فينا
أتانا اليوم مقتله فقد جزت نواصينا

كريم ماجد الجديد _____ ن يشفي من أعادينا

شفانا الله من أهل الـ _____ عراق فقد أبادونا

أما يخشون ربهم _____ ولم يرعوا لله ديننا

وأقبل الأشر يوم الماء، فضرب بسيفه جمهور أهل الشام حتى كشفهم من الماء، وهو يقول (٣/٣٣٠):

لا تذكروا ما قد مضى وفاتا _____ والله ربي الباعث الأمواتا

من بعد ما صاروا كذا رفاتا _____ لأوردن خيلني الفراتا

شعث النواصي أو يقال ماتا

وكان ضبيان بن عمارة التميمي قد حمل على أهل الشام وهو يقول

(٣/٣٢٧):

هل لك يا ظبيان من بقاء _____ في ساكني الأرض بغير ماء

لا وإله الأرض والسما _____ فاضرب وجوه الغدر والأعداء

بالسيف عند حمس الهيجاء _____ حتى يجيبوك إلى السواء

قال عمرو بن العاص لمعاوية لما ملك أهل العراق الماء، ما ظنك يا معاوية

بالقوم إن منعوك اليوم الماء كما منعتهم أمس؟ أترأى تضاربهم عليه كما ضاربوك

عليه؟ ما أغنى عنك أن تكشف لهم السوءة.

فقال معاوية:

دع عنك ما مضى، فما ظنك بعلي؟

قال :

ظني أنه لا يستحل منك ما استحلت منه، وإن الذي جاء له غير الماء.
فقال له معاوية قولاً أغضبه.

فقال عمرو (٣٣١/٣) :

وأمرتك أميري فسـخفته	وخالفني بن أبي سرحة
وأغمضت في الرأي إغماضة	ولم ترفي الحرب كالفسحة
فكيف رأيت كباش العراق	ألم ينطحوا جمعنا نطحة؟
فإن ينطحونا غداً مثلها	فكن كالزبيري أو طلحة
أظن لها اليوم ما بعدها	وميعاد ما بيننا صبحه
وإن أخروها لما بعدها	فقد قدموا الخيط والنفحة
وقد شرب القوم ماء الفرات	وقلدك الأشتر الفضحة

فقال أصحاب علي عليه السلام له :

- امنعهم الماء يا أمير المؤمنين كما منعوك.

فقال :

- لا خلوا ما بينهم وبينه، لا أفعل ما فعل الجاهلون، سنعرض عليهم
كتاب الله وندعوهم إلى الهدى، فإن أجابوا؟ وإلا حد السيف ما يعني إن شاء الله.
فاستقى كلا الفريقين من الماء (ما يؤذي إنسان إنساناً).

دعا معاوية عمرو بن العاص فأمره بالخروج إلى الأشر أمم القوم، وقد

علم أنه سيلقاه، وهو يرتجز ويقول (٨٠/٨) :

يا ليت شعري كيف لي بعمرو ذاك الذي أوجبت فيه نذري
ذاك الذي أطلبه بـوتري ذاك الذي فيه شفاء صدري
من بائعي يوماً بكل عمري يعلي به عند اللقاء قدري
أجعله فيه طعام النسر أو لا فربي عاذري بعذري

فلما سمع عمرو بهذا الرجز فشل وجبن، واستحيا أن يرجع، وأقبل نحو
الصوت وقال (٨٠/٨) :

يا ليت شعري كيف لي بمالك كم كاهل صيبته وحوارك
وفارس قتلته وفاتك ومقدم آبي بوجه حالك

ما زلت دهري عرضة المهالك

فغشيه الأشر بالرمح، فراغ عمرو عنه، فلم يصنع الرمح شيئاً، ولوى
عنان فرسه، وجعل يده على وجهه، وجعل يرجع راکضاً نحو عسكره. فنأدى
غلام من يحصب :

يا عمرو عليك العفا ما هبت الصبا، فأخذ اللواء، وكان غلاماً حدثاً، فقال
(٨٠/٨-٨١) :

إن يك عمرو قد علاه الأشر بأسمر فيه سنان أزهر
فذاك والله لعمري مفخر يا عمرو تكليف الطعان حمير
واليحصبي بالطعان أمهر دون اللواء اليوم موت أحمر

فنادى الأشتر ابنه إبراهيم:

- خذ اللواء فغلام بغلام.

فتقدم فأخذ إبراهيم اللواء وقال:

يا أيها السائل عني لا تُرَع
كيف ترى طعن العراقي الجذع
ما ساءكم سرّاً، وما ضر نفع
أقدم فأني من عرانيث النخع
أطير في يوم الوغى ولا أقع
أعدوت ذا اليوم لهول المطلّع
فتطاعنا حتى سقط الحميري قتيلاً، وشمّت مروان بعمرو، وغضب
القحطانيون على معاوية، وقالوا:

- تولّي علينا من لا يقاتل معنا، ولّ رجلاً منا وإلا فلا حاجة لنا فيك.

وقال شاعرهم (٨١/٨):

معاوي أما تدعنا لعظيمة
فولّ علينا من يحوط ذمارنا
ولا تأمرنا بالتي لا نريدها
ولا تغضبنا والحوادث جمّة
فإن لنا حقاً عظيماً وطاعة
يلبس من نكرائها الفرض بالحقب
من الحميريين الملوّك على العرب
ولا تجعلنا بالهوى موضع الذنب
عليك، فيغشوا اليوم في يحصب الغضب
وحيأ دقيماً في المشاس وفي العصب

وبات كعب جميل التغلي، شاعر أهل الشام تلك الليلة، يرتجز وينشد

: (٦٨٣/٥ - ١٨٤)

أصبحت الأمة في أمرٍ عجب
والملك مجموع غداً لمن غلب

أقول قولاً صادقاً غير كذب إن غداً يهلك أعلام العرب
غداً نلاقي ربنا فنتحسب غداً يصيرون رماداً قد ذهب
بعد الجمال والحياء والحسب لا رب لا تشمت بنا ولا تُصب

من خلع الأنداد طراً والصلب

وقال راجز من أهل الشام (١٨٤/٥):

ويلُّ لأم مذحج من عكِّ وأمهم قائمة تبكِّي
نصكها بالسيف أي صكِّ فلا رجال كرجال عكِّ

ونادى عمرو بن العاص بأعلى صوته:

يا أيها الجند الصليب الإيمان قوموا قياماً واستعينوا الرحمن
إنني أتاني خبر ذو ألوان إن علياً قتل ابن عفان

ردوا علينا شيخنا لما كان

فردّ عليه أهل العراق وقالوا (١٨٥/٥):

أبت سيوف مذحج وهمدان بأن ترد نعثلاً كما كان
خلقاً جديداً مثل خلق الرحمن ذلك شأن قد مضى وذا شأن

ثم نادى عمرو بن العاص ثانية يرفع صوته:

ردوا علينا شيخنا ثم بجل أو لا تكونوا جزراً من الرسل

فرد عليه أهل العراق:

كيف نرد نعثلاً وقد قحل نحن ضربنا رأسه حتى انجفل

وأبدل الله به خير بدل أعلم بالدين وأزكى بالعمل

وقال إبراهيم بن أوس بن عبيدة من أهل الشام :

لله در كتائب جـاءتكم تبكي فوارسها على عثمان
تسعون ألفاً ليس فيهم قاسط يتلون كل مفضل ومثان
يسلون حق الله لا يعدونه ومجيبكم للملك والسلطان
فأتوا ببينة على ما جئتم أو لا فحسبكم من العدوان
وأتوا بما يمحو قصاص خليفة لله، ليس بكاذب خوان

وارتجز عمرو بن العاص وأرسل بها إلى علي عليه السلام (١٩٥/٥) :

لا تأمننا بعدها أبا حسن إنا نمر الأمر إمرار الرسن
خذها إليك واعلمن أبا حسن

ويروى :

لتصبحن مثلها أم لُبُن طاحنة تدقكم دق الحفن

فأجابه شاعر من أهل العراق (١٩٥/٥) :

ألا احذروا في حربكم أبا حسن ليثاً أبا شبليين محذور فظن
يدقكم دق المهاريس الطحن لتغبنن يا جاهلاً أي غبن
حتى تعض الكف أو تقرع سن ندامة إن فاتكم عد السنن

وكان أول فارسين التقيا في هذا اليوم - وهو اليوم السابع من صفر - هما

حجر الخير / حجر بن عجدي / وحجر الشر / ابن عمه / وكلاهما من كندة، وبعد

تطاحن العسكرين دعا الإمام علي عليه السلام أصحابه أن يذهب واحد منهم بمصحف كان في يده إلى أهل الشام، فقال :

من يذهب إليهم فيدعوهم إلى ما في هذا المصحف؟

فسكت الناس وأقبل فتى اسمه سعيد فقال :

- أنا صاحبه.

وبعد أن كرر الإمام عليه السلام طلبه مرتين لم يقم إلا الفتى نفسه، فأعطاه إياه، ولما توجه إليهم ودعاهم إلى ما فيه فقتلوه، فقال الإمام عليه السلام لعبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي :

- احمل عليهم الآن.

فحمل عليهم بمن معه فجعل يضرب بسيفه ويقول (١٩٦/٥) :

لم يبق غير الصبر والتوكل والترس والرمح وسيف مصقل
ثم التمشي في الرعيّل الأول مشي الجمال في حياض المنهل
والله يقضي ما يشا ويفعل

وحاول ابن بديل أن يصل إلى معاوية فيقتله إلا أن معاوية استنجد بقومه أن يرموه بالحجارة فأثخنوه جراحاً حتى سقط فقتلوه، فقال معاوية :

- والله ما مثل هذا إلا كما قال الشاعر :

أخو الحرب إن عضت به الحرب وإن شمرت عن ساقها الحرب شمراً
ويحمي إذا ما الموت كان لقاءه قدما الشبر يحمي الأنف أن يتأخرا

كليث هزير كان يحمي ذماره رمته المنايا قصدها فتقطرا
وتقدم أبو شداد قيس بن المكشوح بن هلال إلى عسكر معاوية بخيله وهو
يريد معاوية وصاحبه: صاحب الترس المذهب الذي كان يستره من الشمس
وأثناء زحفه كان يقول (٢٠٦/٥):

إن علياً ذو أنفة صارم جلد إذا ما حضر العزائم
لما رأى ما تفعل الأشائم قام له الذروة والأكارم

وبعد أن قتل أخذ الراية بعده عبد الله بن الأحسي وارتجز:

لا يبعث الله أباشداد حيث أجاب دعوة المنادي
وشد بالسيف على الأعادي نعم الفتى كان لدى الطراد

وفي طعان الخيل والجلاد

ولما حاولت تميم أن تنهزم من المعركة ناداهم مالك بن حري النهشلي:

- ضاع الضراب اليوم، والذي له أنا عبد يا بني تميم.

فقالوا: ألا ترى الناس قد انهزموا؟

فقال:

ويحكم أفرار واعتذار؟

وبعد يأس منهم جعل يقاتل ويرتجز ويقول (٢١١/٥):

إن تميمأ خلف عنك ابن مر وقد أراهم وهم الحي الصبر

فإن يفرأ أو يخيموا لا أفر

فقتل مالك ذلك اليوم، وقال أخوه هُشَل بن حري التميمي يرثيه :

كليل التمام ما يريد انصراما
أورق من بعد العشاء نياما
فلا تعذليني إن جزعت إماما
يؤرق من وادي البطاح حماما
وتذرف عيناى الدموع سجاما
وأبعث نوحاً يلتد من قياما
وذو عزة يأبى بها أن يضاما
إذا اضطرمت نار العدو ضراما
يرى ما يهاب الصالحون صراما
وأمضى إذا رام الرجال صداما
ولا جازر للمنشآت غلاما
ولا يرفعوا نحو الجياد لجاما

تطاول هذا الليل ما كان ينجلي
وبتُ بذكرى مالك بكأبةٍ
أبى جزعي في مالك غير ذكره
فأبكي أخي ما دام صوت حمامة
وأبعث أنواحاً عليه بسُحرةٍ
وأدعو سراة الحي تبكي لمالك
يقلن ثوى رب السماحة والحجا
وفارس خيل لا تنازل خيله
وأحيا عن الفحشاء من ذات كِلَّةٍ
وأجرأ من ليث بخفان مخدرٍ
فلا ترجون ذا أمة بعد مالكٍ
وقل لهم لا يرحلوا الأدم بعده

وقال أيضاً يرثيه (٢١٢/٥) :

عند النداء، فلا نكساً ولا درعا
حين الشقاء وعزَّ الرسل فانقطعا
من المشار نرجي تحتها رُبعا
فأوهن السيف عظم الساق فانجذعا

بكى الفتى الأبيض البهلول سنَّته
بكي على مالك الأضياف إذ نزلوا
ولم يجد لقراهم غير مربعة
أهوى لها السيف صلتاً وهي راتعة

فجاءهم بعد رقد الناس أطيبها
يا فارس الروع يوم الروع قد علموا
ومدرك التبيل في الأعداء يطلبه
قالوا أخوك أتى الناعي بمصرعه
ثم ارعوى القلب شيئاً بعد ضربته
وأسبعت منهم من نام واضطجعاً
وصاحب العزم لا نكساً ولا طبعاً
وإن طلبت بتبيل عنده منعاً
فانشق قلبي غداة القول فانصدعا
والنفس تعلم أن قد أثبتت وجعا

وبرز حريث - مولى معاوية - هذا اليوم، وكان شديداً أبداً ذا بأس لا
يرام، فصاح:

يا علي هل لك في المبارزة؟ فأقدم أبا حسن إن شئت.

فأقبل علي عليه السلام يقول (٢١٥/٥):

أنا عليُّ وابن عبد المطلب
فذا النبي المصطفى غير كذب
نحن نصرناه على كل العرب
نحن - لعمر الله - أولى بالكتب
أهل اللواء والمقام والحجب
يا أيها العبد الغرير المنتدب

اثبت لنا يا أيها الكلب الكلب

ثم خالطه فما أمهله أن ضربه ضربة واحدة فقطعه نصفين.

حتى جزع معاوية على حريث جزعاً شديداً، وعاتب عمرواً في إغرائه إياه
بعلي عليه السلام، وقال في ذلك شعراً (٢١٦/٥):

حريث ألم تعلم وجهك ضائر
وأن علياً لم يبارزه فارس
بأن علياً للفوارس قاهر
من الناس إلا أقصدته الأضافر

أمرتك أمراً حازماً فعصيتني
 وولاك عمرو والحوادث جمّة
 وظن حريث أن عمروا نصيحه
 أيركب عمرو رأسه خوف سيفه
 فجدك إن لم تقبل النصح عاثر
 غروراً وما جرت عليك المقادر
 وقد يهلكنَّ العمرَ من لا يحاذر
 ويصلي حريثاً، إنه لفرافر

وكان لهمدان بلاء عظيم في نصره علي عليه السلام في صفين، ومن الشعر
 الذي لاشك أن قائله علي عليه السلام لكثير الرواة له (٢١٧/٥):

دعوت فلباني من القوم عسبة
 فوارس من همدان ليسوا بعزل
 بكل رديني وعذب تخاله
 لهمدان أخلاق كرام تزينهم
 وجدُّ وصدق في الحروب ونجدة
 متى تأتتهم في دارهم تستضيفهم
 جرى الله همدان الجنان فإنها
 فلو كنت بواباً على باب جنّة
 فوارس من همدان غير لثام
 غداة الوغى من شاكر وشبام
 إذا اختلف الأقوام شعل ضرام
 وبأس إذا لاقوا وحدُّ خصام
 وقول إذا قالوا بغير أثم
 تبت ناعماً في خدمة وطعام
 سحام العدى في كل يوم زحام
 لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

وقام علي عليه السلام بين الصفين فنأدى:

- يا معاوية - يكررها -

فقال معاوية:

سلوه ما شأنه؟

قال :

- أحب أن يظهر لي فأكلمه كلمة واحدة.

فبرز معاوية ومعه عمرو بن العاص، فلما قارباه، لم يلتفت إلى عمرو وقال

لمعاوية :

- ويحك! علام يقتل الناس بيني وبينك ويضرب بعضاً، أبرز لي فأينا قتل

صاحبه فالأمر له.

فالتفت معاوية إلى عمرو، فقال :

ما ترى يا أبا عبد الله؟

قال :

- قد أنصفك الرجل، واعلم إنك إن نكلت عنه لم يزل سبة عليك وعلى

عقبك ما بقي على ظهر الأرض عربي.

فقال معاوية :

- يا بن العاص، ليس مثلي يخدع عن نفسه، والله ما بارز ابن أبي طالب

شجاع قط إلا وسقى الأرض من دمه.

ثم انصرف معاوية راجعاً حتى انتهى إلى آخر الصفوف وعمرو معه، فلما

رأى علي عليه السلام ذلك ضحك وعاد إلى موقفه.

وحقد معاوية على عمرو باطناً، وقال له ظاهراً :

- ما أظنك قلت ما قلت يا أبا عبد الله إلا مازحاً.

فلما جلس معاوية مجلسه، أقبل عمرو يمشي حتى جلس إلى جانبه فقال
معاوية (٢١٧/٥ - ٢١٨) :

يا عمرو إنك قد قشرت لي العصا
يا عمرو إنك قد أشرت بظنةٍ
ولقد ظننتك قلت مزحة مازحٍ
وإذا الذي وفتك نفسك حاكياً
ولقد كشفت قناعها مذمومة
برضاك لي وسط العجاج برازي
حسب المبارز خطفه من بازي
والهزل يحمله مقال الهازي
قتلي، جزاك بما نويت الجازي
ولقد لبست بها ثياب الحازي
فقال عمرو :

أيها الرجل أتجن عن خصمك وتتهم نصيحك؟

وقال مجيباً :

معاوي إن نكلت عن البراز
معاوي ما اجترمت إليك ذنباً
وما ذنبي بأن نادى عليُّ
فلو بارزته بارزت ليثاً
ويزعم أنني أضمرت غشاً
أضبع في العجاجة يا بن هند
لك الويلات فانظري في المخازي
وما أنا في التي حدثت بخازي
وكبش القوم يُدعى للبراز
حديث الناب يخطف كل بازي
جزاني بالذي أضمرت جازي
وعند الباه كالتيس الحجازي

وبينا مر العباس بن الحارث بن عبد المطلب، مكفهرًا بالسلاح، هتف به
هاتف من أهل الشام يعرف بمرار بن أدهم :

- يا عباس هلم للبراز!

قال العباس :

فالنزول إذاً فإنه أياس من القفول.

فنزول الشامي وهو يقول (٢١٩/٥) :

إن تركبوا فركوب الخيل عادتنا أو تنزلون فإننا معشر نزلوا

وثنى العباس رجله وهو يقول :

ويصد عنك مخبلة الرجل العريض موضحةً عن العظم

بحسام سيفك، أو لسانك والكلم الأصيل كأرغب الكلم

وتطاعنا شديداً حتى قتل الشامي.

وخرج رجل من عك فسأل البراز، فخرج إليه قيس بن فهان الكندي فما

ألبته أن طعنه فقتله، وقال (٢٢٢/٥) :

لقد علمت عك بصفين أننا إذا ما تلاقى الخيل نطعنها شزرا

ونحمل رايات القتال بحقها فنوردها بيضاً ونصدرها حمرا

ومن قاتلوا مع الإمام علي عليه السلام أيام صفين، بشر بن العوس

الطائي - وكان من رجال طي وفرسانها - وفقئت عينه، فكان يذكر بعد ذلك

بأيام صفين فيقول :

وددت أنني قتلت يومئذ، وددت أن عيني هذه الصحيحة فقئت أيضاً.

وقال (٢٢٤/٥) :

ألا ليت عيني هذه مثل هذه ولم أمش بين الناس إلا بقائد
 ويا ليت رجلي تَمَّ طنت بنصفها ويا ليت كفي ثم طاحت بساعدي
 ويا ليتني لم أبق بعد مطّرفٍ وسعد وبعد المستتير بن خالد
 فوارس لم تغذ الحواضن مثلهم إذا هي أبدت عن خدام الخرائد
 ومن الذين حاربوا مع أمير المؤمنين عليه السلام عنتر بن عبيد بن خالد
 المحاربي، وهو أشجع الناس يومئذ، كان يشد من عضد أصحابه ويرتجز ويقول
 : (٢٢٤/٥-٢٢٥) :

لا وألت نفس امريء ولى الدبر أنا الذي لا أنثني ولا أفر
 ولا يرى مع المعازيل الغدر

وقاتل حتى ارتثُ.

وأقبل الحضين بن المنذر يومئذ وهو غلام يزحف براية ربيعة، وكانت راية
 حمراء، فأعجب علياً عليه السلام زحفه وثباته فقال (٢٢٦/٥-٢٢٧) :

لمن راية حمراء يخفق ظلها إذا قيل قدمها حضين تقدا
 ويدنو بها في الصف حتى يزيدها حمام المنايا تقطر الموت والدماء
 تراه إذا ما كان يوم عزيمة أبى فيه إلا عزة وتكرما
 جزى الله قوماً صابروا في لقاءهم لدى الناس أجاً ما أعف وأكرما
 وأحزم صبراً يوم يدعى إلى الوغى إذا كان أصوات الكمأة تغمغما
 ربيعة أعني إنهم أهل نجدة وبأس إذا لاقوا خميساً عرمرما

وقد صبرت عك ولخم وحمير
ونادت جذام يال مذحج ويحكم
أما تتقون الله في حرما تكم
أذقنا ابن حرب طعنا وضراينا
وفرينا ذي الزبرقان وظالمأ
وعمروأ وسفيانأ وجهمأ ومالكأ
وكرز بن تيهان وعمرو بن جحدر
لمذحج حتى لم يفارق دم دما
جزى الله شرأ أينأ كان ظالمأ
وما قرب الرحمن منها وعظما
بأسيا فنا حتى تولى وأحجما
ونادى كلاعأ والكليب وأنعما
وحوشب والفادي شريحأ وأظلمأ
وصباحأ القبين يدعو وأسلمأ

وقد رويت الأبيات الستة الأولى للإمام علي عليه السلام وباقي الأبيات من قوله (وقد صبرت عك) للحضين بن منذر صاحب الراية.

وكان بصفين تل الجماجم تلقى عليه جماجم الرجال، وكان يدعى تل، فقال عقبة بن مسلم الرقاشي من أهل الشام (٢٣٠/٥):

ولم أرَ فرسانأ أشد حفيظة
غداة أتى أهل العراق كأنهم
إذا قلت قد ولوا تثوب كتيبة
وقالوا لنا هذا عليُّ فبايعوا
وأمنع منا يوم تل الجماجم
نعام تلقي في فجاج المخارم
ململة في البيض شمط المقادم
فقلنا: صه بل بالسيوف الصوارم

وقال شبت بن ربعي التميمي:

وقفنا لديهم يوم صفين بالقنا
وولى ابن حرب والرماح تلوثة
لدن غدوة حتى هوت لغروب
وقد أرضت الأسياف كل غضوب

نجالدهم طوراً وطوراً نشلهم
على كل محبوب السراة شبوب
بكل أسيل كالقراط إذا بدت سيأسيل
لوائحها بين الكمأة لعوب
نجالد غساناً وتشقى بحربنا
جذام ووتر العبد غير طلوب
فلم أرَ فرساناً أشد حفيظة
إذا غشى الآفاق رهج جلوب
أكر وأحمى بالفظاريف والقنا
وكل حديد الشفرتين قضوب

حمل عبيد الله بن عمر (من جماعة معاوية) على صف بن حنيفة وهو يقول
:(٢٣٤/٥)

أنا عبيد الله ينميني عمر
خير قریش من مضى ومن غير
إلا رسول الله والشیخ الأغر
قد أبطأت عن نصر عثمان مضر
والربيعيون فلا أسقوا المطر
وسارع الحي الیمانون الفرر

والخير في الناس قديماً بيتدر

فحمل عليه حرث بن جابر الحنفي (من جماعة علي عليه السلام) وقال :

قد سارعت في نصرها ربيعة
في الحق والحق لها شريعة
فاكف فاست تارك الوقية
في العصابة السامعة المطيعة

حتى تذوق كأسها الفظيعة

وطعنه فصرعه.

فقال كعب بن جعيل التغلبي يرثي عبيد الله، وكعب شاعر أهل الشام

:(٢٣٥-٢٣٤/٥)

ألا إنما تبكي العيون لفارس
تبدل من أسماء أسياف وائل
تركتم عبيد الله في القاع مسلماً
ينوء وتغشاه شآبيب من دم
دعاهن فاستمعن من أين صوته
تحاللت عنه زر درع حصينة
وقرت تميم سعدها وربابها
وقد صبرت حول ابن عم محمد
بمرج ترى الرايات فيها كأنها
فما برحوا حتى رأى الله صبرهم
جزى الله قتلانا بصفين خير ما

بصفين أجلت خيله وهو واقف
وأى فتى لو أخطأته المتالف
يمسح دماء والعروق نوازف
كما لاح في جيب القميص الكفائف
فأقبلن شتى والعيون ذوارف
وينكر منه بعد ذلك معارف
وخالفت الخضراء فيمن يخالف
لدى الموت شهباء المناكب شارف
إذا أجنحت للطعن طير عواكف
وحتى أسرت بالأكف المصاحف
أثيب عباد غادرتها المواقف

ومما رثى به كعب بن جعيل عبيد الله بن عمرو قوله (٢٣٦/٥):

يقول عبيد الله لما بدت له
ألا يا لقومي فاصبروا إن صبركم
فلما تدانى القوم حز مجدلاً
وخلف أطفالاً يتامى أذلة
حلالاً لها الخطاب لا يمنعهم

سحابة موت تقطر الحتف والدم
أعف وأحجى عفة وتكرما
صريعاً تلاقي كفه الترب والفما
وعرساً عليه تسكب الدمع أيما
وقد كان يحمي غيرة أن تكلم

وقال الصلتان العبدى يذكر مقتل عبيد الله، وإن حريث بن جابر الحنفي

قتله (٢٣٧/٥) :

ألا يا عبيد الله ما زلت مولعاً
كأن حماة الحي من بكر وائل
وطنت سفيهاً قد تعودت عادة
فأصبحت مصلوباً على شر أيقة
تشق عليك جيبها ابنة هانيءٍ
وكانت ترى ذا الأمر قبل عيانه
وقالت عبيد الله لا تبك وائلاً
فقد جاء ما قد مسها فتسلبت
حباك أخو الهيجا حريث بن جابر
ببكر لها تهدي القرى والشهدا
بذي الرمث أسد قد تبوأن غرقدا
وكل امريءٍ جارٍ على ما تعودا
صريع القنا تحت العجاجة مفردا
مسلبة تبدي الشجا والتلدا
ولكن حكم الله أهدي لك الردى
فقلت لها لا تعجلي وانظري غدا
عليك، وأمسى الجيب منها مقدا
بجياشة تحكي بها النهر مزبدا

وبعد أن قتل أبو عرفاء جبلة بن عطية الذهلي - من جيش العراق - شدت
ربيعة بعده شدة عظيمة على صفوف أهل الشام فنقضتها، فقال مجزأة بن ثور
(٢٤٠/٥) :

أضربهم ولا أرى معاوية
هوت به في النار أم هاوية
الأبرج العين العظيم الحاوية
جاوره فيها كلاب عاويه

أغوى طغماً لا هدته هاديه

لما اشتد القتال بين الفريقين وتمكن الشاميون من أهل العراق نادى علي

عليه السلام يومئذ :

ألا رجل يشري نفسه لله ويبيع دنياه بأخرته؟

فأتاه رجل من جعف يقال له عبد العزيز بن الحارث، على فرس أدهم،
 كأنه غراب مقنع في الحديد، لا يرى منه إلا عيناه. فقال:

- يا أمير المؤمنين مرني بأمرك، فوالله لا تأمرني بشيء إلا صنعته، فقال علي
 عليه السلام:

سمحت بأمر لا يطاق حفيظة وصدقاً وإخوان الوفاء قليل
 جزاك إله الناس خيراً فإنه لعمرك فضل ما هناك جزيل

وكان علي عليه السلام لا يعدل بريعة أحداً من الناس فشق ذلك وأظهروا
 لهم القبيح، وأبدوا ذات أنفسهم، فقال الحضير بن المنذر الرقاشي شعراً أغضبهم
 به، وهو:

رأت مضر صارت ربيعة دونهم شعار أمير المؤمنين، وذو الفضل
 فأبدوا إلينا ما تجن صدورهم علينا من البغضا وذاك له أصل
 فقلت لهم لما رأيت رجالهم بدت بهم قطر كأن بهم ثقل
 إليكم أهيبوا لا أبا لأبيكم فإن لكم شكلاً وإن لنا شكلاً
 ونحن أناس خصنا الله بالتي رأنا لها أهلاً وأنتم لها أهل
 فابلوا بلاناً أو أقروا بفضلنا ولن تلحقون الدهر ما حنت الإبل

وقام رؤساء مضر إلى الإمام علي عليه السلام - وبعد كلام كثير - طلبوا
 منه عليه السلام، إعفاء ربيعة من القتال يوماً وتكليفهم به ففعل عليه السلام،

فغدا أبو الطفيل عامر بن وائل في قومه من كنانة وهم جماعة عظيمة، فتقدم أمام الخيل وهو يقول :

- طاعنوا وضاربوا، ثم حمل وارتجز فقال (٢٤٤/٥) :

قد ضاربت في حربها كنانة واللّه يجزيها به كنانه
من أفرغ الصبر عليه زانه أو غلب الجبن عليه شأنه
أو كفر الله فقد أهانه غداً يعص من عصى بنانه
ثم غدا في اليوم التالي عمير بن عطار بجماعة من بني تميم، وهو يومئذ سيد مضر الكوفة فقال :

يا قوم، إني أتبع آثار أبي الطفيل، فاتبعوا آثار كنانة ثم قدم رايته وارتجز وقال (٢٤٥/٥) :

قد ضاربت في حربها تميم إن تميمأ خطبها عظيم
لها حديث ولها قديم إن الكريم نسله كريم
دين قويم وهوى سليم إن لم تردهم رايتي فلوموا
ثم غدا في اليوم الثالث قبيصة بن جابر الأسدي في بني أسد، وقال لأصحابه :

- يا بني أسد، أما أنا فلا أقصر دون صاحبي، وأما أنتم فذاك إليكم، ثم تقدم برايته وقال (٢٤٥/٥-٢٤٦) :

قد حافظت في حربها بنو أسد ما مثلها تحت العجاج من أحد

أقرب من يمن وأنأى من نكد
لسنا بأوباش ولا بيض البلد
كنت ترانا في العجاج كالأسد
كأنتنا ركننا ثبير أو أحد
لكننا للحممة من ولد معد
يا ليت روحي قد نأى عن الجسد

فانتصفوا المضرية من الربيعية وظهر أثرها وعرف بلاؤها، وقال أبو الطفيل

: (٢٤٦/٥-٢٤٧):

وحامت كنانة في حريها
وحامت هوازن يوم اللقا
لقينا الفوارس يوم الخميس
لقينا قبائل أنسابهم
فأمدادهم خلف آذانهم
فظاننا نفأً تق هاماتهم
ونعم الفوارس يوم اللقا
وقل في طعان كفرغ الدلاء
ولكن عصفنا بهم عصفة
طحنا الفوارس وسط العجاج
وقلنا عليّ لنا والد

وحامت تميم وحامت أسد
فما ضام منا ومنهم أحد
والعيد والسبت ثم الأحد
إلى حضرموت وأهل الجند
دعونا معداً ونعم المعد
ولم نك فيها بيض البلد
فقل في عديد وقل في عدد
وضرب عظيم كزار الوفد
وفي الحرب يمن وفيها نكد
وسقنا الزعانف سوق النقد
ونحن له طاعة كالولد

قام عمار يوم صفين فاستنهض معه أصحابه ثم مضى ومضى معه أصحابه،

فدنا من عمرو بن العاص فقال:

- يا عمرو بعث دينك بمصر، فتباً لك، وطالما بقيت للإسلام عوجاً.

ثم حمل عمار وهو يقول (٢٥٣/٥):

وتعالى ربي وكان جليلاً	صدق الله وهو للصدق أهل
في الذي قد أحب قتلاً جميلاً	ربّ عجل شهادة لي بقتلٍ
تل على كل ميتة تفضيلاً	مقبلاً غير مدبرٍ إن للقبـ
يشربون الرحيق والسلسبيلاً	إنهم عند ربهم في جنانٍ
كوكأساً مزاجها زنجبيلاً	من شراب الأبرار خالطه المسـ

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص وهو يذكر علياً عليه السلام بصفين

(٢٥٥/٥):

بصفين يوماً شاب منها الذوائب	فلو شهدت جهل مقامي ومشهدي
سحاب ربيع رفعته الجنائب	عشية جا أهل العراق كأنهم
كتائب منهم وأحجنت كتائب	إذا قلت قد ولت سراعاً بدت لنا
من البحر مد موجه متراكب	وجئناهم فردي كأن صفوفنا
سراة النهار ما تولى المناكب	فدارت رحانا واستدارت رحاهم
فقلنا بلى إنا نرى أن تضاربوا	فقالوا لنا: إنا نرى أن تبايعوا

لما دفع علي عليه السلام الراية إلى هاشم بن عتبة، فألح عليه رجل من

العسكر فقال له هاشم:

إذا رأيتني قد صرعت فخذها.

واستحث أصحابه فأخذ الراية فهزها، فقال رجل من أصحابه :

- البث قليلاً ولا تعجل.

فقال هاشم (١٣/٨) :

قد أكثر لومي وما أقل
أعور يبغي أهله محلاً
لابد أن يفل أو يُفلاً
مع ابن عم أحمد المعلى
أول من صدقه وصلّى
إني شربت النفس لن أعتلا
قد عالج الحياة حتى ملا
أشلهم بنذي الكعوب شلاً
فيه الرسول بالهدى استهلا
فجاهد الكفار حتى أبلا

وقال أبو الأعور وقد اشتبك العسكران (١٣/٨) :

إذا ما فررنا كان أسوا فرارنا
صدر الخدود والقنا متشاجر
والتقت هذا اليوم همدان بعك الشام فقال قائلهم :
همدان همدان وعكك عكك
صدر الخدود وازرار المناكب
ولا تبرح الأقدام عند التضارب
ستعلم اليوم من الأرك

لما التحم جيشا العراق والشام وتداخلا حتى حل الليل عليهما، ولما أذن مؤذن علي عليه السلام الفجر، قال علي عليه السلام (١٤/٨) :

يا مرحباً بالقائلين عدلاً وبالصلاة مرحباً وأهلاً

وقال عمار بن ياسر قبيل أن يقتل، وهو ينظر إلى راية عمرو بن العاص :

والله إنها الراية التي قاتلتها ثلاث عركات وما هذه بأرشدهن، ثم قال (٢٤/٨) :

نحن ضربناكم على تأويله كما ضربناكم على تنزيله
ضرباً يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله
أو يرجع الحق إلى سبيله

وكان عمار في ذلك اليوم قد حمل على أهل الشام وهو يرتجز (٢٦/٨) :

كلا ورب البيت لا أبرح أجي حتى أموت أو أرى ما أشتهي
لا أفتأ الدهر أحامي عن علي صهر الرسول ذي الأمانات الوفي
ينصرنا رب السماوات العلي ويقطع الهام بحد المشري
يمنحنا النصر على من يبتغي ظلماً علينا جاهداً ما يأتلي

فضرب أهل الشام حتى اضطروهم على الفرار.

قال عمرو بن العاص يوماً :

- إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول لعمار : ((تقتلك الفئة الباغية،
وآخر تربك ضياع من لبن (١٦١)).

ولما قتل عمار أرسل معاوية إلى عمرو :

لقد أفسدت عليَّ أهل الشام؛ أكل ما سمعت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تقوله؟

فقال عمرو :

- قلتها ولست أعلم الغيب، ولا أدري أن صفين تكون؛ قلتها وعمار
يومئذٍ لك ولي، وقد رويت أنت فيه مثل ما رويت. فغضب معاوية وتنمر لعمرو،

وعزم على منعه خيره، فقال عمرو لابنه وأصحابه: لا خير في جوار معاوية، إن تجلّت هذه الحرب لأفارقته وقال (٢٧/٨):

تعاتبني أن قلت شيئاً سمعته
أنعلك فيما قلت نعل ثبيته
وما كان لي علم بصفين أنها
ولو كان لي بالغيب علم كتمتها
أبى الله إلا أن صدرك واغر
سوى أنبي والراقصات عشية
فلا وضعت عني حصان قناعها
ولا زلت أدعى في لؤي بن غالب
إن الله أَرْضَى من خناقك مرة
وأترك لك الشام الذي ضاق رحبها
فأجابه معاوية (٢٨/٨):

أألان لما أَلقت الحرب ركبها
غمزت قناتي بعد ستين حجة
أتيت بأمر فيه للشام فتنة
فقلت لك القول الذي ليس ضائراً
تعاتبني في كل يوم وليلة
وقام بنا الأمر الجليل على رجل
تباعاً كأنني لا أمر ولا أحلي
وفي دون ما أظهرته زلة النعل
ولو ضر لم يضررك حملك لي ثقلي
كأن الذي أبليك ليس كما أبلي

فيا قبح الله العتاب وأهله
 فدع ذا ولكن هل لك اليوم حيلة
 دعاهم علي فاستجابوا لدعوة
 إذا قلت هابوا حومة الموت أرقلوا
 ألم تر ما أصبحت فيه من الشغل
 ترد بها قوماً مراجلهم تغلي
 أحب إليهم من ثرى المال والأهل
 وفي دون ما أظهرته زلة النعل

فلما أتى عمرو شعر معاوية أتاه فأرضاه وصار أمرهما واحداً.

وأقبل هاشم بن عتبة - من جيش علي عليه السلام - على جيش معاوية
 وكان أعور وصار يرتجز (٢٩/٨):

أعور يبغني نفسه كلاصا
 قد جرب الحرب ولا أناصا
 كل امريءٍ وإن كبا وصاصا
 مثل الفتيق لابساً دلاصا
 لا دية يخشى ولا قصاصا
 ليس يرى من يومه مناصا

فحمل صاحب لواء ذي الكلاع - هو رجل من عذرة - فقال:

يا أعور العين وما بي من عور
 نحن اليمانون وما فينا خور
 بنص ابن عفران ويلحن من عذر
 أثبت فياني لست من فرعي مضر
 كيف نرى وقع غلام من عذر
 سيان عندي من سعى ومن أمر

ولما قتل هاشم وذو الكلاع حمل عبد الله بن هاشم اللواء وارتجز وقال:

يا هاشم بن عتبة بن مالك
 تحيطه الخيلان بالسنانك
 أبشر بحور العين بالأرائك
 أعزز بشيخ من قریش هالك
 في أسود من نعهن حالك
 والروح والريحان عند ذلك

لما عرف الإمام علي عليه السلام بقتل هاشم وقف وحوله عصابة من أسلم قد صرعوا معه، وقوم من القراء فجزع عليه السلام عليه وقال (٣٥/٨) :

جزي الله خيراً عصابة أسلمية صباح الوجوه صرعوا حول هاشم
يزيدٌ وسعدانٌ وبشرٌ ومعبدٌ وسفيان وابنا معبد ذي الأكارم
وعروة لا يبعد ثناه وذكره إذا اخترطت يوماً خفاف الصوارم

وقالت امرأة من أهل الشام في قتل هاشم وعمار (٣٦/٨) :

لا تعدموا قوماً أذاقوا ابن ياسرٍ شعوباً ولم يعطوكم بالخزائم
فنحن قتلنا اليثري بن محصنٍ خطيبكم وابني بديلٍ وهاشم

أما اليثري، فهو عمرو بن محصن الأنصاري، وقد رثاه النجاشي شاعر أهل

العراق فقال (٣٧/٨) :

لنعم فتى الحيين عمرو بن محصنٍ إذا صارخ الحي المصبح ثوباً
إذا الخيل جالت بينها قصدُ القنا يثرن عجاجاً ساطعاً متصباً
لقد فجع الأنصار طراً بسيدٍ أخي ثقةٍ في الصالحات مجرباً
فيا رب خيرٍ قد أفهت، وجعبة ملأت، وقرن قد تركت مسلماً
فيا رب خصمٍ قد رددت بغيظه فآب ذليلاً بعد أن كان مغضباً
وراية مجدٍ قد حملت وغزوةٍ شهدت إذا النكس الجبان تهيأ
حويطاً على جل العشيرة ماجداً وما كنت في الأنصار نكساً موثباً
طويل عماد المجد رحباً فناؤه خصيباً إذا ما رائد الحي أجذباً

عظيم رماد النار لم يك فاحشاً
 وكنت ربيعاً ينفع الناس سيبه
 فمن يك مسرورا بقتل ابن محصنٍ
 وغودر منكباً لفيه ووجهه
 فإن يقتلوا الحرَّ الكريم بن محصنٍ
 وإن يقتلوا ابني بديلٍ وهاشمٍ
 ونحن تركنا حميراً في صفوفهم
 وأفلتتا تحت الأسنة مدثرٌ
 ونحن تركنا عند مختلف القنا
 بصفين لما أرفض عنه رجالكم
 وطلحة من بعد الزبير ولم ندع
 ونحن أحطنا بالبعير وأهله

وفي قتل هاشم بن عتبة يقول أبو الطفيل عامر بن وائلة الكناني، وهو من الصحابة وقيل أنه آخر من بقي من صحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم وشهد مع علي صفين، وكان من مخلصي الشيعة (٣٨/٨) :

يا هاشم الخير جزيت الجنة
 والتاركى الحق وأهل الظنة
 صيرني الدهر كأنى شنة
 قاتلت في الله عدو السنه
 أعظم بما فزت به من منه
 وسوف تعلق فوق قبوري رنه

من زوجة وحبوبة وكنه

وقال رجل من عذرة من أهل الشام (٣٩/٨):

لقد رأيت أموراً كلها عجب وما رأيت كأيام بصفينا
لما غدوا وغدونا كنا حنقٌ لما رأيت الجمال الجلة الجونا
خيل تجول وأخرى في أعنتها وآخرون على غيظ يرامونا
ثم ابتذلنا سيوفاً في جماجمهم وما نساقبهم من ذاك يجزونا
كأنها في أكف القوم لامعة سلاسل البرق تجدعن العرانينا
ثم انصرفنا كأشلاء مقطعة وكلهم عند قتلاهم يصلونا

ولما فر عتبة ابن أبي سفيان عشرين فرسخاً عن موضع المعركة التي قادها الإمام علي عليه السلام حتى أتى الشام، قال النجاشي قصيدة أولها (٤٠/٨):

لقد أمعنت يا عتب الفرارا وأورتك الوغى خزيلاً وعارا
فلا يحمد خصاك سوى طمرٍ إذا أجريتـه انهمـر انهمـارا

وهجا كعب بن جعيل عتبة بن أبي سفيان وغيره بالفرار، وكان كعب من شيعة معاوية، لكنه هجا عتبة تحريضاً له، فهجاه عتبة جواباً له (٤١/٨):

وسميت كعباً بشـر العظام وكان أبوك يُسمى الجُعـل
وإن مكانك من وائلٍ مكان القراد من أسـت الجـمـل

وقال معقل بن هنيك بن يساف الأنصاري في قتلى معركة يوم الخميس، وقد قتل فيها أعلام العرب (٤٢/٨):

إذ أفلت الفاسق الضليل منطلقا
تحت العجاج تحت الركض والعنقا
قُبُّ الخيول به أعجز بمن لُحِقا
تحت الدجى كلما خاف الردى أرقا

يا لهف نفسي ومن يشفي حزازتها
وأفلت الخيل عمرو وهي شاحبة
وافلت منية عبد الله إذ لحقت
وانساب مروان في الظلماء مستتراً

وقال مالك الأشر:

لما غدا قد أعلمنا
ومعبداً إذ أقدمنا
يقظان شيخاً مسلماً
سبعين شيخاً مجرمنا
لاقوا نكالا مؤثماً

نحن قتلنا حوشنا
وذا الكلاع قبلاه
إن تقتلوا منا أبا الـ
فقد قتلنا منكم
أضحوا بصرفين وقد

وقالت ضبعة بنت خزيمة ذي الشهادتين ترثي أباهما رحمه الله (٤٢/٨-٤٣) :

قتيل الأحزاب يوم الفرات
أدرك الله منهم بالتُّرات
يسرعون الركوب في الدعوات
ل، ودانوا بذاك حق الممات
ورماهم بالخزي والآفات

عين جودي على خزيمة بالدمع
قتلوا ذا الشهادتين عتواً
قتلوه في فتية غير عزلٍ
نصروا السيد الموفق ذا العد
لعن الله معشراً قتله

أتى علقمة بن زهير الأنصاري الإمام علي عليه السلام فقال :

يا أمير المؤمنين، إن عمرو بن العاص يرتجز في الصف بشعر أفأسمعك؟

قال نعم.

قال :

إنه يقول (٤٦/٨) :

إذا تخازرت وما بي من خزر
ألفيتني ألوي بعيد المستمر
أحمل ما حملت من غير وشر
فقال الإمام علي عليه السلام :
اللهم عنه؛ فإن رسولك لعنه.

قال علقمة :

وإنه يا أمير المؤمنين يرتجز برجز آخر، فأنشدك؟

قال : قل

فقال :

أنا الغلام القرشي المؤتمن
ترضى بي الشام إلى أرض عدن
يا أيها الأشراف من أهل اليمن
أعني علياً وابن عم المؤتمن

كفى بهذا حزناً من الحزن

فضحك علي عليه السلام وقال :

إنه لكاذب وإنه بمكاني لعالم، كما قال العربي :

((غير الوهي ترقعين وأنت مبصرة))

ويحكم أروني مكانه؛ لله أبوكم وخلاكم ذم.

وقال محمد بن عمرو بن العاص (وقد نقلنا بعضها من ٥/٥٥) على أنها

لعبد الله بن عمرو بن العاص وهو يذكر علياً عليه السلام بصفين، وهنا نقلها من (٤٧/٨) :

بصفين يوماً شاب منها الذوائب

من البحر موجٌ لجُّه متراكب

سحاب خريف صففته الجنائب

وطرنا إليهم والسيوف قواضب

سراة نهار ما تولى المناكب

كتائب منهم واحتمنت كتائب

علياً، فقلنا، بل نرى أن تضاربوا

وليس لما لاقوا سوى الله حاسب

ولا عارضاً منهم كميأ يكالب

تلاؤُ برقٍ في تهامة ثاقب

(و) لو شهدت جملٌ مقامي ومشهدي

غداة غدا أهل العراق كأنهم

وجئناهم نمشي صفوفاً كأننا

فطارت إلينا بالرماح كماتهم

فدارت رحانا واستدارت رحاهم

إذا قلت يوماً قد دنوا برزت لنا

وقالوا لنا من رأينا أن تبايعوا

وقالوا وقد أردوا سراة رجالنا

فلم أر يوماً كان أكثر باكيأ

كأن تلالبي البيض فينا وفيهم

فرد عليه محمد بن علي بن أبي طالب عليه السلام :

مقام لئيم وسط تلك الكتائب

(و) لو شهدت جمل مقامك أبصرت

أتذكر يوماً لم يكن لك فخره
وأعطيتمونا ما نقتمتم أدلة
وقد ظهرت فيه عليك الجلائب
على غير تقوى الله والدين واصب

وقال النجاشي يذكر علياً وجده في الأمر (٤٨/٨) :

إنني أخال علياً غير مرتدع
أما ترى النقع معصوباً بلمته
حتى يزيل ابن حربٍ عن إمارته
(حتى) ترَّوه كمثل الصقر مرتبئاً
حتى تقام حقوق الله والحُرْم
كأنه الصقر في عرينه شمم
كما يغط الفنيق المصعب القطم
كما تتكب تيس الحلبة الحلم
يخفقن من حوله العقبان والرخم

وقال النجاشي أيضاً يمدح علياً عليه السلام ويهجو معاوية، وقد بلغه أنه

يتهدده (٤٨/٨ - ٤٩) :

يا أيها الرجل المبدي عداوته
لا تحسبني كأقوام ملكتهم
وما علمت بما أضمرت من حنقٍ
إذا نفست على الأنجاد مجدهم
أعلم بأن علي الخير من نفرٍ
لا يجحد الحاسد الغضبان فضلهم
نعم الفتى أنت إلا أن بينكما
ولا أخالك ألا لست منتهيأ
روىء لنفسك أي الأمر تأتمر؟
طوع الأعنة لما ترشح الغدر
حتى أتتني به الرُكبان والنُذر
فابسط يديك فإن الخير مبتدر
شم العرانيين لا يعلوهم بشر
ما دام بالحزن من صمائها حجر
كما تفاضل ضوء الشمس والقمر
حتى يمسك من أظفاره ظفر

لا تحمدن أمراً حتى تجربيه
ولا تذمن من لم يبليه الخير
أني أمرؤ قلماً أثني على أحدٍ
حتى أرى بعض ما يأتي وما يذر
وأن طوى معشر عني عداوتهم
في الصدر أو كان في إبطه خزر
أزمنت عزمًا جراميزي بقافية
لا يبرح الدهر منها فيهم أثر

وفي زحمة القتال قال عمرو بن العاص (٤٩/٨) :

أجئتم الينا تسفكون دماءنا
وما رمتم وعر من الأمر أعسر
لعمري لما فيه يكون حجاجنا
الى الله أوهى لو عقلتم وأنكر
تعاورتم ضرباً بكل مهندٍ
إذا شد وردانٌ تقدم قنبر
كتائبكم طوراً نشد وتارةً
كتائبنا فيها القنا والسنور
إذا ما التقوا يوماً تدارك بينهم
طعان وموت في المعارك أحمر

وقال رجل من كلب مع معاوية يهجو أهل العراق ويوبخهم (٥٠/٨) :

لقد ضلت معاشر من نزارٍ
إذا انقادوا لمثل أبي تراب
وأنهم وبيعهم عليهم
كواشمة التغضن بالخضاب
تزين من سفاهتها يديها
وتحسر باليدين عن النقاب
فإياكم وداهية نؤوداً
تسير إليكم تحت العقاب
إذا ساروا سمعت لخافتهم
دويلاً مثل تصفيق السحاب
يجيبون الصريخ إذا دعاهم
وقد طعن الفوارس بالحراب
عليهم كل سابعة دلاصٍ
وابيض صارم مثل التهاب

وقال أبو حية بن غزية الأنصاري، وهو الذي عقر الجمل يوم البصرة،
وأسمه عمرو:

سائل حليلة معبر عن بعلها	وحليلة اللخمي وابن كلاع
وأسأل عبيد الله عن فرساننا	لما ثوى متجداً بالقاع
وأسأل معاوية المولي هارباً	والخيل تمعج وهي جد سراع
ماذا يخبرك المخبر منهم	عنهم وعننا عند كل وقاع
أن يصدقوك يخبروك بأننا	أهل الندى قدماً نجيب الداعي
أن يصدقوك يخبروك بأننا	نحمي الحقيقة كل يوم مصاع
ندعوا إلى التقوى ونرعى أهلها	برعاية المأمون لا المضاياع
ونسنُّ للأعداء كل مثقفٍ	لندنٍ وكل مشطبٍ قطاع

وقال عدي بن حاتم الطائي (٥١/٨):

أقول لما أن رأيت المعمعة	وأجتمع الجندان وسط البلقعة
هذا عليٌّ والهدى - حقاً - معه	يارب فأحفظه ولا تضيعه
فأنه يخشاه رب فأرفعه	ومن أراد عيبه فضعه

أو كاده بالبغي منك فأقمعه

وقال النعمان بن جعلان الأنصاري:

سائل بصفين عنا عند غدوتنا	أم كيف كنا إلى العلياء نبتدر
وسل غداة لفينا الأزد قاطبة	يوم البصيرة لما أستجمعت مضر

لولا الآله وعفو من أبي حسنٍ
 لما تداعت لهم بالصبر داعية
 كم مقعص قد تركناه بمغفرةٍ
 ما أن يؤوب ولا ترجوه أسرته
 عنهم وما زال منه العفو ينتظر
 إلا الكلاب وإلا الشاء والحمر
 تعوي السباع عليه وهو منعفر
 إلى القيامة حتى ينفخ الصور

وقال عمرو بن الحمق الخزاعي (٥٢/٨):

تقول عرسي أن لما رأته أرقى
 الست في عصابة يهدي الإله بهم
 فقلت: أني على ما كان من رشدي
 أدالة القوم في أمر يراد بنا
 ماذا يهيجك من أصحاب صفينا
 لا يظلمون، ولا بغياً يريدونا
 أخشى عواقب أمر سوف يأتينا
 فأقني حياء وكفي ما تقولينا

وقال حجر بن عدي الكندي:

يا ربنا سلّم لنا عليّاً
 المؤمن المسترشد الرضياً
 وأحفظه ربي حفظك النبيّا
 فأنه كان لنا وليّا
 سلم لنا المهذب التقيّا
 وأجعله هادي أمة مرضياً
 لاخطل الرأي ولا غبيّا
 ثم أرتضته بعده وصيّا

وكان علي عليه السلام إذا أراد الحملة هلل وكبر، ثم قال (٥٥/٨):

من أيّ يوميّ من الموت أفر
 أيوم لم يقدر أم يوم قُدر؟

وقال النجاشي في أحد أيام صفين يذكر الأشتر (٥٥/٨):

ولما رأينا اللواء العقاب
 يقحّمه الشانيء الأخرز

كليث العرين خلال العجاج واقبل في خيله الأبتتر
 دعونا لها الكبش كبش العراق وقد أضمر الفشل العسكر
 فردَّ اللواء على عقبه وفاز بخطوتها الأشتر
 كما كان يفعل في مثلها إذا ناب معصوب منكر
 فإن يدفع الله عن نفسه فحظ العراق به الأوفر
 إذا الأشتر الخير خلى العراق فقد ذهب العرف والمنكر
 وتلك العراق ومن عرفت كفتح تضمنه القرقر

ولما ثخن الجرح في كلا العسكريين طاف الإمام علي عليه السلام على صفوف رجاله ثم دعا ببغلة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فركبها ثم تعصب بعمامة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكانت سوداء، ثم نادى: - أيها الناس، من يشتر نفسه الله يريح، وأن هذا اليوم له ما بعده، أن عدوكم قد مسَّ القرع كما مسَّكم، فأنتدبوا لنصرة دين الله، فأنتدب له ما بين عشرة آلاف إلى اثني عشر ألفاً، وقد وضعوا سيوفهم على عواتقهم، فشد بهم على أهل الشام، وهو يقول (٥٨/٨):

دبوا دبيب النمل لا تقوتوا واصبحوا في حربكم وبيتوا
 حتى تنالوا الثأر أو تموتوا أو لا فأني طالما عصيت
 قد قلت لو جئت فجيئت ليس لكم ما شئتم وشئيت

بل ما يريد المحيي المييت

وتبعه عدي بن حاتم بلوائه. وهو يقول (٥٨/٨) :

أبعد عمارٍ وبعده هاشم وابن بديل فارس الملاحم

نرجو البقاء ضل حلم الحالم لقد غصصنا أمس بالأباهم

فالיום لا نقرع سن نادم ليس أمرؤ من حتفه بسالم

فحمل وحمل الأشر بعدها في أهل العراق كافة، فلم يبق لأهل الشام صف

إلا أنتقض، و راهن أهل العراق أتوا عليه، وحتى أفضى إلا إلى مضرب معاوية،

وعلي عليه السلام يضرب الناس بسيفه قُدماً ويقول (٥٩-٥٨/٨) :

أضربهم ولا أرى معاوية إلا خزر العين العظيم الحاوية

هوت به للنار أم هاوية

فدعا معاوية بفرسه لينجو عليه، فلما وضع رجله في الركاب توقف وتلوم

قليلاً، ثم أنشد قول عمرو بن الأظنابة (٥٩/٨) :

أبت لي عفتي وأبى بلائي وأخذ الحمد بالثمن الربيع

واقدامي على المكروه نفسي وضربي هامة البطل المشيح

وقولي كلما جشأت وجاشت مكانك تحمدي أو تستريحي

لأ دفع عن مآثر صالحاتٍ وأحمي بعد عن عرض صحيح

بذي شطب كلون الملح صافٍ ونفس ما تقر على القبيح

ثم قال : -

يا عمرو بن العاص، اليوم صبر وغداً فخر.

قال : -

صدقت، أنك ما أنت فيه كقول القائل (٥٩/٨) :

ما علتي وأنا جلد نابيل والقوس منها وتر عنابيل
تنزل عن صفحتها المعابيل الموت حق والحياة باطل
فتنى معاوية رجله من الركاب، ونزل واستصرخ بعك والأشعريين، فوقفوا
دونه، وجدلوا عنه حتى كره كل من الفريقين صاحبه وتحاجز الناس.

تعرض عمرو بن العاص لعلي عليه السلام يوماً من أيام صفين فحمل
عليه علي عليه السلام، فلما كاد أن يخالطه إذ رمى نفسه عن فرسه ورفع ثوبه
وشطر برجليه، فبدت عورته فصرف عليه السلام وجهه عنه، وقام معفراً
بالتراب، هارباً على رجله معتصماً بصفوفه، وقال معاوية في ذلك (٦٠/٨) -
(٦١) :

ألا لله من هفوات عمرو يعاتبني على تركي برازي
فقد لاقى أبا حسنٍ علياً فآب الوائلي مآب خازي
فلو لم يبد عورته لطارت بمهجته قوادم أي بازي
فان تكن المنية أطفأته فقد أورى بها أهل الحجاز!

فغضب عمرو وقال :

ما أشد تعظيمك علياً، أبا تراب في أمري؟ هل أنا رجل لقيه ابن عمه
فصرعه؟ أفترى السماء قاطرة لذلك دما؟

قال :

لا، ولكنها معقبة لك خزيًا.

ولما أشد الأمر وعظم على أهل الشام بعث معاوية أخاه عتبة بن أبي سفيان إلى الأشعث فكلمه ليستميله فرد الأشعث عليه كلامه بما أفحمه، فلما عاد عتبة إلى معاوية وأبلغه قوله قال له :

لا تلقه بعدها.

وشاع في أهل العراق ما قاله عتبة للأشعث وما رد الأشعث عليه، فقال

النجاشي يمدحه (٦٢/٨) :

أنت والله رأس أهل العراق

يا ابن قيس وحاتر ويزيد

قليل منها غناء الراقي

أنت والله حية تنفث السم

لا يرى ضوءها مع الأشراق

أنت كالشمس والرجال نجوم

وبالبيض كالبروق الرقاق

قد حميت العراق بالأسل السمر

ض المواضي وبالرماح الدقاق

وسعرت القتال بالشام باليـ

ورؤوس بهامها أفلاق

لا ترى غير أذرع وأكفٍ

سـقيتهم بكأس دهاق

كلما قلت قد تصرفت الهيجا

وسارت به القلاس المناقي

قد قضيت الذي عليك من الحق

وللشائنين مرر المذاق

أنت حلو لمن تقرب بالود

لك في الناس عند ضيق الخناق

بئسما ظنه ابن هند ومن مثـ

ولما يئس معاوية من الأشعث طلب من عمرو بن العاص أن يكتب إلى عبد الله بن عباس يستميله إلى جانبه لعل الحرب تنتهي فكتب ابن العاص الكتاب وكتب في أسفل الكتاب (٦٨/٨):

طال البلاء وما يرجى له آس
قولا له قول من يرجو مودته:
أنظر فدى لك نفسي قبل قاصمة
أن العراق وأهل الشام لن يجدوا
يا ابن الذي زمزم سقيا الحجيج له
أنى أرى الخير في سلم الشام لكم
فيها التقى وأمور ليس يجهلها
بعد الإله سوى رفق ابن عباس
لا تتسى حظك أن الخاسر الناسي
للظهر ليس لها راق ولا آس
طعم الحياة مع المستغلق القاسي
أعظم بذلك من فخر على الناس
والله يعلم ما بالسلم من باس
وما رأي نوكي كأكياس

فأجابه ابن عباس بكتاب عنفه فيه وأظهر عيوبه وطلب من أخيه الفضل أن يذيل الكتاب بأبيات ففعل وقال (٦٤/٨):

يا عمرو حسبك من مكرٍ ووسواس
إلا تواتر طعن في نحوركم
أما علي فإن الله فضله
أن تعقلوا الحرب نعقلها مخيصة
قد كان منا ومنكم في عجاجتها
قتلى العراق بقتلى الشام ذاهبة
فاذهب فليس لداء الجهل من آس
يشجي النفوس ويشفي نحوه الراس
بفضل ذي شرف عال على الناس
أو تبعثوها فانا غير أنكاس
ما لا يرد، وكل عرضة الباس
هذا بهذا وما بالحق من باس

لا بارك الله في مصر لقد جلبت شرراً وحظك منها حسوة الكأس
يا عمرو أنك عار عن مغارمها -والراقصات - ومن يوم الجزا كاس

ولما وصل الكتاب الى ابن العاص عرضه على معاوية فأجابه بكتاب
مسخط فرده ابن عباس بكتاب أكثر أسخاطاً. ولما وصل الكتاب الى معاوية قال :
هذا عملي بنفسي، لا أكتب - والله - اليه كتاباً سنة كاملة وقال (٦٧/٨) :

دعوت ابن عباس الى جل حظه وكان أمراً أهدي إليه رسائلي
فأخلف ظني والحوادث جمعة وما زاد أن أغلى عليه مراجلي
فقل لأبن عباس أراك مخوفاً بجهلك حلمي أنني غير غافل
فأبرق وأرعد ما استطعت فأنني إليك بما يشجيك سبط الأنامل

وفي أحد أيام صفين عقد معاوية الرئاسة على اليمن من قريش، قصد بذلك
إكرامهم ورفع منازلهم، ومنهم عبيد الله بن عمر بن الخطاب، ومحمد وعتبة ابن
أبي سفيان، وبسر بن أبي أرطأة، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وذلك في
الوقعات الأول من صفين أفغم ذلك أهل اليمن، وأرادوا أن لا يتأمر عليهم أحد
إلا منهم، فقام اليه رجل من كندة، يقال له عبد الله بن الحارث السكوتي، فقال :

أيها الأمير، إني قلت شيئاً فاسمعه وضعه مني على النصيحة.

قال : هات.

فأنشده :

معاويَ أحييت فينا الأحن وأحدثت بالشام ما لم يكن

عقدت لبسر وأصحابه
فلا تخلصنَّ بنا غيرنا
وإلا فدعنا على حالنا
ستعلم أن جاش بحر العراق
وشددَّ عليَّ بأصحابه
بأننا شمعارك دون الدثار
وإننا السيوف وإننا الحتوف
وما الناس حولك إلا اليمين
كما شيب بالماء صفو اللبن
فأننا وإننا إذا لم نهـن
وأبدي نواجذ في الفتن
ونفسك إذ ذاك عند الذقن
وإننا الرماح وإننا الجفن
وإننا الدروع وإننا المحن

فبكى معاوية (لعله بكاء ضعيف ماكر) ونظر إلى وجوه أهل اليمن فقال :

أعن رضاكم يقول ما قال؟

قالوا :

لا مرحباً بما قال؛ إنما الأمر إليك، فاصنع ما أحببت.

فقال معاوية :

أما خلطت بكم أهل ثقتي، ومن كان لي فهو لكم؛ ومن كان لكم فهو لي،
فرضي القوم وسكتوا. فلما بلغ أهل الكوفة مقال عبد الله بن الحارث لمعاوية قام
الأعور الشني إلى علي عليه السلام فقال : -

يا أمير المؤمنين، إننا لا نقول لك كما قال صاحب أهل الشام لمعاوية، ولكن
نقول : زاد الله في سرورك وهداك! نظرت بنور الله، فقدمت رجلاً واخرت رجلاً،
عليك أن تقول، وعلينا أن نفعل، أنت الإمام، فأن هلكت فهذان من بعدك،

حسناً وحسيناً عليهما السلام وقد قلت شيئاً فأسمعه.

قال عليه السلام:

هاتِه

فأنشد (٦٨/٨-٦٩):

وأبا حسن أنت شمس النهار	وهذان في الحادثات القمر
وأنت وهذان حتى الممات	بمنزلة السمع بعد البصر
وانتم أناس لكم سورة	تقصر عنها أكف البشر
يخبرنا الناس عن فضلكم	وفضلكم اليوم فوق الخبر
عقدت لقوم أولي نجدة	من أهل الحياة وأهل الخطر
مسابيح بالموت عند اللقاء	منا واخواننا من مضر
ومن حيّ ذي يمنٍ جبلّة	يقيمون في النائبات الصّغر
فكلُّ يسرّك في قومه	ومن قال، لا، فبفيه الحجر
ونحن الفوارس يوم الزبير	وطلحة إذ قيل أودى غدر
ضربناهم قبل نصف النهار	إلى الليل حتى قضينا الوطر
ولم يأخذ الضرب إلا الرؤوس	ولم يأخذ الطعن إلا الصّغر
فنحن أولئك في أمسنا	ونحن كذلك فيما غبر

فلم يبق أحد من الرؤساء إلا أهدى إلى الشني وتحفه.

إن بسر بن أرطاة بارز علياً يوم صفين فطعنه علي عليه السلام فصرعه،

فأنكشف له، فكف عنه، كما عرض له مثل ذلك مع عمرو بن العاص. فقال الحارث بن نضير الخشعمي - وكان عدواً لعمرو بن العاص وبسر بن أرطأة (٣١٦/٦-٣١٧):

وعورته وسط العجاجة باديه	وفي كل يوم فارس لك ينتهي
ويضحك منها في الخلاء معاويه	يكف لها عنه علي سنانه
وعورة بسر مثلها حذو حاذيه	بدت أمس من عمرو فقتع رأسه
لنفسيكما: لا تلقيا الليث ثانيه	فقولا لعمروثم بسر: ألا انظرا
هما كانتا والله - للنفس واقيه	ولا تحمدا إلا الحيا وخصاكما
وتلك بما فيها إلى العود ناهية	ولولاهما لم تتجوا من سنانه
وفيهما علي فأتركا الخيل ناصية	متى تلقيا الخيل المغيرة صبحه
نحوركما، إن التجارب كافيّة	وكونا بعيداً حيث لا يبلغ القنا

بعد أن تعاظمت الأمور على معاوية قبل قتل عبيد الله بن عمر بن الخطاب، دعا أركانها إلى شن هجوم على معسكر علي عليه السلام بعد أن وزعهم كل واحد أزاء فارس من أهل العراق، وخلال خمسة أيام، ثم قصد لهمدان بنفسه وارتجز فقال (٦٩/٨):

من أرحب وشاكر وشابام	لا عيش إلا فلق قحف الهام
بين قتييل وجريح دام	لن تمنع الحرمة بعد العام
أنعى ابن عفان مدى الأيام	سأملك العراق بالشام

فطعن في عرض الخيل ملياً، ثم أن همدان تنادت بشعارها، وأقحم سعيد بن قيس فرسه على معاوية، واشتد القتال، حتى حجز بينهم الليل، فهمدان تذكر أن سعيداً كان يقتنصه (معاوية) إلا أنه فاته راكضاً، وقال سعيد في ذلك (٧٠/٨) :

يا لهف نفسي فأتني معاويه فوق طمرٍ كالعقاب هاويه
والراقصات لا يعود ثانيه إلا على ذات خصيل طاويه
أن يُعدّ اليوم فكفّي عاليه

وانصرف معاوية في ذلك اليوم، ولم يصنع شيئاً، وغدا عمرو بن العاص في اليوم الثاني في حماة الخيل فقصد المرقال وارتجز عمرو فقال (٧٠/٨) :

لا عيش أن لم الق يوماً هاشما ذاك الذي جشمني المجاشما
ذاك الذي أقام لي المآتما ذاك الذي يشتم عرضي ظالما
ذاك الذي أن ينج مني سالما يكن شجي حتى الممات لازما

فطعن في أعرض الخيل مزبداً، وحمل المرقال عليه وارتجز فقال (٧٠/٨) :

لا عيش أن لم الق يوماً عمروا ذاك الذي أحدث فينا الغدرا
او يبدل الله بأمر أمرا لا تجزعي يا نفس صبراً صبرا
ضرباً هذا ذيك وطعناً شزرا يا ليت ما تجني يكون القبرا!

وفي اليوم الثالث برز بسر بن إرطأة فلقي قيس بن سعد بن عبادة فاشتدت

الحرب بينهما، وأرتجز قيس وقال (٧١/٨) :

أنا ابن سعد زانه عباده والخزرجيون كماء سادة
ليس فراري في الوغى عبادة أن الفرار للفتى قلادة

يا رب أنت لقني الشهادة فالقتل خير من عناق غادة

حتى متى تثني لي الوسادة

وطاعن خيل بسر، وبرز بسر فارتجز وقال (٧١/٨):

أنا ابن إرطأة العظيم القدر مُرَدَّدٌ فِي غَالِبٍ وَفَهْر

ليس الفرار من طباع بسر أن أرجع اليوم بغير وتر

وقد قضيت في العدو نذري يا ليت شعري كم بقي من عمري

ورجع القوم جميعاً، ولقيس الفضل، وتقدم عبيد الله بن عمر الخطاب في

اليوم الرابع؛ لم يترك فارساً إلا جمعه؛ وأستكثر ما أستطاع، فلقبه الأشر أمام

الخيال مزبداً، وهو يقول (٧١/٨):

يا رب قيض لي سيوف الكفرة واجعل وفاتي بأكف الفجرة

فالقتل خير من ثياب الجبرة لاتعدل الدنيا جميعاً وبرة

ولا بعوضاً في ثواب البررة

وشد على الخيل، خيل الشام فردها: فاستحيا عبيد الله وبرز أمام الخيل

وقال (٧٢/٨):

أنعى ابن عفان وأرجو ربي ذاك الذي يخرجني من ذنبي

ذاك الذي يكشف عني كربتي إن ابن عفان عظيم الخطب

يأبى له حبي بكل قلبي إلا طعاني دونه وضربي

حسبي الذي أنويه حسبي حسبي

فحمل عليه الأشر، وطعنه واشتد الأمر، وانصرف القوم، وللأشتر الفضل، فغم ذلك معاوية، وغدا عبد الرحمن بن خالد بن الوليد في اليوم الخامس وكان رجاء معاوية أن ينال حاجته، فقواه بالخييل والسلاح، وكان معاوية يُعده ولدا، فلقبه عدي بن حاتم في مذبح، وقضاة، فبرز عبد الرحمن إمام الخيل وقال : (٧٢/٨)

قل لعدي ذهب الوعيد أنا ابن سيف الله لا مزيد
وخالد يزيده الوليد ذاك الذي قيل له الوعيد
ثم حمل فطعن الناس، فقصده عدي بن حاتم، وسدد إليه الرمح وقال : (٧٢/٨)

أرجو الهوي وأخاف ذنبي ولست أرجو غير عفو ربي
يا ابن الوليد بغضكم في قلبي كالهضب بل فوق قنان الهضب
ولما كاد أن يخالطه بالرمح، تواری عبد الرحمن في العجاج، واستتر بأسنة أصحابه، ورجع عبد الرحمن مقهوراً، وانكسر معاوية، وبلغ أيمن ابن خزيمة ما لقي معاوية واصحابه، فشمت بهم، وكان ناسكاً من أنسك أهل الشام، وكان معتزلاً الحرب في ناحية عنها فقال (٧٣/٨) :

معاوي إن الأمر لله وحده وإنك لا تستطيع ضراً ولا نفعا
عبأت رجالاً من قريش لعصبة يمانية لا تستطيع لها دفعا
فكيف رأيت الأمر إذ جدَّ جدّه لقد زادك المر الذي جتته جدعا
تعبيّ لقيس أو عدي بن حاتم والأشتر يا للناس أغمارك الجدعا

وتجعل للمرقال عمرو وأنه
 وأن سعيداً إذ برزت لرمحه
 علي بضرب الدارعين بسيفه
 رجعت فلم تظفر بشيء تريده
 فدعهم فلا والله لا تستصيعهم
 لليت لقي من دون غايته ضبعاً
 لفارس همدان الذي يشعب الصدعا
 إذا الخيل أبدت من سنابكه نقعا
 سوى فَرَثٍ أَعَيْتِ وَأَبْتِ بِهَا طَلْعَا
 مجاهرة، فاعمل لقهرهم خدعا

وأن معاوية أظهر لعمرو شماتة، وجعل يقرعه، ويوبخه، وقال:

لقد أنصفتكم؛ أن لقيت سعيد بن قيس في همدان، وفررتم، وأنك لجبان يا عمرو.

فغضب عمرو، وقال:

فهل برزت إلى علي! إذ دعاك أن كنت شجاعاً كما تزعم!

وقال (٧٣/٨):

تسير الى ابن ذي يزدٍ سعيدٍ
 فهل لك في أبي حسن علي
 دعاك الى البراز فلم تجبه
 وكنيت أصم - أذنواك- عنها
 فأب الكبش قد طحنت رحاه
 فما أنصفت صحك يا ابن هندٍ
 فلا والله ما أضمرت خيراً
 وتترك في العجاجة من دعاكا
 لعل الله يمكن من قفاكا
 ولو نازلته شربت يداكا
 وكان سكوته عنها مناكا
 بنجدته وما طحنت رحاكا
 أتفرقُّه وتغضب من كفاكا
 ولا أظهرت لي إلا هواكا

وخاطب معاوية فرسانه، الذين انقطعوا عنه بعد تلك المعركة، فقال

: (٧٤/٨)

لعمري لقد أنصفت والنصف عادتي
ولولا رجائي أن تؤوبوا بنهزة
لناديت للهيجا رجالاً سواكم
أتدرون من لاقيتم فُلَّ جيشكم
لقيتم صنديد العراق ومن بهم
وما كان منكم فارس دون فارس
وعاين طعنأ في العجاج المعاین
وان تغسلوا عاراً وعته الكنائن
ولكنها تحمي الملوک البطائن
لقيتم ليوثأً أصحرتها العرائن
إذا جاشت الهيجاء تحمی الضعائن
ولكنه ما قدر الله كائن
ولما سمع القوم ما قاله معاوية، أتوه فاعتذروا إليه، واستقاموا إليه على ما
يجب.

وتقابل جيش عك من معاوية، وجيش همدان من الإمام علي عليه السلام،
فشدت همدان على عكٍ رجالة فأخذت السيوف أرجل عك، فنادى ابن مسروق
: (٧٥/٨)

يا لعكٍ بركاً كبيرك الكمل

فبركوا تحت الجحف، فشجرتهم همدان بالرماح، وتقدم شيخ من همدان
وهو يقول (٧٥/٨) :

يا لبيكـل لحمها وحاشد
حتى تخر منكم القماصد
نفسـي فداكم طاعنوا وجالدوا
وأرجـل يتبعها سواعد

بذاك أوصى جدكم والوالد

وقام رجل من عك فارتجز، فقال (٧٥/٨):

تدعون همدان وتدعو عكا بكو الرجال يا لعك بكا
 أن خدّم القوم فبركاً بركا لا تدخلوا اليوم عليكم شكا
 قد محك القوم فزيدوا محكا

والتقى القوم جميعاً بالرماح، وصاروا الى السيوف، وتجالدوا حتى أدركهم الليل، فأنصرف كل إلى ناحيته، وقال عمرو في ذلك (٧٦/٨):

إن عكا وحاشداً وبكـيلا كأسود الضرا ولاقت أسودا
 وجثا القوم بالقنا وتساقوا بضباة السيوف موتاً عتيدا
 ازورار المناكب الغلب بالشم وضرب المسومين الخدودا
 ليس يدرون ما الفرار ولوكا ن فرار لكان ذاك سديدا
 يعلم الله ما رأيت من القوم ازوراراً ولا رأيت صدودا
 غير ضرب فوق الطلى وعلى الهام وقرع الحديد يعلو الحديد
 ولقد قال قائل خدّموا السو ق فخرت هناك عك قعودا
 كبروك الجمال اقلها الحمل فما مشـتغل إلا وثيـدا

ولما اشترطت عك والشعريون على معاوية ما اشترطوا من الفريضة والعطاء فأعطاهم. لم يبق من أهل العراق أحد في قلبه مرض إلا طمع في معاوية، وشخص ببصره اليه، حتى فشا ذلك في الناس، فبلغ علياً عليه السلام فساءه، وجاءه عدي بن حاتم يلتمس علياً عليه السلام أن يعود الى القتال، فأخبره الإمام

عليه السلام أن عامة من معه اليوم يعصيه، وان معاوية فيمن يطيعه ولا يعصيه،
وجاء المنذر بن أبي حميصة الوداعي :

وكان شاعر همدان وفارسها - وطلب منه العودة الى الحرب قائلاً :

والله لآخرتنا خير من دنياهم، ولعراقنا خير من شامهم، ولإمامنا أهدى من

إمامهم وأنشده : -

إن عكا سالوا الفرائض والأشـ	عرس سالوا جوائزاً بثيئة
تركوا الدين العطاء وللفر	ض فكانوا بذاك شر البرية
وسألنا حسن الثواب من الله	وصبراً على الجهاد ونية
فكل ما ساله ونواه	كلنا يحسب الخلاف خطية
ولأهل العراق أحسن في الحرب	إذا تددت السمـهـرية
ولأهل العراق أحمل للثقل	إذا عممت البلاد بليئة
ليس منا من لم يكن في الله	ولياً يا ذا الولا والوصية

فأثنى عليه علي عليه السلام، وانتهى شعره إلى معاوية، فقال : -

والله لأستميلن بالدنيا ثقة علي، ولأعيش من فيهم الأموال حتى تغلب

دنياي آخرته.

وطلب من فرسان عك بث العيون في معسكر علي عليه السلام، وعبأ

منهم جيشاً لمقاتلة العراق، وهنا نادى علي عليه السلام : يا همدان.

فأجابه سعيد بن قيس، فقال له عليه السلام : احمل

فحمل حتى خالط بالخييل، واشتد القتال، وحطمتهم همدان وألحقهم
بمعاوية، فجزع جزعاً شديداً، فأثنى الإمام علي عليه السلام على همدان، وفي هذا
اليوم قال عليه السلام (٧٨/٨):

ولو كنت بواباً على باب جنّةٍ لقلت لهمدان ادخلي بسلام
ثم طلب عليه السلام من صاحب لواء همدان أن يكفيه أهل حمص فشدوا
عليهم حتى ألجؤوهم قبة معاوية، فقال رجل من همدان عداة في ارحب مرتجزاً
:(٧٨/٨)

قد قتل الله رجال حمص غُروا بقول كذب وخرص
حرصاً على المال وأي حرص قد نكص القوم وأي نكص
عن طاعة الله وفحوى النص

ولما ردت خيول معاوية أسف وجرده سيفه وحمل في كماء أصحابه فحملت
عليه فوارس همدان ففاز منها ركضاً، وانكسرت كمامته ورجعت همدان إلى
مراكزها، فقال حجر بن قحطان الهمداني، يخاطب سعيد بن قيس (٧٩/٨):

ألا يا ابن قيس قرت العين إذ رأيت فوارس همدان بن زيد بن مالك
على عارفات للقاء عوابسٍ طوال الهوادي مشرفات الحوارك
معودة للطعن في ثغراتها يجلن فيحطمن الحصى بالسنايك
عباها علي لأبن هند وخيله فلو لم يفتها كان أول هالك
وكانت له في يومه عند ظنه وفي كل يوم كاسف الشمس حالك

وكانت بحمد الله في كل كربةٍ
فقل لأمير المؤمنين أن أدعنا
ونحن حطمنا السمر في حي حميرٍ
وعك ولخم شائلين سياطهم
حصوناً وعزاً للرجال الصعالك
متى شئت إننا عرضة للمهالك
وكندة والحي الخفاف السكاسك
حذار العوالي كالأماء العوارك
وتقدم الأصبع بن نباته الى الإمام علي عليه السلام واستأذنه أن يقدم فأذن
له فتقدم وأخذ الراية ومضى بها وهو يقول (٨٢/٨) :

إن الرجاء بالقنوط يُدمغ
أما ترى أحداث دهر تتبغ
حتى متى يرجو البقاء الأصبع
فادبغ هواك، والأديم يدبغ
والرفق فيما قد تريد أبلغ
اليوم شغل وغداً لا تغرغ

نادى الأشر يوماً أصحابه، فقال :

أما من رجل يشري نفسه لله؟

فخرج أثال بن حجل بن عامر المذهجي فنادى بين العسكرين :

هل من مبارز؟

فدعا معاوية - وهو لايعرفه - أباه حجل بن عامر المذهجي، فقال :

دونك الرجل.

فبرز كل واحد منهما إلى صاحبه، فبدره بطعنة، وطعنه الغلام، وانتسبا فإذا

هو ابنه، فنزلا فاعتنق كل واحد منهما صاحبه، وبكيا، فقال له الأب :

يا بني : هلم الى الدنيا.

فقال له الغلام:

يا أبي هلم إلى الآخرة.

ثم قال:

يا أبتِ والله لو كان من رأيي الانصراف إلى أهل الشام لوجب عليك ان يكون من رأيك أن تنهاني، واسوأته! فماذا أقول لعلي عليه السلام وللمؤمنين الصالحين؟ كن على ما أنت عليه، وأنا على ما أنا عليه فانصرف كل منهما إلى معسكره، وقال في ذلك حجل (٨٣/٨):

إن حجل بن عامر وأثالا	أصبحا يضربان في الأمثال
أقبل الفارس المدجج في النقع	أثال يدعو يريد نزالي
دون أهل العراق يخطر كالفحل	على ظهر هيكل ذيئال
فدعاني له ابن هند ومازا	ل قلايلاً في صحبه أمثالي
فتناولته ببإدارة الرمح	وأهوى بأسمر عسال
فأطعنا وذاك من حدث الدهر	عظيم، فتى يشيخ بحال
شاجراً بالقناة صدر أبيه	وعزيز علي طعن أثال
لأبالي حين أترضت أثالاً	وأثال كذلك ليس بيال
فافترقنا على السلام والنفـ	س يقيها مؤخر الآجال
لايراني على الهدى وأراه	من هداي على سبيل ضلال

فلما انتهى شعره إلى أهل العراق، قال أثال ابنه مجيباً إياه (٨٣/٨-٨٤):

إن طعني وسط العجاجة حجلاً
 كنت أرجو به الثواب من الله
 لم ازل أنصر العراق على الشام
 قال أهل العراق إذ عظم الخطب
 من فتى يسلك الطريق الى الله
 حاسر الرأس لا أريد سوى المو
 فإذا فارس تقحّم في الروع
 فبادرني حجل ببادرة الطعن
 فتلقيته بعالية الرمح
 أحمد الله ذا الجلالة والقـد
 إذ كففت السنان عنه ولم أد
 قلت للشيخ لست أكفر نـمـاك
 فبراني أخاف أن تدخل النار
 وكذا قال لي فغربّ تغريباً
 لم يكن في الذي نويت عقوقاً
 وكوني مع النبي رفيقاً
 أراني بفعل ذاك حقيقةً
 ونسق الميـارزون نقيـةً
 فكنت الذي سلكت الطريـقاً
 ت أرى الأعظم الجليل دقيـقاً
 خـديباً مثل السحوق عقيـقاً
 وما كنت قبلها مسـبوقاً
 كلاناً يطال القيوقاً
 رة حمداً يزيدي توفيقاً
 ن قتيلاً منه ولا تفروقاً
 لطيف الغذاء والتفنيـقاً
 فلا تعصني وكن لي رفيقاً
 وشـرقت راجعاً تشـريقاً

دعا معاوية، النعمان بن بشير بن سعد الأنصاري ومسلمة بن مخلد
 الأنصاري، ولم يكن معه من الأنصار غيرهما، وشكا لهما موقف الأنصار الذين مع
 علي عليه السلام منه في الحرب وأخذ يغمز الأنصار، فغضب الرجلان وردّا
 كلامه وغمزه، ولما وصل كلام معاوية والرجلين إلى أنصار علي عليه السلام جمع

قيس بن سعد الأنصار وخطب فيهم وحثهم على تشديد الحرب على معاوية، ثم قال في ذلك (٨٦/٨) :

يا ابن هند دع التوثب في الحر	ب إذا نحن بالجواد سـرينا
نحن من قد علمت فادن إذا شئـ	ت بمن شئت في العجاج إلينا
إن برزنا في الجمع نلقك في الخـز	رج ندعو في حربنا أبوينـا
إن تشأ منك فارس فارس منا	وان شئت باللفيف التقينا
أي هذين ما أردت فخذـه	ليس منا وليس منك الهونا
ثم لانسلخ العجاجة حتى	تتجلي حربنا لنا أو علينا
ليت ما تطلب الغداة أتانا	أنعم الله بالشهادة علينا

وتحركت خيل معاوية غدوة، فظن قيس بن سعيد أن فيها معاوية، فحمل على رجل يشبهه، فضربه بالسيف فإذا هو ليس به، ثم حمل على آخر يشبهه فقتله بالسيف ثم أنصرف وهو يقول (٨٧/٨) :

قولوا لهذا الشامي معاوية	أن كلما أو عدت ريح هاوية
خوفتنا أكلب قوم عاوية	الي يا ابن الخاطئين الماضية
ترفل أرفال العجوز الجارية	في أثر الساري ليالي الشاتية

فبعث معاوية النعمان بن بشير بن سعد الأنصاري إلى قيس ليعاتبه ويسأله السلم فخرج النعمان فوقف بين الصفيين وصار يخاطب قيساً فرد عليه قيس بما يفحمه ثم قال (٨٨/٨) :

والراقصات بكل أشعث أغبر
ما ابن المخلد ناسياً أسيافا
خوض العيون تحثها الركبان
فيمن نحاربه ولا النعمان
لو كان ينفع صاحبيه عيان
تركها البيان وفي العيان كفاية

خرج عوف بن مجزأة المرادي/فارس الشام/فالتقى العكبر بن جرير الأسدي
فارس أهل العراق، وقال (٨٩/٨):

بالشام أمن ليس فيه خوف
بالشام جود ليس فيه سوف
بالشام عدل ليس فيه حيف
أنا ابن مجزأة وأسمي عوف
هل من عراقي عصاه سيف
يبرز لي وكيف لي وكيف

فقال له العكبر (٨٩/٨-٩٠):

الشام محل والعراق ممطر
والشام فيها أعور ومعور
بها أمام طاهر مطهر
أنا العراقي وأسمي عكبر
أبن جرير وأبوه المنذر
أدن، فأنني في البراز قسور

فتطاعنا فقتل عوف ثم تقدم عكبر يريد معاوية فحال أصحابه بينه وبين
الوصول إليه ورجع إلى صف العراق، ولم يكلم. فقال له علي عليه السلام:

ما دعاك الى ما صنعت؟ لا تلق نفسك الى التهلكة.

قال: يا أمير المؤمنين أردت غرة ابن هند فحيل بيني وبينه، وكان العكبر
شاعراً فقال (٩٠/٨-٩١):

قتلت المرادي الذي كان باغياً
ينادي وقد ثار العجاج: نزال

يقول أنا عوف بن مجزاة والمنى
 فقلت له لما علا القوم صوته!
 فأوجرتَه في ملتقى الحرب صعرة
 فغادرته يـكـبو صـريـعاً لوجـهـه
 وقدّمت مهري راكضاً نحو صفهم
 أريد به التل الذي فوق رأسه
 يقول - ومهري يعرف الجري جامحاً
 فلما رأوني أصدق الطعن فيهم
 فقام رجال دونهم بسيوفهم
 فلو نلتَه نلت الذي ليس بعدها
 ولو مت في نيل المنى ألف موتي

لقاء ابن مجزاة بيوم قتال
 منيت بمشـبـوح اليـديـن طـوال
 ملأت بها رعباً صدور رجال
 ينوء مراراً في مكرّ رجال
 أصرّفه في جريه بسـمـالي
 معاوية الجاني لكل خبال
 بفارسه - قد بان كل ضلال
 جلى عنهم رحم العيوب فعالي
 وقام رجال دونه بعوالي
 وفزت بفكر صالح وفعال
 لقلت إذا ما مت: - لست مبال

فأبكر أهل الشام لقتل عوف المرادي، وهدر معاوية دم العكبر فقال العكبر:

- يد الله فوق يده.

وقال الحضرمي يرثي ذا الكلاع وجوشعاً (٩٢/٨):

معاوي قد نلنا ونيلت سراتنا
 فذو كلع لا يبعث الله داره
 هما ما هما كانا معاوي عصمة
 ولو قبّلت في هالك بذل فدية
 وجُدّع احياء الكلاع ويعصّب
 وكل أيمان قد أصيب بحوشب
 متى قلت كانا عصمة لا أكذب
 فـديـتـهـما بـالنـفس والأب

طلب معاوية من بسر بن أرطأة مبارزة علي عليه السلام وكان عنده ابن عم له جاء من الحجاز يخطب ابنته، فأبى بسر، فقال له :
إني سمعت أنك وعدت من نفسك أن تبارز علياً، فما يدعوك الى ما أرى؟
قال :

الحياء، خرج مني كلام فأنا أستحي أن أرجع عنه،

فضحك الغلام وقال (٩٥/٨) :

وتنازله يا بسر إن كنت مثله	وإلا فإن الليث للشاء آكل
كأنك يا بسر ابن أرطأة جاهل	بآثاره في الحرب أو متجاهل
معاوية الوالي وصنواه بعده	وليس سواء مستعار وثاكل
أولئك هم أولى به منك أنه	علي فلا تقربه أمك هابل
متى تلقه فالموت في رأسه رمحه	وفي سيفه شغل لنفسك شاغل
وما بعده في آخر الخيل عاطف	ولا قبله في أول الخيل حامل

فقال بسر :

هل هو إلا الموت؟ لا بد من لقاء الله.

فغدا علي عليه السلام منقطعاً عن خيله ويده في يد الأشر وهما يتسايران
رويداً. يطلبان التل ليقفا عليه، إذ برز له بسر مقنعاً بالحديد، لا يعرف، فناداه أبرز
ألي أبا حسن.

فانحدر إليه على تؤدة غير مكترث به حتى إذا قاربه طعنه وهو دارع فألقاه إلى

الأرض، ومنع الدرع السنان أن يصل إليه، فاتقاه بسر بعورته، وقصد أن يكشفها، يستدفع بأسه، انصرف عنه عليه السلام مستدبراً فعرفه الأشر حين سقط. فقال:

- يا أمير المؤمنين هذا بسر بن أرطأة، هذا عدو الله وعدوك.

فقال:

- دعه عليه لعنة الله. أبعد أن فعلها.

فحمل ابن عم بسر من أهل الشام على علي عليه السلام، قال (٩٦/٨):

أرديت بسراً والغلام ثائره أرديت شيخاً غاب عنه ناصره

وكلنا حمام لبسر واتره

فلم يلتفت إليه علي عليه السلام وتلقاه الأشر فقال له (٩٦/٨):

في كل يوم رجلٌ شاغره وعورة وسط العجاج ظاهره

تبرزها طعنة كف واتره عمروٌ وبسر منيا بالفاقره

فطعنه الأشر فكسر صلبه وقام بسر من طعنة علي عليه السلام مولياً،

وفرت خيله، وناداه علي عليه السلام:

يا بسر، معاوية كان أحق بها منك.

فرجع بسر الى معاوية، فقال له معاوية:

ارفع طرفك، فقد أدال الله عمراً منك.

قال الشاعر في ذلك (٩٦/٨-٩٧):

أفي كل يومٍ فارسٌ تتدبونهُ
 يكف بها عنه علي سنانهُ
 بدت أمس من عمرو فقتع رأسهُ
 فقولا لعمر وابن أرتأة أبصرا
 ولا تحمدا إلا الحيا وخصاكما
 فلولاهما لم تتجوا من سنانهُ
 وكونا بعيداً حيث لا يبلغ القنا
 وإن كان منه بعد للنفس حاجة
 له عورة تحت العجاجة باديّة
 ويضحك منها في الخلاء معاوية
 وعورة بسر مثلها حذو حانية
 سبيلكما لا تلقيا الليث ثانية
 هما كانتا للنفس - واللّه - واقية
 وتلك بما فيها عن العود ناهية
 ونار الوغى، إن التجارب كافية
 فعود إلى ما شئتما هي هاهي

بعد ملاومة وخصام ومعاتبة في مجلس معاوية بين رهطه وقريش خرج عتبة
 بن أبي سفيان فنأدى على مبعدة من فرسان علي عليه السلام وحاول استرضاءه
 ومفاوضته إلا ان جعدة رده بجزم، فغضب عتبة وفحش على جعدة فلم يجبه
 وأعرض عنه، وجمع كل عسكره وياشر جعدة يوم ذاك القتال بنفسه، وجزع عتبة
 فأسلم خيله وأسرع هارباً إلى معاوية فقال له :

فضحك جعدة، هزمتك لا تغسل رأسك منها أبداً.

وحظي جعدة بعدها عند علي عليه السلام.

وقال النجاشي، فيما كان من فحش عتبة على جعدة (٩٩/٨-١٠٠) :

إن شتم الكريم يا عتب خطب
 فاعلمنه من الخطوب عظيم
 أمه أم هانئٍ وأبوه
 من معدٍ ومن لؤيٍ حميم

ذاك منها هبيرة بن أبي وهـ
 كان في حربه يُعدُّ بألفٍ
 وابنه الجعدة الخليفة منه
 كل شيء تريده فهو فيه
 وخطيب إذا تمعَّرت الأوجه
 وحليم إذا الحُبى حلَّه الجهـ
 وشكيم الحروب قد علم النا
 وصحيح الأديم نَقَلَ العيب
 حامل للعظيم في طلب الحمد
 ما عسى أن تقول للذهب الأحمر
 كل هذا بحمد ربك فيه

سب أقرت بفضله مخزوم
 حيث يلقي بها القروم القروم
 هكذا تنبت الفروع الأروم
 حسبه ثاقب ودين قويم
 يخشى به الألد الخصيم
 ل، وخفت من الرجال الحلوم
 س إذا دخل في الحروب الشكيم
 إذا كان لا يصح الأديم
 إذا عظم الصغير اللئيم
 عيباً هيئات منك النجوم
 وسوى ذاك كان وهو نظيم

وقال الأعور الشني في ذلك يخاطب عتبة بن أبي سفيان (١٠٠/٨) :

ما زلت تظهر في عطفك أبهة
 لا تحسب القوم إلا فقع قرقرة
 حتى لقيت ابن مخزوم وأي فتى
 إن كان رهط أبي وهب جحاجة
 أشجاك جعدة إذ نادى فوارسه
 هلا عطفت على قوم بمصرعة

لا يرفع الطرف منك النية الصلف
 او شحمة بزها شاو لها نطف
 أحيما مآثر أباء له سلفوا
 في الأولين فهذا منهم خلف
 حاموا على الدين والدنيا فما وقفوا
 فيها السكون وفيها الأزد والصدف

قد كنت في منظر من ذا ومستمع
يا عتب لولا سفاه الرأي والصلف
فاليوم يقرع منك السن من ندم
ما للمبارز إلا العجز والنصف

كان رجل من أهل الشام يقال له الأصبغ بن ضرار الأزدي، من مسالحي معاوية وطلائعه، فندب له علي عليه السلام الأشر، فأخذه الأشر أسيراً من غير قتال، فجاء به ليلاً فشدّه وثاقاً، وألقاه عند أصحابه ينتظر به الصباح، وكان الأصبغ شاعراً مفوهاً، فأيقن بالقتل، ونام أصحابه، فرفع صوته فأسمع الأشر، وقال (١٠١/٨):

ألا ليت هذا الليل أصبح سرمداً
على الناس لا يأتهمُ بنهار
يكون كذا حتى القيامة أنبي
أحاذر في الإصباح يوم بواري
فيا ليل أطبق، أن في الليل راحةً
وفي الصبح قتلي أو فكاك أساري
ولو كنت تحت الأرض ستين وادياً
لما روعتني ما أخاف حذاري
فيا نفس مهلاً إنما الموت غاية
فصبراً على ما ناب يا ابن ضرار
أخشى ولي في القوم رحم قريبة
أبى الله أن أخشى وما لك جاري
ولو انه كان الأسير ببلدةٍ
أطاعُ بها، شمرت ذيل إزاري
ولو كنت جار الأشعث الخير فكنتي
وقلّ من الأمر المخوف فراري
وجار سعيد أو عدي بن حاتم
وجار شريح الخير قرّ قراري
ولو أنني كنت الأسير لبعضهم
دعوت فتى منهم لفك أساري
أولئك قومي لا عدمت حياتهم
وعفوهم عني وستر عواري

فغدا به الأشر إلى علي عليه السلام، فقال :

يا أمير المؤمنين، أن هذا الرجل من مسالح معاوية، أصبته أمس وبات عندنا الليل، فحركنا بشعره، وله رحم، فإن كان فيه القتل فاقتله؛ وان ساغ لك العفو عنه فهبه لنا؛ فقال :

هو لك يا مالك وإذا أصبت منهم أسيراً فلا تقتله، فإن أسير أهل القبلة لا يقتل، فرجع به الأشر إلى منزله وخلي سبيله.

بعد ليلة الهريير خطب الأشعث أصحابه من كندة، فذكرهم بهذا اليوم العصيب وإنه لم ير مثله من قبل، ومما قال :

- إنا نحن إن تواقفنا غداً، إنه لفناء العرب وضيعة الحرمات... أخاف على النساء والذراري غداً إذا فنينا.

فاستغل معاوية خطبة الأشعث فقال :

- أصاب ورب الكعبة.

ثم قال لأصحابه :

- اربطوا المصاحف على أطراف القنا، وأصبحوا وقد رفعوا المصاحف على رؤوس الرماح، وقد قلدوها الخيل، والناس على الرايات قد اشتها ما دُعوا إليه، مصحف دمشق الأعظم يحمله عشرة رجال على رؤوس الرماح وهم ينادون :

- كتاب الله بيننا وبينكم.

فقام إلى الإمام علي عليه السلام كل من أبي الأعور السلمي وعدي بن

حاتم الطائي والأشتر وعمرو بن الحمق، والأشعث بن قيس وطلبوا منه الموادة.

فقال عليه السلام:

- هذا أمر ينظر فيه.

وبعد خطبة له عليه السلام بين فيها أن معاوية وأصحابه ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن وإنه يعرفهم مذ كانوا صغاراً فكانوا شر صغار وشر رجال، وإن رفع المصاحف كلمة حق يراد بها باطل، وإنها الخديعة والوهن والمكيدة.

فجاءه من أصحابه زهاء عشرين ألفاً مقنعين في الحديد شاكي السلاح سيوفهم على عواتقهم، وقد اسودت جباههم من السجود، يتقدمهم مسعر بن فذكي وزيد بن حصين وعصابة من القراء الذين صاروا خوارج من بعد، فنادوه باسمه لا بإمرة المؤمنين:

- يا علي أجب القوم إلى كتاب الله إذا دعيت إليه، وإلا قتلناك كما قتلنا ابن عفان، فوالله لنفعلنها إذا لم تجبهم.

وعبثاً حاول إخبارهم وإقناعهم بأنه هو أول من دعا إلى كتاب الله، وأول من أجاب إليه، وإنه إنما قاتلهم ليدينوا بحكم القرآن، فإنهم قد عصوا الله فيما أمرهم، ونقضوا عهده، ونبذوا كتابه، وأنهم ليس العمل بالقرآن يريدون.

قالوا:

فابعث إلى الأشتر ليأتينك.

وقد كان الأشتر صبيحة ليلة الهريز أشرف على عسكر معاوية ليدخله،

فأرسل إليه يزيد بن هانيء، ولكن الأشتر رفض قائلاً ليزيد:

- إئته فقل له: ليس هذه الساعة التي ينبغي لك أن تزيلني عن موقفي؛ إني قد رجوت الفتح فلا تعجلني.

فرجع يزيد إلى علي عليه السلام فأخبره، وفي هذه الأثناء ارتفع الرهج، وعلت الأصوات من قبل الأشتر، وظهرت دلائل الفتح والنصر لأهل العراق، ودلائل الخذلان والإدبار على أهل الشام فقال القوم لعلي عليه السلام:

- والله ما نراك أمرته إلا بالقتال.

فبعث يزيد ثانية إلى الأشتر ولما عاد الأشتر صار يخاطب أهل العراق ويزيدهم تقريراً، فسبوه وسبهم، وضربوا بسياطهم وجهه دابته وضرب بسوط وجوه دوابهم، وصاح بهم علي عليه السلام فكفوا، فقام الإمام علي عليه السلام فخطب فيهم ومما قال:

إني كنت أمس أمير المؤمنين فأصبحت اليوم مأموراً، وكنت ناهياً فأصبحت منهياً، وقد أجبتمكم البقاء، وليس لي أن أحملكم على ما تكرهون ثم قعد.

ثم إن أهل الشام لما أبطأ عنهم علم حال أهل العراق، هل أجابوا إلى المواعدة أم لا؟ جزعوا وطلبوا من معاوية أن يكررها عليهم فأرسل إليهم عبد الله بن عمرو بن العاص، فأجابه سعد بن قيس الهمداني، فقام الناس إلى علي عليه السلام فقالوا له:

- أجب القوم إلى المحاكمة، ونادى إنسان من أهل الشام في جوف الليل

بشعر سمعه الناس وهو (٢/٢١٤-٢٢٢):

رؤوس العراق أجيبوا الدعاء	فقد بلغت غاية الشدة
وقد أودت الحرب بالعالمين	وأهل الحفائظ والنجدة
فلسنا ولستم من المشركين	ولا المجمعين على الردة
ولكن اناس لقوا مثلهم	لنا عدة ولكم عدة
فقاتل كل على وجهه	يقحمه الجسد والحدة
فان تقبلوها ففيها البقاء	وامن الفريقين والبلدة
وان تدفعوها ففيها الفناء	وكل بلاء الى مدة
فحتى متى مخض هذا السقاء	ولا بد أن تخرج الزبدة
ثلاثة رهط هم أهلها	وان يسكتوا تخمد الوقدة
سعيد بن قيس وكبش العراق	وذاك المسوود من كنده

وكتب معاوية كتاباً الى الامام علي عليه السلام. ومما قاله: أن نحكم بيني وبينكم حكمين مرضيين، أحدهما من أصحابي والاخر من أصحابك، فيحكما بيننا بما أنزل الله، فهو خير لي ولك)).

فكتب اليه الامام علي عليه السلام، ومما قاله عليه السلام:

((ثم إنك قد دعوتني الى حكم القرآن وقد علمت أنك لست من أهل القرآن ولا حكمه تريد، والله المستعان، فقد اجبنا القرآن الى حكمه ولسنا اياك أجبنا، ومن لم يرض بحكم القرآن فقد ضل ضلالاً بعيداً)).

وتكاتب الامام علي مع عمرو بن العاص عدة كتب وعضه فيها ودعاه الى دين الحق وقال له :

((فان الذي اعجبك من الدنيا مما نازعتك اليه نفسك، ووثقت به منها لمقلب عنك، ومفارق لك فلاتطمئن الى الدنيا فانها غرارة، ولوا عتبرت بما مضى لحفظت ما بقى، وانتقصت منها بما وعظت به)).

وجاء الاشعث الى علي عليه السلام واخبره برضى الناس وسرورهم الى مادعوا إليه من حكم القرآن، وقال :

-فإن شئت أتيت معاوية فسألته ما يريد.

فأمره الإمام عليه السلام فذهب الى معاوية وسأله :

- لأي شيء رفعتم هذه المصاحف؟

قال :

- لنرجع، نحن وانتم إلى ما أمر الله به فيها، فابعثوا رجلاً منكم ترضون به، ونبعث منا رجلاً، ونأخذ عليهما ان يعملما بما في كتاب الله ولا يعدوانه، ثم نتبع ما اتفقا عليه.

فقال الأشعث : هذا هو الحق.

ولما عاد الى الإمام فأخبره فبعث عليه السلام قراء من أهل العراق وبعث معاوية قراء من أهل الشام. فاجتمعوا بين الصنفين ومعهم المصحف، فنظروا فيه وتدارسوا. . فرضي قراء الشام بعمر بن العاص ورضي قراء العراق بأبي موسى

الاشعري، ولكن الامام علي عليه السلام لم يرضَ بالاشعري بل رشح ابن عباس. ولكن الاشعث عارض فاقترح الإمام عليه السلام ان يكون الاشر، ولكن الاشعث أصر أن يكون الاشعري هو الحكم. فنزل الامام عند طلبه فجاء الاشر والاحنف بن قيس وابن الكواء علياً عليه السلام وطلبوا منه عدم النزول عند رأي الاشعث وأصحابه.

فلما بلغ ذلك أهل الشام، بعث ايمن بن خزيم الاسدي، وكان معتزلاً معاوية بهذه الأبيات، وكان هواه أن يكون الأمر لأهل العراق (٢/ ٢٣١):

لو كان للقوم رأي يعصمون به	من الضلال رموكم يا ابن عباس
لله درّ ابيّة انما روجل	ما مثله لفصال الخطب في الناس
لكن رموكم بشيخ من ذوي يمن	لايهتدي ضرب أخماس لاسداس
ان يخلّ عمرو به يقذفه في لجج	يهوي به النجم تيساً بين أتياس
ابلغ لديك علياً غير عاتبه	قول امرئ لا يرى بالحق من باس
ما الاشعري بمأمون أبا حسن	فاعلم هديت فليس العجز كالراس
فاصدم بصاحبك الادنى زعيمهم	ان ابن عمك عباس هو الآسي

ولما بلغ الناس هذا الشعر، طارت أهواء قوم من اولياء علي عليه السلام وشيعته الى ابن عباس، وأبت القراء إلا أبا موسى.

وكان أيمن بن خزيم رجلاً عابداً مجتهداً، وقد كان معاوية جعل له فلسطين، على أن يتابعه ويشايعه على قتال علي عليه السلام، فقال أيمن وبعث بها اليه (٢/ ٢٣٢):

ولست مقاتلاً رجلاً يصليّ على سلطان آخر من قریش
له سلطانه وعليّ إثمي معاذاً لله من سفهٍ وطيش
أقتل مسلماً من غير جرم فليس بنافعي ما عشت عيشي

فلما رضي أهل الشام بعمرو، وأهل العراق بابي موسى، أخذوا في سطر
كتاب الموادة، وكانت صورته :

(هذا ماتقاضى عليه على أمير المؤمنين ومعاوية ابن أبي سفيان).
فقال معاوية :

- بش الرجل أنا أن اقررت انه أمير المؤمنين ثم قاتلته!
وقال عمرو :

- بل نكتب اسمه واسم ابيه؟ انما هو اميركم، فاما اميرنا فلا.

فلما اعيد الكتاب امر بمحوه. فقليل للامام علي عليه السلام ان لا يحو
صفحة امير المؤمنين فذكرهم بان هذا اليوم صلح الحديبية، اذ حذفت كلمة
(رسول الله) من النبي محمد صلى الله عليه وآله عندما طلب النبي من الامام علي
عليه السلام ذلك قائلاً :

((ياعلي، إني لرسول الله. وان محمد بن عبد الله، لن يحو عني الرسالة
كتابي لهم : من محمد بن عبد الله، فاكتبها وامح ما اراد محوه، اما انك مثلها
ستعطيها وانت مضهد)).

وكتبوا كتاب الصلح وشهد على الكتاب شهود وقريء الكتاب على أهل

العراق والشام فرضو به. وارتفعت أصوات تعارض في الكتاب وتطالب الرجوع عنه، فقال الامام علي عليه السلام:

- بعد ان كتبناه ننقضه! ان هذا لا يحل.

وقال عليه السلام:

- ان ما فعلت ما فعلت لما بدا فيكم من الخور والفشل عن الحرب.

وهكذا دعا معاوية عمرو بن العاص وصار يحذره من الاشعري ويوصيه.

وخرج عمرو مغضباً كانه كره ان يوصي ثقة بنفسه. وقال لاصحابه حين خرج:

- انما اراد معاوية ان يصغر امر ابي موسى لأنه علم اني خادعه غدا. فاحب

ان يقول: ان عمرو لم ينخدع اربابا. فقد كدته بالخلاف عليه.

وقال في ذلك (٢ / ١ / ٢٤ - ٢٤٢):

يشجعني معاوية بن حرب	كأني للمؤدب مستكين
واني عن معاوية غني	بحمد الله والله المعين
وهون امر عبد الله عمداً	وقال له على ما كان دين
فقلت له ولم اردد عليه	مقاتله وللشاكبي أنين
توى أهل العراق يذب عنهم	وعن جيرانهم رجل مهين
فلو جهلوه لم يجهل علي	وغث القول يحمله السمين
ولكن خطبهم فيهم عظيم	وفضل المرء فيهم مستبين
فإن أظفر فلم أظفر بوعد	وإن يظفر فقد قطع الوتين

الا ياعمر و عمرو قبيلا سهم
 امن طب اصابك ذا الجنون
 دع البغي الذي أصبحت فيه
 فان البغي صاحبه لعين
 الم تهرب بنفسك من علي
 بصفين وانته بها حنين
 حذاراً ان تلاقيك المنايا
 وكل فتى سيدرکه المنون
 ولسنا عائبين عليك الا
 لقولك انني لا استكين

ثم أقبل الناس على قتلاهم فدفنواهم.

كان حابس بن سعد الطائي قد قتل في صفين فمر به عدي بن حاتم، ومعه ابنه زيد، فرآه قتيلاً فأخبر أباه أنه خاله فلعنه أبوه ولعنه خاله ولما سأل عن قاتل خاله خرج إليه رجل من بكر بن وائل، فقال: أنا قتلته.

فحمل عليه زيد فطعنه بالرمح وقتله، فصار أبوه يسبه ويشتمه فضرب زيد فرسه فلحق بمعاوية وادنى مجلسه، وقال زيد في قتل البكري (٢ / ٢٤٣ - ٢٤٤):

(و) من مبلغ ابناء طبي بآنني
 ثأرت بخالي ثم لم اثأتم
 تركت أخا بكرينوء بصدرة
 بصفين مخضوب الجبين من الدم
 وذكرني تأري غداة رأيتيه
 قتيلاً يظل الحي يثنون بعده
 عليه باييد من نراه وأنعم
 وصاحب غارات ونهب مقسم
 لقد فجعت طي بحلم ونائل
 لقد كان خالي ليس خال كمثله
 دفاعاً لظلم واحتمالاً لمغرم

ولما اراد أبو موسى المسير قام إليه شريح بن هاني فاخذ بيده واوصاه بالثبات

في الحق والحذر من الخديعة وقال له (٢ / ٢٤٥):

ابا موسى رميت بشر خصمٍ	فلا تضع العراق فدتك نفسٍ
واعط الحق شامهمُ وخذه	فان اليوم في سهل كأمسٍ
وان غداً يجيء بما عليه	كذاك الدهر من سعد ونحسٍ
ولا يخذعك عمرو ان عمرواً	عدو الله مطلع كل شمسٍ
له خدع يحار العقل منها	مموهة مزخرفة بلبسٍ
فلا تجعل معاويه بن حربٍ	كشيخٍ في الحوادث غير نكسٍ
هداه الله للاسلام فرداً	سوى عرس النبي واي عرسٍ

فقال ابو موسى :

- ما ينبغي لقوم اثموني ان يرسلوني لادفع عنهم باطلاً، او اجر اليهم حقا.

و يمثل هذا نصحه عبد الله بن عباس بكلام بليغ، ومما قاله :

- ان الناس لم يرتضوك لفضل عندك لم تشارك، فقال بعض شعراء قريش

(٢ / ٢١٢):

والله ماكلم الاقوام من بشرٍ	بعد الوصي عليّ كابن عباس
اوصى ابن قيس بامرٍ فيه عصمته	لو كان فيها ابو موسى من الناس
اني اخاف عليه مكر صاحبه	ارجو رجاء مخوفٍ شيب بالياس

وكان النجاشي صديقاً لابي موسى، فكتب اليه يحذره من عمرو بن العاص

(٢ / ٢٤٦ - ٢٤٨):

يؤمل اهل الشام عمرواً وانني
وان ابا موسى سيدرك حقنا
وحققه حتى يدر ويريده
على أن عمرواً لا يشق غباره
فله ما يرمي العراق وأهله
فكتب اليه ابو موسى :

- اني لارجو ان ينجلي هذا الامر، وأنا فيه على رضا الله سبحانه.

ثم ان شريح بن هاني جهز أبا موسى جهازاً حسناً، وعظماً امره في الناس
ليشرف في قومه، فقال الاعور الشني في ذلك يخاطب شريحاً (٢/ ٢٤٨):

زففت ابن قيس زفاف العروس
وفي زقك الاشعري البلاء
وما الاشعري بذي اربه
ولا آخذاً حظ أهل العراق
يحاول عمروا وعمرو له
فان يحكما بالهدى يتبعنا
يكونا كتيسين في قفرة
شريح الى دوحه الجنـدل
ومايقض من حادث ينزل
ولاصاحب المظهر الفيصل
ولا قيل ها خذه لم يفعل
خداع ويأتي من علي
وان يحكما بالهوى الاميل
يكونا نقيقا من الحظنـل

فقال شريح :

- والله لقد تعجلت رجال مساءتنا في ابي موسى، واطعنوا عليه بأسوء

الطعن، وظنوا فيه ما لا عصمة منه ان شاء الله.

وسار مع عمرو بن العاص شرحبيل بن السمط في خيل عظيمة، حتى اذا أمن عليه خيل أهل العراق ودعه. واوصاه، وودعه كما ودع شريح ابا موسى بعد ان اوصاه. وكان آخر من ودع ابا موسى الاحنف بن قيس؛ اخذ بيده واوصاه بكلام له معنى تاريخي، ولكي يختبر ما في نفسه لعلي عليه السلام قال له :

- فان لم يستقم لك عمرو على الرضا بعلي، فليختر أهل العراق من قريش الشام من شائوا، أو فليختر أهل الشام من قريش العراق من شائوا.

فقال ابو موسى :

- قد سمعت ما قلت.

ولم ينكر ما قاله من زوال الامر عن علي عليه السلام

فرجع الاحنف الى علي عليه السلام فقال له :

- اخرج ابو موسى والله زبدة سقائه في أول محضه : لا ارانا الابعثنا رجلاً

لا ينكر خلحك.

وشاع وفشا أمر الاحنف وأبي موسى في الناس، فبعث الصلتان العبدي وهو

بالكوفة الى دومة الجندل بهذه الايات (٢٤٩/٢-٢٥٠) :

لعمرك لا الفى مدى الدهر خالعاً علياً بقول الاشعري ولا عمرو

فان يحكما بالحق تقبله منهما والا اثرناها كراغية البكر

ولسنا نقول الدهر ذاك اليهما وفي ذاك لوقنااه قاصمة الظهر

ولكن نقول: الامر والنهي كله اليه، وفي كفيه عاقبة الامر وما اليوم الا مثل امس واننا لفي وشل الضحضاح اولجة البحر فلما سمع الناس قول الصلتان شحذهم ذلك على ابي موسى واستبطأه القوم وظنوا به الظنون.

ولما ابطأت الاخبار على معاوية بعث المغيرة بن شعبة، وكان مقيماً بالطائف لم يشهد الحرب - فأتى دومة الجندل فدخل على أبي موسى كالزائر له فقال:
- يا ابا موسى، ما تقول فيمن أعتزل هذا الامر وكره الدماء؟
قال:

- أولئك خير الناس، خفت ظهورهم من دمائم، وخصت بطونهم من أموالهم.

ثم أتى عمرواً فاجابه على سؤاله فقال:

- أولئك شر الناس، لم يعرفوا حقاً، ولم ينكروا باطلاً.

فرجع المغيرة الى معاوية فقال له:

- قد ذقت الرجلين: اما عبد الله بن قيس (الاشعري) فخالع صاحبه وجاعلها لرجل لم يشهد هذا الامر. وهو في عبد الله بن عمر، واما عمرو بن العاص فهو صاحبك الذي تعرف وقد ظن الناس انه يرومها لنفسه، وانه لا يرى انك احق بهذا الامر منه. وكان عمرو بن العاص يقدم ابا موسى الاشعري في الكلام في دومة الجندل بقوله:

- انك حميت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم قبلي، وانت اكبر مني سناً فتكلم أنت، ثم اتكلم أنا. فجعل ذلك سنة وعادة بينهما، وانما كان مكرراً وخديعة واغتراراً ان يقدمه. فيبدأ يخلع علي ثم يرى رأيه. وزيادة في طمأنته اعطاه صدر المجلس، وكان لا يتكلم قبله، واعطاه التقدم في الصلاة والطعام، لا يأكل حتى يأكل، وإذا خاطبه فانما يخاطبه بأجل الأسماء، ويقول له :

- يا صاحب رسول الله

حتى اطمأن اليه، وظن انه لا يغشّه، وبعد ان اطمأن عمرو مماميته لأبي موسى سأله رأيه فقال :

- أرى ان نخلع هذين الرجلين، ونجعل الأمر شورى بين المسلمين، يختارون من شاؤوا.

فقال ابو موسى :

- الرأي والله مارأيت.

فأقبلا الى الناس وهم مجتمعون فبدأ أبو موسى الكلام فأخبرهم بما اتفقا عليه، وصدق عمرو. وقدمه ليتكلم فدعاه ابن عباس أن يترك الكلام لعمرو أولاً ومما قاله له ابن عباس :

- ولا أمن ان يكون قد اعطاك الرضا فيما بينك وبينه، فاذا قمت في الناس خالفك.

وكان أبو موسى رجلاً مغفلاً.

فقال :

- ايها عنك انا قد اتفقنا :

فتقدم أبو موسى، وبعد الحمد قال: وقد أجمع رأيي ورأي صاحبي على خلع معاوية وعلي، وان يستقبل هذا الامر فيكون شورى بين المسلمين يولون امورهم من احبوا. واني خلعت علياً ومعاوية؛ فاستقبلوا اموركم، وولوا من رأيتموه لهذا الامر، اهلاً. ثم تنحى.

فقام عمرو بن العاص فقال :

ان هذا قد قال ماسمعتم. وخلع صاحبه، وانا أخلع صاحبه كما خلعه، وأثبت صاحبي معاوية في الخلافة فانه ولي عثمان والطالب بدمه، واحق الناس بمقامه.

فقال له ابو موسى :

- مالك لا وفقك الله قد غدرت وفجرت انما مثلك. . كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث وان تتركه يلهث)).

فقال عمرو :

انما مثلك ((كمثل الحمار يحمل اسفارا)).

وحمل شريح بن هانيء على عمرو فقنعه بالسوط، وحمل ابن عمرو على شريح فقنعه بالسوط، فقام الناس فحجزوا بينهما. والتمس أصحاب علي عليه السلام أبا موسى فركب ناقته ولحق بمكة

وكان ابن عباس يقول :

- قبح الله اباموسى، لقد حذرتة، وهديته الى الرأى فماعقل.

ورجع عمرو الى منزله من دومة الجندل فكتب الى معاوية (٢ / ٢٥٥ -

: (٢٥٧)

اتتك الخلافة مزفوفةً
تزف اليك زفاف العروس
وما الاشعري بصلد الزناد
ولكن اتيجت له حية
فقالوا وقلت وكنت امرءاً
فخذها ابن هند على بعدها
وقد صرف الله عن شامكم
هنياً مريئاً تقر العيوننا
بأهون من طعنة الدار عينا
ولا خامل الذكر في الاشعرينا
يظل الشجاع لها مستكينا
اجهجه بالخصم حتى يلينا
فقد دافع الله ماتحذروننا
عدواً مبينا و حرباً زبوناً

وقام كردوس بن هاني مغضباً فقال (٢ / ٢٥٧) :

الا ليث من يرضى من الناس كلهم
رضينا بحكم الله لا حكم غيره
وبالاصح الهادي علي أماننا
رضينا به حياً وميتاً وانه
فمن قال لا قلنا بلى ان امره
وما لابن هند بيعة في رقابنا
بعمرو وعبد الله في لجة البحر
وبالله ريباً والنبي وبالذكر
رضينا بذاك الشيخ بالعسر واليسر
أمام هدى في الحكم والنهي والامر
لأفضل ما يعطاه في ليلة القدر
وما بيننا غير المنقفة السمر

وضرب يزيل الهام عن مستقره
وهيهات هيهات الرضا آخر الامر
ابت لي اشياخ الارقم سببة
أسب بها حتى أُغيب في القبر
فتشاتم عمرو وابو موسى من ليلته، فاذا ابن عم لابي موسى يقول
(٢٥٩٢):

ابا موسى خدعت وكنت شيخاً
قريب القمر مدهوس الجنان
رمى عمرو صفاتك يا ابن قيس
بامر لاتتوء به بدان
وقد كنا نجمجم عن ظنون
فصرحت الظنون عن العيان
مفض الكف من ندم وماذا
يرد عليك عذك بالبنان

وشمت أهل الشام بأهل العراق، وقال كعب بن جميل شاعر معاوية
(٢٥٨/٢ - ٢٥٩)

كأن اباموسى عشية اذرح
يطوف بلقمان الحكيم بواربه
ولما تلاقوا في تراب محمد
نحت بابن هند في قريش مناسيه
سعى بابن عفان ليدرك ثأره
وأوى عباد الله بالثار طالبه
وقد غشيتا في الزبير غضاضة
وظلحة اذقامت عليه نوادبه
فرد ابن هند مكله في نصابه
ومن غالب الاقدار فالله غالبه
وما لابن هند من لؤي بن غالب
نظير وان جاشت عليه اقاربه
فهذاك ملك الشام واف سنامه
ويضرب في بحر عريض مذاهبه
يحاول عبد الله عمروا وانه

دحا دهوة في صدره فهدت به الى اسفل الجب الظنون كواذبه

فرد عليه رجل من أصحاب علي عليه السلام (٢/ ٢٥٩):

غدرتم وكان الغدر منكم سجية فما ضرنا غدر الليثم وصاحبه

وسميتم شر البرية مؤمناً كذبتم فشر الناس للناس كاذبه

وقال كعب بن جميل - وهو شاعر أهل الشام - بعد رفع المصاحف،

يذكر أيام صفين ويحرض معاوية (٨/ ٤٠):

معاوي لا تنهض بغير وثيقة فانك بعد اليوم بالذل عارف

تركتم عبيد الله بالقاع مسنداً يمجج ثجيعاً والعروق نوازف

الا انما تبكي العيون لفارسٍ بصفين جلت خيله وهو واقف

ينوء وثعلوه شأبيب من دم كما لاح في جيب القميص اللفائف

تبدل من أسماء اسياف وائل وائي فتى لو أخطأته المتالف

وفرت تميم: سعدها وربأبها وخالفت الجعراء فيمن يخالف

وكتب معاوية الى ابي ايوب خالد بن زيد الانصاري، . صاحب منزل رسول

الله صلى الله عليه وآله وسلّم وكان سيداً معظماً من سادات الانصار، وكان

شيعه علي عليه السلام كتاباً من سطر واحد: حاجيتك: ((لا تنس الشيباء ابا

عذرها، ولا قاتل بكرها))

وكتب في أسفل كتابه (٨/ ٤٤):

ابلى عليك ابا ايوب مالكة انا وقومك مثل الذئب والنقذ

اماقتلتم امير المؤمنين فلا
ان الذي نلتموه ظالمين له
اني حلفت يمينا غير كاذبة
لاتحسبوا انني انسى مصيبتيه
قد ابدل الله منكم خير ذي كلع
ان العراق لنا فقع بقرقرة
والشام ينزلها الابرار بلدتها
ترجو الهوادة منا آخر الابد
ابقت حزازته صدعاً على كبدي
لقد قتلتم اماماً غير ذي اود
وفي البلاد من الانصار من احد
واليحصيين أهل الخوف والجند
او شحمة بزها شاو ولم يكد
أمن، وبيضتها بحرية الاسد
فكتب أيوب الى معاوية :

- اما بعد : فانك كتبت ((لاتنس الشياء اباذرها ولاقاتل بكرها))
فضربتها مثلاً بقتل عثمان. وما نحن وقتل عثمان! ان الذي تربص بعثمان وثبط
يزيد بن أسد، واهل الشام عن نصرته لأنت، وان الذين قتلوه لغير الأنصار.
وكتب في آخر كتابه (٨ / ٤٥) :

لا توعدتنا ابن حرب اننا نفر
واسطوا جميعاً بني الاحزاب كلكم
نحن الذين ضربنا الناس كلهم
والعام قصرك منا ان تبث لنا
اما عليُّ فاننا لانفارقوه
اما تبدلت منا بعد نصرتنا
لانبتغي ودّ ذي البغضاء من أحد
لسنا نريد رضاكم آخر الابد
حتى استقاموا وكانوا عرضة الاود
ضرب يزيل بين الروح والجسد
مارفرف الأل في الدوية الجرد
دين الرسول - اناساً ساكني الجلد

لا يعرفون أضل الله سعيهم الاوتباعكم ياراعي النقد
فقد بغى الحق حتماً اثر ذي كلع واليحصيون طراً بيضة البلد

فلما اتى معاوية كتاب أبي أيوب كسره بن الضحاك بن سفيان صاحب راية
بني سليم مع معاوية مبغضاً اياه واهل الشام وله هوى مع أهل العراق : وعلي بن
ابي طالب عليه السلام وكان يكتب باخبار معاوية الى عبد الله بن الطفيل العامري
وهو مع أهل العراق فينجد بها عليا عليه السلام ولما كان الامام علي عليه السلام
قد بعث بكتابه الى معاوية قبل ليلة الهريز بيومين أو ثلاثة. انه :

((مصباح معاوية ومناجز له)).

بعث ابن الضحاك الى ابن الطفيل :

- اني قائل شعراً اذ عربه أهل الشام وارغم به معاوية. فقال ليلاً لبستمع
أصحابه (١٢٠ / ١٥ - ١٢١) :

الا ليت هذا الليل اطبق سرمدا علينا وانا لانرى بعده غدا
وياليتيه ان جاءنا بصباحه وجدنا الى مجرى الكواكب مصعدا
حذار عليّ انه غير مخلفٍ مدى الدهر مالبى الملبون موعدا
كأنني به في الناس كاشف رأسه على ظهر خوار الرحالة اجردا
يخوض غمار الموت في مرحضةٍ ينادون في نقع العجاج محمدا
فوارس بدر والنضير وخيبرٍ وأحد فيهزون الصفيح المهندا
ويوم حنينٍ جالدوا عن نبهم فريقاً من الأحزاب حتى تبددا

هنالك لا تلوي عجوز على أبنها
فقل لأبن حرب مالذي أنت صانع
وظني بأن لا يصبر القوم موقفا
فلا رأي إلا تركنا الشام جهرةً
وأن كثرت من قول: نفسي لك الفدا
أثبتت أم ندعوك في الحرب قعددا
يقفه وأن لم يحري في الدهر للمدى
وأن أبرق الفجفاج فيها وارعدا

وتناقل الناس كلمة علي عليه السلام:

((لأنجزهم مصبحا)).

فقال الأشتر (١٢١/١٥-١٢٢):

قد دنا الفضل ولللسل
فرجال الحروب كل خير سر
يضرب الفارس المدجج بالسيـ
يا ابن هند شد الحيازيم للمو
إن في الصبح أن بقيت لأمرأ
أن تكونوا قتلتم النفر البيض
فإننا مثلهم غداة التلاقي
يخصبون الوشيح طعناً إذا جر
طلب الفوز في المعاد وفيه
م رجال وللحروب رجال
ومقحم لا تهده الأهوال
ف إذا خري في الوغى الأكفال
ت ولا تذهبن بك الأموال
تتهأوى من هولته الأبطال
وغالنت أولئك الآجال
وقليل من مثلهم إبدال
ت من الموت بينهم أذبال
تستهان النفوس والأموال

فلما أتى معاوية كتاب علي عليه السلام أكتمه عن عمرو بن العاص أياماً.

ثم دعاه فقرأه آياه فشمت به عمر، ولم يكن أحد من قريش أشد أعظماً لعلي

عليه السلام من عمرو بن العاص منذ لقيه وصفح عنه، فقال عمرو فيما كان آثاره به على معاوية (٢٠٧/١٥) :

ألا لله درك يا ابن هند	ودر الأمرين لك الشهود
أتطمع لأبالك في علي	وقد قرع الحديد على الحديد
وترجو أن تخبره بشك	وتأمل أن يهابك بالوعيد
لقد كشف القناع وجر حرياً	يشيب لهولها رأس الوليد
له جأواء مظلمة طحون	فوارسها تلهث كالأسود
يقول لها إذا رجعت اليه	وقد ملت طعان القوم عودي
فإن وردت فأولها وروداً	وأن صدت فلبس بذني صدود
وما هي من أبي حسن بنكر	ولا هو من مسائك بالبعيد
وقلت له مقالة مستكين	ضعيف الركن منقطع الوريد
دعن لي الشام حسبك يا ابن هند	من السوءات والرأي الزهيد
ولو أعطاكها ما زدت عزاً	ولا لك لو أجابك من مزيد
فلم تكسر بذلك الرأي عوداً	لركتته ولا ما دون عود

وبعد التحكيم سمع معاوية أن علياً عليه السلام تحمّل إليه مقبلاً، هاله ذلك

فخرج من دمشق معسكراً وبعث إلى كور الشام فصاح بها :

- إن علياً قد سار إليكم.

وكتب إليهم نسخة واحدة فقرئت على الناس؛ ذكر في الكتاب كيف أن

الحكمين قد اتفقا على عدم نكث العهد الذي ثبتاه في كتاب التحكيم، ودعاهم الى أن يتجهزوا للحرب فمكثوا يجيلون الرأي يومين أو ثلاثة، حتى قدمت عليهم عيونهم أن علياً اختلف عليه أصحابه ففارقته منهم فرقة أنكرت أمر الحكومة وأنه قد رجع عنكم إليهم.

وكان عمار بن عقبة بن معيط مقيماً بالكوفة، وكان يكتب إلى معاوية بالأخبار سرّاً، وكان أخوه الوليد يبعث إليه شعراً يحرضه منه (١١٥/٢-١١٦):

وان يك ظنني في عمارة صادقاً
 يبيت وأوتار ابن عفان عنده
 يبنم ثم لا يطلب بدهل ولا وتر
 كأمك لم تسمع بقتل أبي عمرو
 مجييمة بين الخورفوق والقصر
 قتييل التجيبي الذي جاء من مصر
 إلا أن خير الناس بعد ثلاثة

فأجابه الفضل بن عباس بن عتبة (١١٥/٢-١١٦):

أطلب ثأراً لست منه ولا له
 كما أفتخرت بنت الحمار بأمها
 ولا لأبن ذكوان الصفوري والوتر
 ألا أن خير الناس بعد نبئهم
 وتنس أباهما إذ تسامي أولو الفخر
 وصي النبي المصطفى عند ذي الذكر
 وأول من صلى وصنو نبئيه
 وكانوا له من ظلمة حاجزي النصر
 فلو رأيت الأنصار ظلم ابن عمكم
 وأن يسلموه للأحابييش من مصر
 كفى ذلك عيباً أن يسيروا بقتله

فعند ذلك دعا معاوية الضحاك بن قيس الفهري إلى التجهز والذهاب إلى

الكوفة لأعراب الأعراب هناك والإغارة على المساح، فأقبل الضحاك فنهب الأموال وقتل من لقي من الأعراب، فاستصرخ أمير المؤمنين عليه السلام الناس، عقب غارة الضحاك، فتقاعدو عنه، فخطبهم فقال :

ما عزت دعوة من دعاكم، ولا استراح قلب من قاساكم .

فخرج حجر بن عدي حتى مر بالسماء فلم يزل مغدأً في اثر الضحاك حتى لقيه بناحية تدمر، فوافقه فاقتتلوا ساعة فقتل من أصحاب الضحاك تسعة عشر رجلاً، ومن أصحاب حجر رجلان، وحجز الليل بينهم، فمضى الضحاك، فلما أصبحوا لم يجدوا له ولأصحابه أثراً.

وأصاب الضحاك في هربه من حجر عطش شديد، وفيما هو يبحث عن الماء سمع قائلاً يقول (١٢٢/٢) :

دعاني الهوى فازددت شوقاً وربما
 أرقت لساري الهم حين يؤوب
 فإني بداري عامر لغريب
 فان أك قد أحببتكم ورأيتمكم

وعلى أثر هذه الوقفة كتب عقيل بن أبي طالب إلى أخيه أمير المؤمنين عليه السلام حين بلغه خذلان أهل الكوفة، وتقاعدهم به، طلبه فيه السماح له باللحوق به فكتب الإمام عليه السلام إلى أخيه بأنه لا حاجة له بذلك قائلاً : -

والله ما أحب أن تهلكوا معي أن هلكت، ولا تحسبن ابن أمك - ولو أسلمه الناس - متخشعاً ولا متضرعاً، أنه لكما قال أخو بني سليم (١٢٠/٢) :

فأن تسأليني كيف أنت فأنتني صبور على ريب الزمان صليب
يعز عليَّ إن تُرى بي كأبة فيشمت عاد أو يُساء حبيب

ولما وضعت حرب صفين أوزارها وسلم الحسن عليه السلام الأمر إلى معاوية أخذ عبد الله بن هاشم بن عتبة الأمر قال أسير إلى معاوية ولما مثل بين يديه، وعنده عمرو بن العاص، طلب منه أن يقتله قائلاً: -
لم تلد الحية إلا الحية.

ولما أجابه عبد الله جواباً مفحماً، إذ ذكره بهزيمته أمام علي عليه السلام في صفين، أمر معاوية به إلى الحبس، فكتب عمرو إلى معاوية (٣١/٨ و٣٤):

أمرتك أمراً حازماً فقصيتني وكان من التوفيق قتل ابن هاشم
وكان أبوه يا معاوية الذي رماك على حرب بحز الغلاصم
فقتلنا حتى جرت من دمائنا بصفين أمثال البحور الخضارم
وهذا أبنه والمرء يشبه أهله ستقرع أن أبقيته سن نادم

فبعث معاوية بالشعر إلى عبد الله بن هاشم، فكتب في جوابه من السجن:
معاوي أن المرء عمراً أبت له ضغينة صدر ودها غير سالم
يرى لك قتلي يا ابن حرب، وإنما يرى ما يرى عمرو ملوك الأعاجم
على انهم لا يقتلون أسيرهم إذا كان فيه منعة للمسالمة
وقد كان منا يوم صفين نغرة عليك، جناها هاشم وابن هاشم
قضى الله فيها ما قضى ثمّت انقضى وما ما مضى إلا كأخضات حالم

فَأَنْ تَعَفُّ عَنِّي تَعَفُّ عَنِ ذِي قَرَابَةٍ وَأَنْ تَرَ قَتْلِي تَسْتَحِلُّ مَحَارِمِي

فَأَطْرَقَ مَعَاوِيَةَ طَوِيلًا حَتَّى ظَنَّ أَنَّهُ لَنْ يَتَكَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ :

أَرَى الْعَضُوَّ عَنِ عَلِيٍّ قَرِيشٍ وَسَيْلَةَ أَلَى اللَّهِ فِي الْيَوْمِ الْعَبُوسِ الْقِمَاطِرِ

وَلَسْتُ أَرَى قَتْلِي فَتَى ذَا قَرَابَةٍ لَهُ نَسَبٌ فِي الْحَيِّ كَعَبٍّ وَعَامِرِ

بَلِ الْعَضُوَّ عَنْهُ بَعْدَمَا خَابَ قَدْحُهُ وَزَلَّتْ بِهِ إِحْدَى الْجُدُودِ الْعَوَاطِرِ

وَكَانَ أَبُوهُ يَوْمَ صَفِينٍ مَحْنَقًا عَلَيْنَا، فَارْدَتَهُ رِمَاحٌ بِحَابِرِ

٨ - الخوارج

غلس علي عليه السلام بالناس صلاة الغداة يوم الثلاثاء، عاشر شهر ربيع الاول، سنة سبع وثلاثين - وقيل عاشر شهر صفر، ثم زحف الى اهل الشام بعسكر العراق. والناس على راياتهم واعلامهم، وزحف اليهم اهل الشام وقد كانت الحرب أكلت الفريقين، ولكنها في أهل الشام اشد نكاية، واعظم وقعا، فقد ملّوا الحرب، وكرهوا القتال وتضعضت اركانهم.

اذ كان الاشرق قد حمل على اهل الشام فكسر فيهم رمحه ثم رجع وخرج رجل من اهل الشام طالباً من الامام علي عليه السلام ان يرجع أهل العراق الى عراقهم. فيخلي اهل الشام بينه وبين العراق. ويرجع أهل الشام الى شامهم فيخلي أهل العراق بينهم وبين الشام. ولكن الامام عليه السلام رفض هذه الدعوة قائلاً:

- إن الله تعالى ذكره لم يرضَ من أوليائه أن يعص في الأرض وهم سكوت مذعنون؛ لا يأمرهم بمعروف، ولا ينهون عن منكر، فوجدت القتال أهون على من معالجة في جهنم.

فاشتد القتال بالنبل والحجارة والرماح والسيوف وعمد الحديد فاجتلدوا من صلاة الغداة من اليوم المذكور الى نصف الليل. وافترقوا عن سبعين الف قتيل في ذلك اليوم وتلك الليلة وهي ليلة الهزير المشهورة.

وكان الاشر في ميمنة الناس وابن عباس في الميسرة، وعلي عليه السلام في القلب والناس يقتتلون. ثم استمر القتال من نصف الليل الثاني الى ارتفاع الضحى. ولما بلغ معاوية اندحار جيشه وانتصار جيش الامام علي عليه السلام لجأ الى عمرو بن العاص، فقال:

- يا عمرو: انما هي الليلة حتى يغدو علي علينا بالفيصل، فما ترى؟ فنصحه ان يلقي الى القوم امراً ان قبلوه. اختلفوا، وان ردوه اختلفوا، وهو: ان يدعوهم الى كتاب الله. وكان رفع المصاحف المار ذكره في وقعة صفين، فوافقه معاوية، فاختلف اصحاب علي عليه السلام في الرأي: فطائفة قالت: القتال، وطائفة قالت المحاكمة الى كتاب الله، وكانت خديعة عمرو بن العاص، مع ابي موسى الاشعري. ونتيجة الاختلاف في الرأي خرج جماعة وفيهم قراء على الامام عليه السلام فسموا بـ ((الخوارج))

ولما دخل الامام علي عليه السلام الكوفة دخل معه كثير من الخوارج، وتخلف منهم بالنخيلة، وغيرها خلق كثير لم يدخلوها. فدخل نفر من رؤوسهم عليه عليه السلام فقالوا له:

- تَبُّ من خطيئتك، واخرج بنا الى معاوية، نجاهده.

فاجابهم الامام عليه السلام:

- اني كنت قد هيتكم عن الحكومة فايتم. ثم الآن تجعلونها تبا؟

فقال له عليه السلام احدهم:

- اما والله لئن لم تتب من تحكيمك الرجال لاقتلنك! اطلب بذلك وجه الله

ورضوانه فقال عليه السلام:

- بؤساً لك ما اشقاك!

وكانت الخوارج في اول ما انصرفت عن رايات علي عليه السلام تهدد الناس قتلاً، فأتت منهم طائفة على النهر الى جانب قرية فقتلوا هناك عبد الله بن خباب، صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبقروا بطن جارية له. فعزم علي عليه السلام على الخروج من الكوفة الى الحرورية، وهي قرية على بعد ميلين من الكوفة كان اجتماع الخوارج فيها فنسبوا اليها.

ولما انتهى اليها هو وعسكره رماهم الخوارج والامام عليه السلام يمنع عسكره الرد عليهم حتى تكرر الرمي منهم ثلاث مرات، فقال عليه السلام لهم:

- الان طاب القتال، احملاوا عليهم. وكان أميرهم، اول ما اعتزلوا، ابن الكواء، ثم بايعوا لعبد الله بن وهب الراسي، ولما واقفهم علي عليه السلام بالنهروان، قال: لا تبدؤوهم بقتال حتى يبدؤوكم.

فحمل منهم رجل على صف علي عليه السلام فقتل منهم ثلاثة ثم قال (٢)

: (٢٦٥ - ٢٧٢)

أقتلهم ولا أرى عليهم ولو بدا أوجرتَه الخطيًّا

فخرج اليه علي عليه السلام فضربه فقتله.

وكان الامام علي عليه السلام قد وجه اليهم عبد الله بن عباس لينظرهم
ولكن دون جدوى؟

اذ اعتقدوا ان الامام مذب، وعليه ان يتوب! وهو الشرط الذي وضعوه
لعودتهم الى صفه. وهكذا بدأ القتال بينه عليه السلام وبين الخوارج في النهروان
فقتل منهم خلقاً كثيراً.

وبعد وقعة النهروان اجتمع نفر من الخوارج بمكة فتذاكروا امر المسلمين،
فعابوهم وعابوا اعمالهم عليهم، وذكروا اهل النهروان، فترحموا عليهم وقال
بعضهم لبعض:

- لو أن شرينا انفسنا لله عزوجل فاتينا أئمة الضلال وطلبنا غرتهم، وارحنا
منهم العباد والبلاد وثأرنا باخوتنا الشهداء بالنهروان. فتعاقدوا عند انقضاء الحج،
فقال عبد الرحمن بن ملجم: انا اكفيكم علياً،

وقال البرك بن عبد الله التميمي انه صاحب معاوية.

وقال عمرو بن ابي بكر التميمي: انا اكفيكم عمرو بن العاص.

وتعدوا لشهر رمضان في الليلة التي قتل فيها ابن ملجم علياً عليه السلام.
وفيما يخص الامام علي عليه السلام فقد تنبأ بمقتله وبمن يقتله وذلك يوم جمع
عليه السلام الناس للبيعة، فجاءه عبد الرحمن بن ملجم فرده علي عليه السلام
مرتين او ثلاثاً، ثم مدَّ يده فبايعه، فقال له علي عليه السلام:

ما يجبس أشقاها! فوالذي نفسي بيده لتخضبن هذه من هذه. ثم أنشد (٦)
: (١١٢ - ١١١)

اشدد حيازيهك للموت فان الموت لاقيك
ولاتجزع من الموت اذا حلال بواديك

وفي رواية اخرى. . . فلما بلغ ابن ملجم اعطاه عليه السلام وقال له (٦)
: (١١٥)

اريد حياته ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مراد
وصدق الامام عليه السلام اذ كمن له ابن ملجم في المسجد - بعد اتفاهه
مع قطام بنت الاخضر فبعثت معه من يساعده - وضرب الامام على جبهته
وذلك في ليلة الجمعة لتسع عشرة ليلة خلت من رمضان سنة اربعين، وقيل ليلة
سبع عشرة من شهر رمضان. فأدخل ابن ملجم على علي عليه السلام فقال عليه
السلام:

- النفس بالنفس؛ إن انا مت فاقتلوه كما قتلتني، وان سلمت رأيت فيه
رأبي.

فقال ابن ملجم:

- ولقد اشتريته بالف - يعني السيف - وسممته بالف فان خاني فابعده الله.

فنادته أم كلثوم: يا عدو الله، قتلت أمير المؤمنين!

قال: انما قتلت أباك.

قالت : ياعدوا لله، اني لارجو ان لا يكون عليه بأس.

قال : فاراك انما تبكين علياً، اذاً لقد ضربته ضربة لو قُسمتُ بين أهل الارض لاهلكتهم. واخرج ابن ملجم من بين يديه عليه السلام وهو يقول (٦ / ١١٨ - ١١٩):

(و) نحن ضربنا، يا ابنة الخير اذ طفى
 ونحن حللنا ملكه من نظامه
 ونحن كرام في الصباح أعزة
 اذا المرء بالموت ارتدى وتأزرا

وبعد ان فاضت روح الامام علي عليه السلام الى الخبير اللطيف فدفنه الحسن عليه السلام دعا بابن ملجم وامر بضرب عنقه، فاستوهبت أم الهيثم بنت الاسود الخنعية جثته منه عليه السلام فوهبها لها، فاحرقتها بالنار.

فقال ابن ابي مياس الفزاري، وهو من الخوارج (٦ / ١٢٥):

فلم أرَ مهراً ساقه ذو سماحةٍ
 كمهر قطام من غنيٍّ ومُعَدِمِ
 ثلاثه آلاف وعبد وقينة
 وضرب عليّ بالحسام المصمم
 فلا مهر أغلى من علي وان غلا
 ولا فتك إلا دون فتك ابن ملجم

وقال عبد الله بن عباس بن عبد المطلب (٦ / ١٢٥ - ١٢٦):

وهز علي بالعراقين لحية
 مصيبتها جلت على كل مسلم
 وقال سيأتيا من الله نازل
 وينضبها اشقى البرية بالدم
 فعاجله بالسيف شلت يمينه
 لشؤم قطام عند ذاك ابن ملجم

فياضرية من خاسر ضل سعيه تبوأ منها مقعداً في جهنم
ففاز أمير المؤمنين بحظه وان طرقت احدى الليالي بمعظم
الا انما الدنيا بلاء وفتنة حلاوتها شيبت بصاب وعقلم

وقال احد بني عبد المطلب يرثي علياً عليه السلام ولم يذكر اسمه (٦)

: (١٢٦/

ياقبر سيدنا المجنّ سماحة صلى الاله عليك ياقبر
ما ضرّ قبراً انت ساكنه ان لا يحل بارضه القطر
فليذرينّ سماح كفك بالثرى وليورقنّ بجنبك الصخر
والله لو بك لم اجد أحداً الا قتلت لفاتني الوتر

ويجدر ان نذكر انه فيمن فارق الامام علي عليه السلام والتحق بمعاوية يزيد بن حبيبة التميمي من بني تيم بن ثعلبة بن بكر بن وائل وكان عليه السلام قد استعمله على الري ودست بني فكسر الخوارج. واحتج الممال لنفسه، فحبسه عليه السلام. وجعل معه سعداً مولاه، فقرب يزيد ركائبه، وسعد نائم، فالتحق بمعاوية وقال (٤ / ٨٣ - ٨٤) :

(و) خادعت سعداً وارتحت بي ركابي الى الشام واخترت الذي هو افضل
وغادرت سعداً نائماً في عبادة وسعد غلام مستهام مضلل

وعندما وصل الرقة، وهي من حيز معاوية، عليها الضحاك بن قيس قال

: (٤ / ٨٤) :

يأطول ليلي بالرقعات ولم أنم
لكن لذكر امور جمّة طرقت
من غير عشق حيث نفسي ولاسقم
أخشى على الاصل منها زلة القدم
أخشى علياً عليهم ان يكون لهم
مثل العقور الذي عفى على إرم

وقد كان زياد بن خصفة اليميني، قال لعلي عليه السلام يوم هرب يزيد بن

حُجّية :

ابعثني يا أمير المؤمنين في اثره ارداه اليك. فبلغ قوله يزيد بن حجية فقال في

ذلك (٤ / ٨٤ - ٨٥) :

(و) ابلغ زياداً انني قد كفيته
وباب شديد موثق قد كفيته
اموري وخليت الذي لا أعاتبه
عليك، وقد اعيت عليك مذهبه
اذا الخصم لم يوجد له من يجاذبه
وانك موسى ما طفقت اعاتبه
كلالاً قد اصطفت إليه جلائبه
واقسم لو أدركتني ما رددتني

وكتب إلى العراق شعراً يذم فيه علياً عليه السلام، فدعا عليه وقال

لأصحابه عقب الصلاة :

ارفعوا أيديكم فادعوا عليه.

فدعا عليه وأمن أصحابه، وكان دعاؤه عليه السلام عليه : -

"اللهم أن يزيد بن حُجّية هرب بمال المسلمين ولحق بالقوم الفاسقين، فاكفنا

مكره وكيده واجزه جزاء الظالمين " .

ورفع القوم أيديهم يؤمنون.

وكان في المسجد عفاف بن شرحبيل بن أبي رهم اليميني شيخاً كبيراً، فقال عفاف:

على من يدعو القوم؟

ولما أخبروه عنفهم فضربوه حتى كاد يهلك، فطلب زياد بن خصفة أن يتركوا له ابن عمه فأمرهم عليه السلام بتركه ومشى معه ومسح التراب عن وجهه وعفاف يقول:

والله لا أحبكم ما سعيت ومشيت، والله لا أحبكم ما أختلفت الدرّة الجرة،
وزياد يقول: -

ذلك أضرتك، ذلك شرُّ لك.

وقال زياد بن خصفة يذكر ضرب الناس عفافاً (٨٥/٤-٨٦):

دعوت عفافاً للهدى فأستغثني	وولى فرياً قوله وهو مغضب
ولولا دفاعي عن عفاف ومشهدي	هوى بعفاف - عوض - عنقاء مغرب
أنبئه أن الهدى في أتباعنا	فيأبى، ويضربه المرء فيشغب
فان لا يشاعنا عفاف فأننا	على الحق ما غنى الحمام المطرب
سيغني الآله عن عفاف وسعيه	إذا بعثت للناس جواة محرب
قبائل من حيي معدٍ ومثلها	يمانية لاتتثني حين تُتدب
لهم عدد مثل التراب وطاعة	تود، ويأس في الوغى لا يؤنب

ومن كلام له عليه السلام كلم به الخوارج قوله (١٢٩/٤) :

أصابكم حاصب، ولا بقي منكم أبر: أبعث أيماني بالله، وجهادي مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أشهد على نفسي بالكفر، لقد ضللت إذن وما أنا من المهتدين، فأؤبوا شرقاب، وأرجعوا على أثر الأعقاب. أما أنكم ستلقون بعدي ذلاً شاملاً، وسيفاً قاطعاً، وأثرة يتخذها الظالمون فيكم سنة.

واعلم أن الخوارج على أمير المؤمنين صلى الله عليه وآله وسلم كانوا أصحابه وأنصاره في الجمل وصفين قبل التحكيم! وهذه المخاطبة لهم وهذا الدعاء عليهم، وهذه الأخبار عن حالهم، وقد وقع ذلك. . ولقد كان لهم من سيف المهلب بن أبي صفرة وبينه الحنف القاضي، والموت الزوام.

ونحن نذكر من أخبار الخوارج ها هنا طرفاً.

فمنهم نجدة بن عويمر الحنفي، وكان من رؤسائهم، وله مقالة مفردة من مقالة الخوارج. وله أتباع وأصحاب؛ واليهم أشار الصلتان العبدى بقوله (١٣٢/٤-١٣٣) :

أرى أمةً شهت سيفها	وقد زيد في سوطها الأصبحي
بنجديّة أو صرورية	وأزرق يدعو إلى أزرقى
فملتت أننا مسلمون	على دين صديقنا والنبى
أشباب الصغير وأفتى الكبير	مر الغداة وكمر العشي
إذا ليلة أهرمت يومها	أتى بعد ذلك يوم فتي

نروح ونغدو لحاجتنا وحاجة من عاش لا تتقضي
تموت مع المرء حاجاته وتبقى له حاجة ما بقي

وكان نجدة يصلي بجذاء عبد الله بن الزبير في جمعة في كل جمعة وعبد الله يطلب الخلافة فيمسكان عن القتال من أجل الحرم.

وقال الراعي يخاطب عبد الملك (١٣٣/٤):

أني حلفت على يمينٍ برةٍ لا اكذب اليوم الخليفة قيلا
ما أن أتيت بما خبيت وافداً يوماً أريد لبيعتي تبديلا
ولما أتيت نجيدة بن عويمرٍ أبغي الهدى فيزيدي تضليلا
من نعمة الرحمن لا من حيلتي أني أعد له عليّ فضولا

ولما حارب عثمان بن عبد الله بن مقمر الخوارج متحدياً أياهم ولم يأخذ بنصيحة حارثة بن بدر الغداني، وحارهم عثمان الى أن غربت الشمس فاجلت الحرب عنه قتيلاً وانهمز الناس، وأخذ حارثة بن بدر الراية وصاح بالناس:

أنا حارثة بن بدر فثاب إليه قوم فعبر بهم دجياً، وبلغ قتل عثمان البصرة فقال شاعر من بني تميم (١٤٢/٤):

مضى ابن عبيس صابراً غير عاجزٍ وأعقبنا هذا الحجازي عثمان
فارعد من قبل اللقاء ابن معمرٍ وابرق، والبرق اليماني خوآن
فضمّت قريش غثها وسمينها وقيل بنو تميم بن مرة عزلان
فلولا ابن بدر للعراقيين لم يقم بما قام فيه للعراقيين إنسان

إذا قيل من حامي الحقيقة؟ أو مات إليه معد بالأكف وقحطان
وكان حارثة بن بدر صاحب شراب معاقراً الخمرة فقال فيه رجل من قومه
(١٤٣/٤):

ألم تر أن حارثة ابن بدر يصلي وهو أكفر من حمار
ألم تر أن للفتيان حظاً وحظك في البغايا والعقار
وأن حارثة لما عقدوا له الحراسة، وسلموا إليه الراية، أمرهم بالثبات، وقال
لهم:

إذا فتح الله لهم فللعرب زيادة فريضتين، وللموالي زيادة فريضة، وندب
الناس فالتقوا وليس بأحد منهم قوة قد فشت فيهم الجراحات، وماتطأ الخيل الا
على القتلى، فبينما هم كذلك، إذ أقبل جمع من الشراة من جهة اليمامة يقول
المكثّر: أنهم مئتان، والمقلّل أنهم أربعون، فاجتمعوا وهم مريحون مع أصحابهم،
فصاروا كوكبة واحدة فلما رأهم حارثة بن بدر ركض برايته منهزماً، وقال
لأصحابه (١٤٣/٤-١٤٤):

وكربنوا ودولبوا أو حيث شئتم فآذهبوا
وقال: -

أير الحمار فريضة لعبيذكم والخصيبتان فريضة الأعراب
ولما استطاع المهلب بن أبي صفرة أن يهزم الخوارج قال شاعر من أزد
(١٤٦/٤):

أن العراق وأهله لم يخبروا مثل المهلب في الحروب فسلموا
أمضى وأيمن في اللقاء نقيبة وأقل تهليلاً إذا ما أحجموا
وأبلى مع المغيرة - يؤميد - عطية بن عمرو العنبري، من فرسان تميم
وشجعانهم، ومن شعر عطية (١٤٦/٤) :

يدعى رجال للعطاء وإنما يدعى عطية للطعان الأجرد
وقال فيه شاعر من بني عطية (١٤٦/٤) :

ما فارس إلا عطية فوقه إذا الحرب أيدت عن نواجذها الفما
بـه هـزم الله الأزارق بعدما أباحوا من المصرين حلاً ومحرماً
وحمل رجل من الأزارق على رجل من أصحاب المهلب فقتله، فحمل عليه
المهلب فطعنه فقتله، ومال الخوارج - بأجمعهم - على العسكر فأهزم الناس وقتل
منهم سبعون رجلاً، وثبت المهلب وأبنة المغيرة يومئذ، وعرف مكانه.

ويقال جال المهلب جولة، ويقول الأزد، بل كان يرد المنهزمة ويحامي
أدبارهم، وبنو تميم تزعم أنه فر، وقال شاعرهم (١٤٩/٤) :

بسولاف أضعت دماء قومي وطرت على مواشكة درور
وقال آخر من بني تميم (١٤٩/٤ - ١٥٠) :

تبعنا الأعور الكذاب طوعاً يزجي كل أربعة حماراً
فيا ندمي على تركي عطائي معاينة وأطلبه ضاماراً
إذا الرحمن يسر لي قفولاً فخرق في قرى سولاف ناراً

دعى المهلب بـ(الأعور الكذاب) لأصابة عينه بسهم، ولأنه كان يصطنع الأحاديث النبوية في صلاح الكذب في ثلاثة :

"الصلح بين رجلين، ورجل يرضي أمرأته، والحرب أنها خدعة "

وفيه يقول رجل من الأزد (١٥٠/٤) :

أنت الفتى كل الفتى لو كنت تصدق ما يقول

وأن المهلب بن أبي صغرة عندما عبر دخيلاً وصار إلى عاقول لا يؤتى إلا من جهة واحدة فأقام به، وأقام الناس ثلاثة مستريحين. وفي عاقول وسولاف يقول ابن الرقيات (١٥١/٤) :

ألا طرقت من آل مية طارق على أنها معشوقة الدل عاشقة

تراءت وأرض السوس بيني وبينها ورساق سولاف حمته الأزارقة

أجازت علينا العسكرين كليهما فباتت لنا دون اللحاف معانقة

فأقام المهلب في ذلك العاقول ثلاثة أيام ثم أرتحل، والخوارج بسلي وسلبري فنزل قريباً منهم.

وبعد قتال شرس في اليوم الثالث حتى الليل ولما أصبحوا غدوا على القتلى؛ فأصابوا ابن المحاوز قتيلاً (أحد قادة ابن المهلب)، ففي ذلك يقول رجل من الخوارج (١٥٣/٤-١٥٤) :

بسلي وسلبري جماجم فتية كرام وعقرى من كميته ومن ورد

وقال آخر (١٥٤/٤) :

بسلي وسليبري جماجم فتية كرام وصرعى لم توسد خدودها

وقال رجل من موالي المهلب : -

لقد صرعت يومئذ بحجرٍ واحدٍ ثلاثة رميت به رجلاً فصرعته ثم رميت به رجلاً فأصبت به إذنه فصرعته، ثم أخذت الحجر وصرعت به ثالثاً؛ وفي ذلك يقول، رجل من الخوارج (١٥٤/٤) :

أتانا باحجار ليقتلنا بها وهل يقتل الأبطال- ويحك- بالحجر

وقال رجل من أصحاب المهلب في يوم سلي سليري وقتل ابن المحاوز

(١٥٤/٤) :

ويوم سلي وسليبري أحاط بهم منا صواعق لاتبقي ولا تذر

حتى تركنا عبيد الله منجدلاً كما تجددل جذع مال منقعر

ويروى أن رجلاً من الخوارج يوم سلي حمل على رجل من أصحاب

المهلب؛ فطعنه، فلما خالطه الرمح صاح : -

يا أمناه.

فصاح به المهلب :

لا كثر الله منك في المسلمين!

فضحك الخارجي وقال (١٥٤/٤) :

أمك خير لك مني صاحباً تسقيك محضاً وتعمل رائباً

وقال رجل من الخوارج في هذا اليوم (١٥٥/٤) :

فان تك قتلى يوم سلّي تتابعت
فكم غادرت أسيافنا من قماقم
غداة نكر المشرفية فيهم
بسولاف يوم المأزق المتلاطم

وقال رجل من بني يربوع (١٥٧/٤):

سقى الله المهلب كل غيث
من الوسمي ينتحر أنتحارا
فما وهن المهلب يوم جاءت
عوابس خيلهم تبغي الغوارا

وقال رجل من أصحاب المهلب من بني تميم (١٥٧/٤-١٥٨):

ألا يا من لصلب مستهامٍ
مريح القلب قد ملّ المزونا
لهان على المهلب ما لقينا
إذا ما راح مسروراً بطينا
يمر السابريُّ ونحن شعثٌ
كأن جلودنا كُست طحينا

وفي إحدى المعارك قاتل عمر بن عبيد بن معمر والي فارس في عهد المهلب فهزمهم وقلق جبين زعيمهم قطري بن الفجاءة وبينما هم ينهزمون مرّ بهم الغرز بن يهزم العبدي، فسألوه عن خبره وأرادوا قتله فأقبل على قطري وقال: -
أني مؤمن مهاجر.

فسأله عن أقاويلهم، فأجابه إليها. فخلا عنه، ففي ذلك يقول في كلمة له

(١٦١/٤):

فشدو وثاقي ثم الجوا خصومتي
إلى القطري ذي الجبين المفلّق
فحاججتهم في دينهم فحججتهم
وما دينهم غير الهوى والتخلق

ثم رجعوا وتكاتفوا، فسار إليهم عمر بن عبيد الله ومعه عطية بن عمرو،

ومجاعة بن سحر فالتقوا فألح عليهم عمر حتى أخرجهم، وصار يضربهم بعود في يده فركض إليه قطري في فرس طمر وعمر على مهر فأستعلاه قطري بقوة فرسه حتى كاد يصرعه فبصر به مجاعة فأسرع إليه، فصاحت الخوارج: -
يا ابا ثمامة، أن عدو الله قد رهقك فأنحط قطر على فرسه (سرجه) وطعنه مجاعة وعلى قطري درعان فهتكهما وأسرع السنان في رأس قطري فكشط جلده ونجا.

فقال يزيد بن الحكم لمجاعة (١٦٢/٤):

ودعاك دعوة مرهق فأجيتَه عمَّرو وقد نسي الحياة وضاعا
فرردت عادية الكتيبة عن فتى قد كاد يترك لحمه أوزاعا
وبعد مقتل يزيد بن رويم وزوجته (لطيفة) على أيدي الخوارج قال الشاعر
(١٦٠/٤):

مواقفنا في كل يوم كريهة أسر وأشقى من مواقف حوشب
دعاه أبوه والرماح شوارع فلم يستجب بل راغ ترواغ ثعلب
فلو كان شهم النفس أو ذا حفيظة رأى مارأى في الموت عيسى بن مصعب
وقال آخر (١٦٥/٤):

نجى حليته وأسلم شيخه نصب الأسنة حوشب بن يزيد
وقال قائل يذكر إحدى المعارك مع الخوارج:

ويوم بجيِّ تلاقيته ولولاك لا صطلم العسكر

وقال آخر (١٦٦/٤-١٦٧):

خرجت من المدينة مستميتاً
أليس من الفضائل أن قومي
ولم اك في كتيبة ياسميناً
غدوا مستلثمين مجاهدينا

وياسمين جارية للزبير نصب لواءاً لها وقال :

من أراد فليلحق بلواء ياسمين، ومن أراد الجهاد فليخرج معي وكان رجل من
أصحاب عتاب يقال له شريح، ويكنى أبا هريرة، إذا تحاجز القوم مع المساء نادى
بالخوارج والزبير بن علي (١٦٧/٤):

يا ابن أبي الماحوز والأشرار
شدّ أبي هريرة الهرار
كيف ترون يا كلاب النار
يهركم بالليل والنهار
ألم تروا جيّاً على الضمار
تمسي من الرحمن في جوار

وفي المعركة في الأحواز حارب المهلب الخوارج فدفعهم إلى رام هرمز؛ وكان
الحارث بن عميرة الهمداني قد صار إلى المهلب مراغماً لعتاب بن ورقاء، ويقال:
أنه لم يرضه عن قتله الزبير بن علي، وكان الحارث بن عميرة هو الذي قتله
وخاض إليه أصحابه، ففي ذلك يقول أعشى همدان:

ان المكارم أكملت أسبابها
للفراس الحامي الحقيقة معلماً
لأبن الليوث الغرّ من همدان
حتى تداركهم أعز سميديع
زاد الرفاق وفراس الفرسان
فحمّاهم إن الكريم يماني
يحمي العراق إلى قرى نجران

ومن الخوارج كانت امرأة مع قطري بن الفجاءة يقال لها أم حكيم وكانت من أشجع الناس وأجملهم وجهاً، وأحسنهم بالدين تمسكاً، وخطبها جماعة منهم فردتهم ولم يجبهم، فأخبر من شاهدها في الحرب أنها كانت تحمل على الناس وترتجز، فتقول (١٧٠/٤-١٧١):

أحمل رأساً قد سئمت حمله وقد مللت دهنه وغسله

ألا فتى يحمل عني ثقله

والخوارج يعدونها بالآباء والأمهات.

وفي إحدى معارك الخوارج نودي على السبي يومئذ فغولي بأم حفص فبلغ بها رجل سبعين ألفاً، وكان ذلك الرجل من مجوس كانوا اسلموا، ولحقوا بالخوارج، ففرض لكل رجل منهم خمس مائة، فكاد ذلك الرجل يأخذ أم حفص، فشق ذلك على قطري بن الفجاءة، وقال: -

ما ينبغي لرجل مسلم أن يكون عنده سبعون ألفاً، أن هذه لفتنة فوثب عليها أبو الحديد العبدى فقتلها، فأُتي به قطري، فبارك عمله فقال رجل من الخوارج (١٧٥/٤):

كفانا فتنة عظمت وجلت بحمد الله سيف أبي الحديد

أهاب المسلمون بها وقالوا على فرط الهوى هل من مزيد

فزاد أبو الحديد بنصل سيف رقيق الحد فعل فتى رشيد

وكان العلاء بن مطرف السعدي بن عمر القنا، وكان يجب أن يلقاه في صدر

مبارزة فلحقه عمرو القنا يومئذ؛ وهو منهزم، فضحك منه وقال متمثلاً
:(١٧٥/٤)

تمناني ليلقاني لقيط اعام لك ابن صعصعة بن سعد

ثم صاح به :

انج يا ابا المصدى.

وهي كنية عمرو القنا، وكان عمرو القنا قد حمل معه امرأتين إحداهما من
بني جنية، يقال لها أم جميل، والأخرى بنت عمه، يقال لها فلانة بنت عقيل فطلق
الضبية، وحملها أولاً، وتخلص بابنة عمه، فقال في ذلك (١٧٦/٤) :

الست كريماً إذ أقول لقيتني قفوا فاحملوها قبل بنت عقيل

ولو لم يكن عودي نضاراً لأصبحت تجر على المتنين ام جميل

ولما هُزم عبد العزيز بن عبد الله أسيد أمام جيش الخوارج جاء حبيب بن
المهلب الى أخيه خالد (وكان أميراً على البصرة) فأخبره فغضب ولم يصدقه فأستتر
حبيب في بني عامر بن صعصعة، وتزوج هناك في أستتاره الهلالية وهي أم ابنة عباد
بن حبيب، وقال الشاعر يخطئ رأيه (١٧٧/٤) :

بعثت غلاماً من قريش فروقةً وتترك ذا الرأي الأصل المهبأ

أبى الذم وأختار الوفاء وأحكمت قواه، وقد ساس الأمور وجربا

وقال الحارث بن خالد المخزومي (١٧٧/٤) :

مر عبد العزيز إذ راء عيسى وابن داود نازلاً قطرياً

عاهد الله أن نجا مملنايا ليعودن بعدها حرميّا
يسكن الخل والصفاح فغوريا مـراراً ومـرة نجـديا
حيث لا يشهدوا القتال يسمع يوماً لكسر خيل دويّا

وفي معركة بين الخوارج بقيادة قطري بن الفجأة وبين المهلب بن أبي صفرة في
مدينة كازرون، وهي من أخصب مدن سابور، قال النعمان بن عقبة (١٨٥/٤):

ليث الحواضن في الخدور شهدنا فيرين من وغل الكتيبة أولا
وقروا وكنا في الوقار كمثلهم إذ ليس تسمع غير قدّم أو هلا
رعدوا فأبرقتنا لهم بسيوفنا ضرباً ترى منه السواعد تختلا
تركوا الجماجم والرماح تحيلها في كازرون كما تحيل الحنظلا

بعد تلك المعركة اختار الخوارج لهم رئيساً يدعى صالح بن مخراق أعدمهم
للبيات. فلما انتصف الليل وكان المهلب قد بعث ابنه المغيرة يستطلع أمرهم رجع
المغيرة إلى أبيه فسرى صالح بن المخراق في القوم الذين كان أعدمهم للبيات إلى
ناحية بني تميم وعليهم الحريش بن هلال، وهو يقول (١٨٧/٤):

أنني لمذكٍ للشراة نارها وممانع مما أتاها دارها
وغاسل بالسيف عنها عارها

فوجد بني تميم أيقاظاً متحارسين، وخرج اليهم الحريش بن هلال وهو يقول
(١٨٨/٤):

وجدتمونا وقرأ أنجادا لا كشفاً مـيلاً ولا أوغادا

هيئات لا تلفوننا رقـادا لا بل إذا صـيح بنا أسـيادا

ومن إفرافات هذه الحرب أن أبا حرملة العبدي - وهو من عسكر المهلب -

قال يوماً يهجو المهلب (١٩٠/٤) :

عدمـتك يا مهلب من أمير أما تتدى يمينك للفقير؟

بدولاب أضعت دمـاء قومي وطـرت على مواشـكة درور

فقال له المهلب :

ويحك! والله أني لاقـيكم بنفسي وولدي.

قال : -

جعلني الله فداء الأمير! فذاك الذي نكرهه منك، ما كلنا يجب الموت.

قال : -

ويحك! وهل عنه من محيص؟

قال :

لا، ولكننا نكره التعجيل؛ وأنت تقدم عليه أقداماً.

قال المهلب :

ويلك! أما سمعت قول العليجة اليربوعي (١٩٠/٤) :

ونادي منادي الحي أن قد أتيتم وقد شريت ماء المـزادة أجمعا

فقلت لكأسـ الجميها فأنما نزلنا الكـثيب من زـرود لنـفرعا

فقال :

بلى وقد سمعت، ولكن قولي أحب الي منه :

ولما وقفتم غدوة وعدوكم الى مهجتي وليت أعداءكم ظهري
وطرت ولم أحفل ملامة جاهل يساقي المنايا بالردينية السمر

فقال المهلب :

- بئس حشو الكتيبة أنت، والله يا أبا حرملة، أن شئت إذنت لك فانصرفت

إلى أهلك.

قال :

بل أقيم معك أيها الأمير.

فوهب له المهلب وأعطاه، فقال يمدحه (١٩١/٤) :

يرى حتماً عليه أبو سعيدٍ جلال القوم في أولى النفير
إذا نادى الشراة أبا سعيد مشى في رفل محكمة القتير

كانت ركب الناس قديماً من الخشب... فأمر المهلب بضرب الركب من
الحديد: - فهو أول من أمر بضربها وفي ذلك يقول عمران بن عصام الغزي

(١٩٤/٤) :

ضربوا الدراهم في إمارتهم وضربت للحدثان والحرب
حلَقاً ترى منها مرافقهم كمراكب لجمالة الجرب

وجه الحجاج إلى المهلب رجلين يستحثانه لمناجزة القوم، وهما زياد بن عبد
الرحمن، من بني عامر بن صعصعة، والآخر من آل عقيل من رهط الحجاج، فظم

المهلب زياداً الى أبنه حبيب، وضم الثقفي الى ابنه يزيد ، وأوصاهما بمفاداة الخوارج، وبعد قتال شديد قتل زياد بن عبد الرحمن، وفقد الثقفي، وفي اليوم الثاني قد وجد الثقفي فدعاه المهلب، ودعا بالغداء فجعل النبل يقع قريباً منهم ويتجاوزهم، والثقفي بعجب من أمر المهلب، فقال الصلتان العبدى (١٩٥/٤) :

ألا يا أصبحاني قبل عوق العوائق وقبل اختراط القوم مثل العقائق
غداة حبيب في الحديد يقودنا يخوض المنايا في ظلال الخوافق
حرون إذا ما الحرب طار شرارها وهاج عجاج النقع فوق المفارق
فمن مبلغ الحجاج أن أمينة زياد أطاحت به رماح الأزارق

كان الحجاج قد رزق أهل البصرة دون أهل الكوفة فقال له عتاب وقد

طلبه الحجاج :

ما أنا بيارح حتى ترزق أهل الكوفة.

فرفض المهلب، فتلا سنا وكادت أن تنشب حرب بينهما لولا المغيرة الذي

مشى بين أبيه وبين عتاب وقال لعتاب : -

يا أبا ورقاء إن الأمير يصير إلى كل ما تحب.

وسال أباه أن يرزق أهل الكوفة ففعل فصلح الأمر : - فقال رجل من

الأزد من بني أياد بن الأسود (١٩٦/٤) :

ألا أبلغ أبا ورقاء عنا فلو أننا كنا غضابا
على الشيخ المهلب إذ جفنا للاقى خيلكم منا خرابا

وخرج عمرو بن القنا - وهو من بني سعد بن زيد مناة بن تميم فننادى على جيش الخوارج.

يا أيها المحلّون هل لكم في الطرد، فقد طال عهدي به، ثم قال (١٩٨/٤):
ألم ترّ إننا منذ ثلاثين ليلة جديب وأعداء الكتاب على خفض
فالتحم القوم وصرع المغيرة، وكان الذي صرعه عبيدة بن هلال بن يشكر
بن بكر بن وائل، وكان يقول يومئذ (١٩٨/٤):

أنا ابن خير قوم هلال شيخ على دين أبي بلال
وذاك ديني آخر الليالي

وبعد أن غار صالح بن مخراق (الخارجي) على السرح شق على المهلب
فطلب من أولاده ان يأخذوا الطريق عليهم، فبادر بشر بن المغيرة، ومدرك
والمفضل أبنا المهلب؛ فسبق بشر الى الطريق، فإذا رجل أسود من الأزارقة يشل
السرح وهو يقول (١٩٩/٤):

نحن قمعناكم بشل السرح وقد نكأنا القرع بعد القرع
فتناخوا عليه وأستردوا السرح منه بعد أن قتلوه.

وأبلى يومئذ ابن المنجب السدوسي، فقال غلام له يقال له حلاج:
والله لوددنا أن فضضنا عسكريهم حتى نصير إلى مستقرهم، فأستلب مما هناك
جارتين.

فقال له مولاه ابن المنجب:

وكيف تمنيت، ويحك، أئنتين؟

فقال :

لأعطيك أحدهما وأخذ الأخرى.

فقال ابن المنجب (٢٠٠/٤) :

حلاج أنك لن تعانق طفلة
حتى تلاقني في الكتيبة معلماً
وترى المقطر في الفوارس مقدماً
أو أن يعلمك المهلب غزوةً
شَرِقاً بها الجادي كالمثال
عمرو القنا وعبدة بن هلال
في عصبة نشطوا على الضلال
وترى جبلاً قد دنت لجبال

وكان بدر بن الهذيل، من أصحاب المهلب شجاعاً، وكان لحانة؛ كان إذا

أحس بالخوارج ينادي : -

يا خيل الله اركبي؛ واليه يشير القائل (٢٠١/٤) :

وإذا طلبت إلى المهلب حاجةً
العبد كُردس وبدر مثله
عرضت توابع دونه وعبيد
وعلاج باب الآخرين شديد

وولى الحجاج كُردساً فارساً، ووجهه إليها والحرب قائمة، فقال رجل من

أصحاب المهلب (٢٠١/٤) :

(و) لو رآه كُردم لكردماً
كردمة العير أحس الضيغما

كان المغيرة بن المهلب والرقاد يميان ولا يعطيان الجند شيئاً، ففي ذلك يقول

رجل من بني تميم في كلمة له (٢٠٢/٤) :

ولو علم ابن يوسف ما تلاقي
من الآفات والكُرب الشداد
لفاضت عينه جزعاً علينا
واصلح ما أستطاع من الفساد
ألا قل للأمير جزيت خيراً
أرحنا من مغيرة والرقاد
فما رزق الجنود بهم قفيزاً
وقد ساست مطامير الحصاد

ومن الخوارج: عبد ربه الصغير، أحد موالي قيس بن ثعلبة ولما اختلف الخوارج على قطري بايعه جمع منهم كثير، وكان قطري قد عزم على أن يبايع للمقمطر العبدي، فأختلف الخوارج فيما بينهم، فصال بن مخراق وجماعة كرهوا أن يحل المقمطر العبدي محل قطري بن الفجاءة في الخلافة، وقطري يريد ذلك، فخلعه جماعة وبايعوا عبد ربه الصغير، وهو معلم كتاب، فنشبت الحرب بينهم؛ فقال الصلت بن مرة القطري: -

يا أمير المؤمنين إن كنت إنما تريد الله فأقدم على القوم، وإن كنت إنما تريد الدنيا فأعلم أصحابك حتى يستأمنوا، ثم قال (٢٠٥/٤):

قل للمُحلِّين قد قرت عيونكم
بفرقة القوم والبغضاء والهرب
كنا أناساً على دين فغيرنا
طول الجدال وخلط الجد باللعب
ما كان أغنى رجالاً قلَّ جيشهم
عن الجدال وأغناهم عن الخطب
أنى لأهونكم في الأرض مضطرباً
ما لي سوى فرسي والرمح من نشب

ثم قال: أصبح المهلب يرجو منا ما كنا نطمع فيه.

وارتحل القطري إلى منزل آخر ونزل المهلب خندق قطري فجعل يقال عبد

ربه أحياناً بالغداة وأحياناً بالعشي، فقال رجل من سدوس يقال له المعتق وكان فارساً (٢٠٦/٤) :

ليث الحرائر بالعراق شهدنا ورأيننا بالسفح بالأجبال

فنكحت أهل الجد من فرساننا والضارين جماجم الأبطال

وسقط رمح لرجل من مراد، من الخوارج، فقاتلوا عليه حتى كثر الجراح والقتل؛ وذلك مع المغرب، والمرادي يرتجز، ويقول (٢٠٨/٤) :

الليل ليل فيه ويلٌ ويلٌ قد سال بالقوم الشراة السيلُ

أن جاز في الأعداء فينا قول

وقال المهلب لحبيب بن أوس :

كُر على القوم.

فلم يفعل، وقال (٢٠٩/٤) :

يقول لي الأمير بغير علم تقدم حين جد به المراس

فمالي إن أطعتك من حياة ومالي غير هذا الرأس راس

وقال لمعن بن المغيرة بن أبي صفرة :

إحمل.

فقال :

لا، إلا أن تزوجني ابنتك أم مالك.

فقال :

زوجتك.

فحمل على الخوارج فكشفهم، وطعن فيهم وقال (٢٠٩/٤-٢١٠):

ليت من يشتر الحياة بمالٍ ملكة كان عنده ميزاننا

يضل الكل عند ذاك بطعنٍ أن للموت عندنا ألواننا

ثم جال الناس جولة عند حملة حملها عليهم الخوارج، فالتفت المهلب فقال

للمغيرة أبنه:

ما فعل الأمين الذي كان معك؟

قال:

قتل وهرب الثقيفي.

فقال ليزيد:

ما فعل عبيد بن أبي ربيعة؟

قال:

لم أره منذ كانت الجولة.

فقال الأمين الآخر للمغيرة:

أنت قتلت صاحبي.

فلما رجع العشي رجع الثقيفي، فقال رجل من بني عامر بن صعصعة

(٢١٠/٤):

ما زلت يا ثقفي تخطب بيننا
 حتى إذا ما الموت أقبل زاخراً
 وليت يا ثقفي غير مناظر
 ليست مقارعة الكماة لدى الوغى
 وتغمننا بوصية الحجاج
 وسقى لنا صرفاً بغير مزاج
 تتساب بين أحزة وفجاج
 شرب المدامة في أناء زجاج
 ولما أصبح المهلب أشرف على وادٍ فإذا هو برجلٍ معه رمح مكسور مخضوب
 بالدم ينشد (٢١٠/٤-٢١١):

وأني لأعفي ذا الخمار وصنعتي
 أخادعهم عنه ليغبق دونهم
 كأني وأبدان السلاح عشية
 ووجه كعب بن معدان الأشقري ومرة بن بليد الأزدي فوردنا على الحجاج،
 فلما طلعا عليه، تقدم كعب فانشد (٢١٣/٤-٢١٤):

يا حفص أني عداني عنكم السفر
 علقت يا كعب بعد الشيب غانية
 أممسك أنت عنها بالذي عهدت
 علقت خوداً بأعلى الطف منزلها
 دُرْهاً مناكبها ريباً مأكُمها
 وقد تركت بشط الزابيين لها
 وأفتر داراً بها حيُّ أسربهم
 وقد أرققت فأذى عيني السهر
 والشيب فيه عن الأهواء مزدجر
 أم حبلها مذ نأتك اليوم منبتر
 في غرفة دونها الأبواب والحجر
 تكاد إذ نهضت للمشي تنبتر
 داراً بها تسعد البادون والحضر
 مازال فيهم لمن تختارهم خير

لما نبت بي بلادي صرت منتجعاً
أبا سعيد فأني جئت منتجعاً
لولا المهلب ما زرنا بلادهم
فما من الناس من حي علمتهم
كنّا نهون قبل اليوم شأنهم
فما يجاوز باب الجسر من أحد
لما وهنا وقد حلوا بساحتنا
نادى امرؤ لا خلاف في عشيرته
خبّوا كمينهم بالسفح إذ نزلوا
بانيت كتائبنا تردي مسوّمه
هناك ولوا خزايا بعدما هزموا
تأبى علينا حزازات النفوس فما

وطالب الخير مرتاد ومنتظر
أرجو نوالك لما مسني الضرر
ما دامت الأرض فيها الماء والشجر
إلا يرى فيهم من سيبهم أثر
حتى تقاوم أمر كان يُحتقر
قد عضت الحرب أهل المصر فانجمروا
فأستتفر الناس ثارات فما نفر
عنه وليس به عن مثله قصر
بكازرون فما عزوا ولا نصروا
حول المهلب حتى نور القمر
وحال دونهم الأنهار والجر
ن بقي عليهم ولا ييقون أن قدروا

فضحك الحجاج، وقال:

انك لمنصف يا كعب.

وأمر له بعشرين ألف درهم وحمله على فرس، وأوفده على عبد الملك

فامر له بعشرين ألفاً أخرى .

وكعب الاشقري من شعراء المهلب ومادحيه، ومما مدحه هذه القصيدة (٤)

بكشَّ وقد اطلت به الحصارا
كبرت وصار لي همي شعارا
وابدين الصريحة لي جهارا
أوان كُسيْتُ من شحطٍ عذارا
وصارت ساحتني للهم دارا
مقالة جائر احفى وجارا
عن المجد المؤثل اين صارا
حروب لا ينون لها غرارا
وأخى ذمة واعز حارا
من الانصار يقذفن المهارا
بسابس لا يرون لها منارا
بكل ثينة يوقدن نارارا
رددناها مكلمة مرارا
ترى فيها عن الاسل ازورارا
نثرن عليه من رهج غبارا
نروي منهم الاسل الحرارا
قليلاً نومها الأغرارا
ومن بالمصر يحتلب العشارا

طربت وهاج لي ذاك ادكارا
وكنت الذ بعض العيش حتى
رأيت الفانيات كرهن وصلي
غرضن بمجلسي وكرهن وصلي
زرين عليَّ حين بدا مشيي
أتاني والحديث له نماءً
سلواهل الاباطح من قریش
ومن يحمي الثغور اذا استحرت
لقوم الازد في الغمرات أمضى
هم قادوا الجياد على وجاها
بكل مفازة وبكل شهب
الى كرمان يحملن المنايا
شواذب ما اصبنا النار حتى
ويشجرن العوالي السمر حتى
غداة تركن مصرع عبد رب
ويوم الزحف بالاهواز ظلنا
فقرت أعين كانت حزيناً
صنائعنا السوايغ والمذاكي

وهن يبجن كل صحى عزيز
 وطوالات المنون بضن الا
 ولولا الشيخ بالمصرين ينفي
 ولكن قارع الابطال حتى
 اذا وهنوا وحل بهم عظيم
 ومبهمه يحيد الناس عنها
 شهاب تتجلي الظلماء عنه
 بنوك السابقون الى المعالي
 كأنهم نجوم حول بدر
 ملوك ينزلون بكل تغر
 رزان في الخطوب ترى عليهم
 نجوم يهتدى بهم إذاما
 براك الله حيث براك بجرأ

ويحمين الحقائق والذمارا
 اذا سار المهلب حيث سارا
 عدوهم لقد نزلوا الديارا
 اصابوا الامن واحتلوا القرارا
 بدق العظم كان لهم جبارا
 تشب الموت شد لها ازارا
 يرى في كل مظلمة منارا
 اذا ما أعظم الناس الخطارا
 تكمل اذ تكمل فاستدارا
 اذا ما الهام يوم الروع طارا
 من الشيخ الشمائل والنجارا
 اخو الغمرات في الظلماء حارا
 وفجر منك انهاراً غزارا

كتب الحجاج الى المهلب يأمره بمناجزة الخوارج، وسيتبطئه ويضعفه ويعجزه
 من تأخيره امرهم، فاجابه المهلب بوساطة رسوله:

انما البلاء ان يكون الامر لمن يملكه لالمن يعرفه، ثم طلب منه ان يبعث من
 يرى مكانه، واخبر عبد الملك بذلك فكتب الى الحجاج ان لا يعارض المهلب فيما
 يراه.

فقام كعب الأشعري الى المهلب، فأنشده بمحضر رسول الحجاج (٤ / ٢١٩

- (٢٢٠):

ان ابن يوسف غره من امركم	خضض المقام بجانب الانصار
لو شاهد الصفين حيث تلاقيا	ضاقت عليه رحبيرة الاقطار
من ارض سابوا والجنود وخيلنا	مثل القداح بريثها يشترار
من كل صنديد يرى بلبانه	وقع الضباة مع القنا الخطار (٧٥)
لرأى معاودة الرياح غنيمه	ازمان كان محالف الاقتار
فدع الحروب لشبيبها وشبابها	وعليك كل غريده معطار

بعد ان انتصر المهلب على الخوارج وكتب بذلك الى الحجاج، قدم المهلب على الحجاج فأجلسه الى جانبه، وأظهر بره وأكرمه، وقال:

- يا أهل العراق. انتم عبيد قن للمهلب.

ثم قال: انت والله كما قال لقبط (٤/٢٢٢):

فقلدوا امركم لله دركم	رحب الذراع بامر الحرب مضطلعا
لا يطعم النوم الاريث يبعثه	هم يكاد حشاه يقصم الضلعا
لامترفان رخاء العيس ساعده	ولا اذا عض مكروه به خشعا
ما زال يحلب هذا الدهر اشطره	يكون متبعاً طوراً ومتساعاً
حتى استمرت على شزر ميريته	مستحکم الرأي لاقحماً ولاضرعاً

وطلب الحجاج ان يذكر له القوم الذين ابلوا فذكرهم المهلب على مراتبهم

في البلاء وتفاضلهم في الفناء، وقدم بنيه، وقال: والله لو واحد قدمهم في البلاء لقدمته عليهم، ولو لا ان اظلمهم لآخرتهم. ثم ذكر معن بن المغيرة والرقاد واشباههما. فامر الحجاج بتفضيل قوم على قوم على قدر بلائهم. وزاد ولد المهلب الفين الفين. وفعل بالرقاد وبجماعة شبيهاً بذلك. وقال يزيد بن صبغاء من الازارقة (٤ / ٢٢٣ - ٢٢٤):

دعي اللوم ان العيس ليس بدائم	ولا تعجلي باللوم يا أم عاصم
فان عجلت منك الملامة فاسمعي	مقالة معني بحقك عالم
ولا تغد لنا في الهدية إنما	تكون الهدايا من فضول المغانم
وليس بمهدٍ من يكون نهاره	جلاداً ويمسي ليله غير نائم
يريد ثواب الله يوماً بطعنةٍ	غموس كشدم العنبري بن سالم
اييت وسربالي دلاص حصينة	ومفقرها والسيف فوق الحيازم
حلفت برب الواقفين عشية	لدى عرفاتٍ حلفة غير آثم
لقد كان في القوم الذين لقيتهم	بابور شغل عن بروز اللطائم
فتوقد في ايديهم زاغبيبة	ومرهضة تفري شؤون الجماجم

وقال المغيرة الحنظلي من اصحاب المهلب (٤ / ٢٢٤):

إني امرؤٌ كَفَّنني ربي واكرمني	عن الامور التي في غيرها وخمُّ
وإنما انا انسان اعيش كما	عاشت رجال وعاشت قبلها أممُّ
ما عاقني عن ققول الجند ان قفلوا	عينٌ بما صنعوا حولي ولاصممُّ

ولو اردت قفولاً ما تجهمني
 اذن الامير ولا الكتاب اذ رقموا
 ان ان المهلب ان اشتق لرؤيته
 او امتدحه فان الناس قد علموا
 والقائل الفاعل الميمون طائره
 ابو سعيد اذا ما عُدَّت النعم
 الزمان كرمان اذ غص الحديد بهم
 واذا تمنى رجال انهم هزموا

وقال حبيب بن عوف من قواد المهلب (٢٢٥/٤):

ابا سعيد جزاك الله صالحاً
 فقد كفيت ولم تعنف على أحد
 داويت بالحلم اهل الجهل فانقمعوا
 وكنت كالوالد الحاني على ولد

وقال عبدة بن هلال الخارجي يذكر رجلاً من اصحابه (٢٢٥/٤):

يهوى فترفعه الرماح كأنه
 شلو تشب في مخالاب ضار
 يهوى صريعاً والرماح تنوشه
 ان الشراة قصيرة الاعمار

ومن الخوارج شبيب بن يزيد الشيباني. اذ دخل الكوفة والحجاج عليها، حتى
 انتهى الى السوق، وشد حتى ضرب باب القصر بعموده حتى احدث فيه ضربة، ثم
 أقبل حتى وقف عند باب المصطبة، وانشد (٢٤٧/٤):

وكان حافرهما بكل ثنية
 فدق يكيل به شحيح معدم
 عبد دعي من ثمود أصله
 لا بل يقال أبو البهيم يقدم

ومضى شبيب حتى اخذ على شاطئ الفرات، ثم اخذ على الانبار، ثم دخل
 داقوق (كركوك) ثم ارتفع الى اداني آذربيجان، وخلال مسيرته تلك دارت معارك
 بينه وبين الحجاج، فقال الجهري بن ابي همام الذهلي يرثيهم (٢٤٥/٤):

شبابُ اطاعوا الله حتى احبهم
وكلمهم شار يخاف ويطمع
فلما تَبَدَّوا من دقوقا بمنزل
لميعاد اخوانٍ تداعوا فاجمعوا
دعوا خصمهم بالمحكمات وبيّنوا
ضلالتهم، واللّهُ ذو العرش يسمع
بنفسى قَتلى في دقوقاء غودرت
وقد قطعت منها رؤوس واذرع
وللتبكِ نساء المسلمين عليهم
وفي دون مالاقين مبكى ومسمع

ورثت اخت الوليد بن طريف الشيباني الخارجي اخاها بعد ان قتله يزيد بن
مزيد الشيباني، وحمل رأسه الى الرشيد، وقالت انه من اهل التقى والدين على
قاعدة شعراء الخوارج (٧٣/٥-٧٤):

أيَا شجر الخابور مالك مورق
كأنك لم تجزع على ابن طريف
فتى لا يحب الزاد الامن التقى
ولا المال الامن قنا وسيوف
ولا الذخر الأكل جرداء شطبة
وكل رقيق الشقرتين خفيف
فقدناك فقدان الربيع وليتنا
فديناك من ساداتنا بالوف

وقال مسلم بن الوليد بن يزيد بن مزيد، ويذكر قتله الوليد (٧٤/٥).

والمارق بن طريف قد دلفت له
بعارض للمنايا مسبل هطل
لوان شياً بكى مما اطاف به
فاز الوليد بقده الناضل الحصل
ماكان جمعهم لما لقيتهم
الاکرجل جراد ربيع منجفل
فاسلم يزيد فما في الملك من أود
اذا سلمت، ولا في الدين من خلل

خرج في أيام المتوكل بن عمرو الحثعمي بالجزيرة فقطع الطريق، وتسمى

بالخلافة، فحاربه ابو سعيد محمد بن يوسف الطائي الثغري الصامني، فقتل كثيراً من اصحابه، واسر كثيراً منهم، ونجا بنفسه هارباً فمدحه ابو عبادة البحرني، فقال
(٥ / ٧٤ - ٧٦):

كنا نكفّر من امية عصابة	طلبوا الخلافة فجرة وفسوقا
ونلوم طلحة والزبير كليها	ونعنف الصديق والفاروقا
ونقول تيم اقريت وعدّتها	امرأبيعداً حيث كان سحيقا
وهموا قريش الابطنون اذا انتموا	طابوا اصولاً في العلا وعروقا
حتى غدت جسم بن بكر تبغني	ارث النبي وتدعيه حقوقا
جاؤوا براعيهم ليتخذوا به	عمداً الى قطع الطريق طريقا
عقدوا عمامته برأس قناته	ورأوه برأ فاستحال عقوقا
واقام ينفذ في الجزيرة حكمه	ويظن وعد الكاذبين صدوقا
حتى اذا ما الحية الذكر انكفى	من ارزن حرباً يمج حريقا
غضبان يلقى الشمس منه بهامه	يعشي العيون تألقاً وبروقا
اوفى عليه وظل من دهش يظن	البر بحرراً والفضاء مضيقا
غدرت امانيه به وتمزقت	عنه غيابة سكره تمزيقا
طلعت جياذك من ربا الجوديّ قد	حمّلن من دفع المنون وسوقا
فدعا فريقاً من سيوف حتفهم	وشددت في عقد الحديد فريقا
ومضى ابن عمر قد اساء بعمره	قعب على باب الكميّل اريقا

لو خاضها عمليق او عوج اذن
 لولا اخضرار الخوف في أحشائه
 لو نفسته الخيل لفتة ناظر
 لثنى صدور الخيل تكشف كربه
 ولبكرت بكر وراحت تغلب
 حتى يعود الذئب ليثاً ضيغماً
 هيهات مارس فيلقاً متيقظاً
 متسلفاً جعل الغبوق صبوحة
 ما جوزت عوجاً ولا عمليقا
 رسب العباب به فمات غريقا
 ملاً البلاد زلازلاً وفتوقا
 ولوى رماح الخط تفرج ضيقا
 في نصر دعوته اليه طروقا
 والغصن ساقاً والقرارة نيقا
 قلقاً اذا سكن البليد رشيقا
 ومرى صبوح غد فكان غبوقا

ومن يعظمه الخوارج مرداس بن حدير ابو بلال، احد بني ربيعة بن حنظلة
 وكان ناسكاً، وكان قد شهد مع علي عليه السلام صفين ثم انكر التحكيم، وشهد
 النهروان، ونجا فيمن نجا، عبید الله بن زياد، وخرج من حبسه فغادر هو واصحاب
 له، ومضى حتى نزل آسك، وهي ما بين رامهرمز وارجان، فمر به مال يحمل الى ابن
 زياد، وقد قارب اصحابه الاربعين فحط ذلك المال، وأخذ منه عطاءه وعطاء
 أصحابه ورد الباقي على الرسل. ولأبي بلال مرداس هذا في الخروج أشعار، منها
 قوله (٨٥/٥):

أبعد ابن وهب في النزاهة والتقوى
 احب بقاءً أو ارجي سلامة
 ومن خاض في تلك الحروب المهالكا
 وقد قتلوا زيد بن حصن ومالكا
 وهب لي التقى حتى الاقي أولئكا
 فيا رب سلم نيّتي وبصيرتي

فندب ابن زياد جيشاً إلى خراسان بقيادة أسلم بن زرعة الكلابي من ألفي رجل، يتعقبون أبا بلال واصحابه، ولما التقوهم صاح بهم أبو بلال :

اتق الله يا اسلم، فأنا لانريد فساداً في الأرض، ولا تحتجر فيئا.

ولكن أسلم أصر على أن يأخذهم لأبن زياد، فحملوا على أسلم حملة رجل واحد، فانهزم هو واصحابه من غير قتال، وكان يأسره معبداً أحد الخوارج، ولما عاد إلى ابن زياد غضب عليه غضباً شديداً.

وكان إذا خرج الى السوق، أو مرَّ بصبيان صاحوا به :

أبو بلال وراءك.

وربما صاحوا به :

معبد خذه.

ففي ذلك يقول عيسى بن فاتك، من بني تميم اللات بن ثعلبة أحد الخوارج

: (٨٦/٥-٨٧)

فلما أصبحوا صلوا وقاموا الى الجرد العتاق مسومينا

فلما أستجمعوا حملوا عليهم

أألفنا مؤمن فيكم زعمتم ويهزمكم بأسك أربعوننا

كذبتم ليس ذاك كما زعمتم ولكن الخوارج مؤمنوننا

هم الفئة القليلة غير شك على الفئة الكثيرة ينصروننا

وبعث ابن زياد في أثرهم عباد بن علقمة المازني فلما لقيهم حاوره أبو بلال

مثلما حاور أسلماً قبله وبينما هم كذلك مرّ القعقاع وكان في طريقه إلى الحج ولما علم أنهم الخوارج حمل عليهم فأسروه، ولكن أبا بلال أطلقه بحيله أحتالها القعقاع مدعياً أنه ليس من أعداء الخوارج بل هو في طريقه إلى الحج فغرر به فقاتلهم، ولما أطلقه حمل عليهم ثانية وهو يقول (١٩/٥):

أقاتلهم وليس عليّ بعث نشاطاً ليس هذا بالنشاط
أكرُّ على الحروريين مهري لا حملهم على وضح الصراط
فحمل عليه حريرث بن حجر السدوسي وكهمس بن طلق الصريمي فأسراه
وقتلاه، ولم يأتيا به أبا بلال، ولم يزل القوم يجتلدون حتى جاء وقت صلاة الجمعة
فناداهم أبو بلال:

يا قوم

أن يكفوا ليصلوا، فاجابوه على طلبه، ولكن عباداً وجماعة أسرعوا في
صلاتهم والخوارج مبطئون، وبينما هم في صلاتهم مال عليهم عباد ومن معه
فقتلوهم جميعاً، وأتى برأس أبي بلال.

ففي مقتلهم يقول عيسى بن فاتك الخطي (٩٠/٥):

ألا في الله لا في الناس سالت بـداود وأخوته الجذوع
مضوا قتلاً وتمزيقاً وصلباً تحوم عليهم طير وقوع
إذا ما الليل أظلم كابدوه فيسفر عنهم وهم ركوع
أطار الخوف نومهم فقاموا وأهل الأرض في الدنيا هجوع

وقال عمران بن حطان (٩١/٥) :

يا عين بكى لمرداس ومصرعه
تركنتني هائماً أبكي لمرزئته
أنكرت بعدك من قد كنت أعرفه
أما شربت بكأس دار أولها
فكل من لم يذقها شارباً عاجلاً
يارب مرادس أجعلني كمرادس
في منزل موحش من بعد أيناس
فالناس بعدك يا مرادس بالناس
على القرون فذاقوا صرعة الكأس
يشقى بأنفاس ورد بعد أنفاس

وقال أيضاً (٩١/٥) :

لقد زاد الحياة التي بغضاً
أحاذر أن أموت على فراشي
ولو أنني علمت بأن حتفي
فمن يك همّه الدنيا فأنني
وحباً للخروج أبو بلال
وارجو الموت تحت ذرا العوالي
كحتف أبي بلال لم أبال
لها - واللّه رب البيت - قال

وعمران هذا أحد بني عمرو بن يسار بن ذهل بن ثعلبة بن عكاية بن صعب بن عك بن بكر بن وائل، وكان راس العقد من الصُفْرية وفضيهم وخطيبهم، وشاعرهم، وشعره هذا بخلاف أبي خالد القناني، وكان من قعد الخوارج أيضاً، وقد كان كتب قطري ابن الفجاءة المازني يلومه على القعود (٩١/٥-٩٢) :

أبا خالد أيقن فلست بخالد
أتزعم أن الخارجي على الهدى
وما جعل الرحمن عذراً لقاعد
وأنت مقيم بين لصٍ وجاحد

فكتب إليه أبو خالد (٩٢/٥) :

لقد زاد الحياة التي حبساً
بناتي أنهن من الضعاف
أحاذر أن يرين الفقر بعدي
وأن يشرين رنقاً بعد صافٍ
وأن يعيرين أن كسي الجواري
فتبدو العين عن كرم عجاف
ولولا ذلك قد سوّقت مهري
وفي الرحمان للضعفاء كافٍ

وأن عمران بن حطان، لما طرده الحجاج، جعل ينتقل في القبائل، وكان إذا
نزل بجي أنتسب نسباً يقرب منهم؛ ففي ذلك يقول (٩٢/٥):

نزلنا في بني سعد بن زيدٍ
وفي عكٍ وعامر عوثبان
وفي لخم وفي أود بن عمروٍ
وفي بكر وحي بني الفُدان

وطلبه عبد الملك يوماً فبعث روح بن زباع الجذامي (وكان أثيراً لديه)
ليجيء به إليه، ولما جاء روح قال له عمران: -

قد أردت أن أسالك ذاك فاستحييت منك، فاذهب فإنني في الأثر فرجع روح
إلى عبد الملك فخبّره، فقال:

أما أنك سترجع فلا تجده.

فرجع فوجد عمران قد احتمل (أي غادر) وخلف رقعة فيها (٩٣/٥) -
(٩٤):

يا روح كم من أخي مثوى نزلت به
قد ظن ظنك من لخم وغسان
حتى إذا خفته زالمت منزله
من بعد ما قيل عمران بن حطان
قد كنت جارك حولاً لا يروعي
فيه طوارق من أنس ولا جان

حتى أردت بي العظمى فأدركني
 فاعذر أخاك ابن زبناغ فأن له
 يوماً جان إذا لاقيت ذا يمن
 لو كنت مستغفراً يوماً لطاغية
 لكن أبت ذاك آيات مطهرة
 ما أدرك الناس من خوف بن مروان
 في الحادثات هنات ذات ألوان
 وأن لقيت معدياً فعمدنان
 كنت المقدم في سري وأعلاني
 عند التلاوة في طه وعمران

وكان عبد الملك قد عرف أنه عمران بن حطان من خلال بيتين رواهما له
 روح بن زبناغ الجذامي، عندما كان عمران ضيفاً عند روح، والبيتان هما
 : (٩٥/٥)

يا ضربة من تقي ما أراد بها
 أني لأذكره حيناً فأحسبه
 ألا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
 أوفى البرية عند الله ميزانا

وقد قلبها الفقيه الطبري فقال (٩٣/٥) :

يا ضربة من شقي ما أراد بها
 أني لأذكره يوماً فألعنه
 إلا ليهدم من ذي العرش بنيانا
 والعن الوغد عمران بن حطانا

وقال محمد بن أحمد الطيب يرد على عمران بن حطان (٩٤/٥) :

يا ضربة من عدو صار ضاربها
 إذا تفكرت فيه ظلت ألعنه
 أشقى البرية عند الله إنسانا
 وألعن الكلب عمران بن حطانا

ثم ارتحل، حتى نزل بزفر بن الحارث أحد بني عمرو بن كلاب، فأنسب له
 أوزاعياً (نسبة الى بطن من همدان) فاتاه رجل ممن كان عند روح، فقال له زفر :

من هذا؟

فقال :

رجل من الأزد رأيتُه ضيفاً لروح بن زنباع.

فقال زفر لعمران :

- هذا أزدياً مرة وأوزاعياً أخرى؟ إن كنت خائفاً أمناك؛ وإن كنت فقيراً

أجرناك، فلما أمسى خلف في منزله رقعة وهرب فوجدوا فيها (٩٤/٥) :

إن التي أصبحت يعيا بها زفرٌ أعيت عيأً على روح بن زنباع
ما زال يسألني حولاً لأخبره والناس ما بين مخدوع وخداع
حتى إذا انقطعت مني رسائله كف السؤال ولم يولع بأهللاع
فاكف لسانك عن لومي ومسألتي ماذا تريد الى شيخ بلا راعي؟
فاكف كما كف عني أنني رجل أما ضييم وإما فقعة القاع
أما الصلاة فأني غير تاركها كل امريء للذي يعني به ساع
أكرم بروح بن زنباع وأسرته قوم دعوا اوليهم للعلا داع
جاورتهم سنة من ما أسرُّ به عرضي صحيح ونومي غير تهجاع
فأنعم فأنيك منعيُّ بواحدة حسب اللبيب بهذا الشيب من داع

ثم ارتحل حتى أتى عُمان فوجدهم يعظمون أمر أبي بلال، فأظهر أمره فيهم، فبلغ ذلك الحجاج، فكتب إلى أهل عُمان، فهرب حتى أتى قوماً من الأزد في سواد الكوفة، فنزل بهم، فلم يزل عندهم حتى مات. وفي نزوله فيهم يقول (٩٥/٥) :

نزلنا بحمد الله في خير منزلٍ
 نزلنا بقوم يجمع الله شملهم
 من الأزد أن الأزد أكرم أسوةٍ
 فأصبحت فيهم أمناً لا كمعشرٍ
 أم الحيِّ قحطان وتلك سفاهة
 وما منهما إلا يسرُّ بنسبةٍ
 تقربني منه وان كان ذا نفر
 كما قال لي روح وصاحبه زفر
 أتوني فقالوا: -من ربيعةٍ أو مضر
 يمانية طابوا إذا أنتبه البشر
 نسرُّ بما فيه من الأنس والخضر
 وليس لهم دعوى سوى المجد يعتصر

ومن الخوارج الرهين المرادي أحد فقهاء الخوارج ونسأكها وكان لا يرى
 القعود عن الحرب، وكان في الدهاء والمعرفة والشعر والفقه بقول الخوارج بمنزلة
 عمران بن حطان، ومن شعر الرهين المرادي قوله (٩٩/٥):

يا نفس قد طال في الدنيا مراوغتي
 لا تأمنن لصرف الدهر تتقيصا
 أني لبائع ما يفنى لباقيةٍ
 أن لم يعقني رجاء العيس تربيصا
 وأسأل الله بيع النفس محتسباً
 حتى ألاقِي في الفردوس حرقوصا
 وابن المشيخ ومرداساً وأخوته
 إذ فارقوا هذه الدنيا مخاميصا

وقال العزيز يرثي عباد بن أخضر المازني قاتل أبي بلال مرداس بن أديه
 الخارجي (وقد ذكرنا قصته) إذ كمن له الخوارج في الطريق وبعد مساءلة فقهية
 قتلوه فقال الفرزدق يذكر ذلك (١٠١/٥):

لقد أدرك الأوتار غير ذميمة
 إذا دُمَّ طلاب التراث الأخضر
 هم جردوا الأسياف يوم ابن أخضر
 فنالوا التي ما فوقها نال ثائر

افادوا به أسداً لها في أقتحامها - إذا برزت نحو الحروب - بصائر
كفعل كليب إذ أخلت بجارها ونصر اللئيم معصر وهو حاضر
وما لكليب حين تذكر أول وما لكليب حين تذكر آخر

ومن الخوارج أبو الوازع الراسبي من مجتهدي الخوارج ونسأكها.

وقد أتى نافع بن الأزرق وهو في جماعة من أصحابه، يصف لهم جور
السلطان وفساد العامة، فقال له أبو الوازع: -

- إنك أعطيت لساناً صادقاً، وقلباً كليلاً فلوددت إن صرامة لسانك كانت
لقلبك، وكلال قلبك كان للسانك! أتمضي على الحق وتقعده عنه؟ وتقبح الباطل
وتقيم عليه؟

فقال نافع: إنما ننتظر الفرص، الى أن تجمع من أصحابك من تنكيء به
عدوك فقال أبو الوازع (١٠٣/٥):

لسانك لا تنكيء به القوم إنما تتال بكفيك النجاة من الكرب
فجاهد أناساً حاربوا الله واصطبر عسى الله أن يجزي نحوي بن بني حرب

ويعني بني حرب: معاوية.

ومن الخوارج عمران بن الحارث الراسبي؛ فهو من نسأكها قتل في يوم
دولاب، إذ التقى هو والحجاج بن باب الحميري، وكان الأمير يومئذ على البصرة،
وصاحب رايتهم، فأختلفا حربتين فخراً ميتين، فقالت أم عمران ترثيه (١٠٣/٥) -
(١٠٤):

اللَّهُ أَيَّدَ عَمْرَانًا وَطَهَّرَهُ
وكان عمران يدعوا الله في السحر
يدعوه سرّاً وأعلاناً ليرزقه
شهادة بيدي ملحادة عُذْر
ولى صحابته عن حر ملحمةٍ
وشد عمران كالضرغامة الذكر

وممن قتل من رؤسائهم يوم دولا ب نافع بن الأزرق، وكان خليفتهم -
خاطبوه بأمره المؤمنين، فقال رجل يرثيه (١٠٤/٥) :

شمت ابن بدر والحوادث جمّة
والجائرون بنافع بن الأزرق
والموت حتم لا محالة واقع
من لا يصبحه نهاراً بطرق
فلئن أمير المؤمنين أصابه
فمن يصيبه بغلق

وقال قطري بن الفجاءة يذكر يوم دولا ب (١٠٤/٥-١٠٦) :

لعمرك أني في الحياة لزاهد
وفي العيش ما لم الق أم حكيم
من الخفريات البيض لم يرض مثلها
شفاء لذي بثٍ ولا لسقيم
لعمرك أني يوم الطم وجهها
على نائبات الدهر جد لتيم
إذا قلت يصبوا القلب أو ينتهي المنى
أبى القلب إلا حب أم حكيم
منعمة صفراء حلو دلالها
أبيت بها بعد الهدو أهيم
قطوف الخطى مخطوطة المنن زانها
مع الحر خلق في الجمال عميم
فلو شهدتنا بعد دولا ب شاهدت
طعان فتى في الحرب غير ذميم
غداة طغت علماء بكر بن وائل
وعجنا صدور الخيل نحو تميم
وكان بعبد القيس أول جدنا
وأحلافها من يحصب وسليم

وظلت شيوخ الأزدي حومة الوغى
 فلم أريوماً كان أكثر مُمحماً
 وضارية خدأ كريماً على الفتى
 أصيب بدولاب ولم تك موطناً
 فلو شهدتنا يومذاك وخيلنا
 رأيت فتية باعوا إله نفوسهم
 تقوم فمن مستنزل وهزيم
 يمج دماً من قانظ وكليم
 أغر نجيب الأمهات كريم
 له أرض دولاب وأرض حميم
 تبيح الكفار كل صريم
 بجنات عدن عنده ونعيم

ومن الخوارج عبد الله بن يحيى طالب الحق من رؤساء الخوارج وكبارهم قد أقام بصنعاء بعد أن استولى على اليمن، ولما كان وقت الحج وجه أبا حمزة المختار بن عوف وبلج بن عقبة وأبرهة بن الصباح إلى مكة والأمير عليهم أبو حمزة في ألف، وأمره أن يقيم في مكة إلى صدر الناس ويوجه بلجاً إلى الشام، فأقبل المختار رأى مكة يوم التروية. وعليها وعلى المدينة عبد الواحد بن سلمان بن عبد الملك في خلافة مروان بن محمد بن مروان، وبعد حوار ومراسلات، كره عبد الواحد محاربتهم، ولما كان النفر الأخير نفر عبد الواحد وخلي مكة لأبي حمزة، فدخل بغير قتال، فقال بعض الشعراء يهجو عبد الواحد (١٠٨/٥):

زار الحجيج عصابة قد خالفوا
 دين الإله ففر عبد الواحد
 ترك الأمانة والمواسم هارباً
 ومضى يخبط كالبعير الشارد
 فلو إن والده تخير أمه
 لصفت خلائقه بعرق الوالد

ورثت إحدى نائحات المدينة قتلى قريش في حربهم الخوارج (١١٣/٥):

مال الزمان وما ليه أفنت قُديد رجاليه
فلأبكين سـريرة ولأبكين علانية
ولأبكين على قديـ سد بسوء ما أولانيه
ولا عويـق إذا خلـو ت مع الكلاب العاوية

وقال سهيل مولى زينب بنت الحكم بن أبي العاص وهو يذكر قتال الخوارج
:(١٢٢/٥)

لييت مروان رآنا يوم الاثنتين عشية
إذ غسلنا العار عنا وانتضينا المشـرفية
وارتجزت زوجة أبي حمزة الخارجي قبل أن تقتل مع زوجها قاتلة (١٢٢/٥) -
:(١٢٣)

إن الجديعاء وبنيت الأعلم من سال عن اسمي فأسمر مريم
بعث سوارى بضين مخذم

وقيل في بشكت النحوي الذي شايع الخوارج في المدينة وقتل (١٢٤/٥) :
لقد كان بشكت عبد العزيز من أهل القراءة والمسجد
فبعداً لبشكت عبد العزيز وأما القُرآن فلا تبعد
وبعد أن جرت معركة بين ابن عطية في الطائف وبين عبد الله بن يحيى
الخارجي فقتل جميع من كان مع عبد الله، فقال أبو صخر الهذلي يذكر ذلك
:(١٢٣/٥-١٢٥)

قتلنا عبيداً والذي يكتني الكنى
وأبرهة الكندي خاضت رماحنا
وما تركت أسيافنا منذ جردت
أبا حمزة القاري المصلي اليمانيا
وبلجاً منحناه السيوف المواضيا
لمروان جباراً على الأرض عاصيا
وقال عمرو بن الحصين العنبري يرثي أبا حمزة وغيره من الشراة (١٢٥/٥) -
:(١٢٨)

هبت قبيل تبليج الفجر
إذ أبصرت عيني وأدمعها
أنى اعتراك وكنت عهدي لا
أقذي بعينك لا يفارقها
أم ذكر أخوان فجعت بهم
فأجبتها بل ذكر مصرعهم
يا رب أسألكني سبيلهم
في فتنة صبروا نفوسهم
تالله ما في الدهر مثلهم
أوفي بذمتهم إذا عقدوا
متأهبون لكل صالحة
صمت إذا حضروا مجالسهم
ألا تجيبهم فأنهمو
هند تقول ودمعها يجري
تتهلُّ وأكفسه على النحر
سرب الدموع وكنت ذا صبر
أم عاثر، أم ما لها تذري؟
سلكوا سبيلهم على قدر؟
لا غيره عبراتها تجري
- ذا العرش- وأشدد بالتقى أزري
للمشرفية والقنا السمر
حتى أكون رهينة القبر
واعف عند العسر واليسر
ناهون من لاقوا عن النكر
من غير ما عيَّ بهم يزري
رجف القلوب بحضرة الذكر

للموت بين ضلوعهم يسري
 لخشوعهم صدروا عن الحشر
 أو مسهم طرف من السمر
 فيه غواشي النوم بالسكر
 حذر العقاب منهم على دعر
 قوام ليلاته إلى الفجر
 أي الكتاب مفرع الصدر
 تراك لذته على قدر
 رُغَّتْ النفوس دعت إلى المزر
 عف الهوى ذا مرة شزر
 بحسامه في فتية زهر
 غضب المضارب ظاهر الأشر
 من طعنه في ثغرة النحر
 كانت عواصم جوفه تجري
 من مغتد في الله أو مسري
 في الله تحت القيسي الكدر
 بنجيمة بالطعنة الشزر
 في العرف أنى كان والنكر

متأوهون كأن جمر غضاً
 تلقاهم إلا كهمو
 منهم كان بهم جرى مرض
 لا ليلهم ليل فيلبسهم
 إلا كرى خلساً وأواثمة
 كم من أخ لك قد فجعت به
 متأوهاً يتلو قوارع من
 ظمآن وقدة كل هاجرة
 رفاض ما تهوى النفوس إذا
 ومبرء من كل سيئة
 والمصطفى بالحرب يوقدها
 يختاضها بأفل ذي شطب
 لا شيء يلقاه أسرُّ له
 مسهارة منه تجيش بما
 لخلياك المختار اذك به
 خواض غمرة كل متلفة
 نزال ذي النجوات مختضباً
 وابن الحصين وهل له شبه

بشهادة لم تحسن أضالعه
 طلق اللسان بكل محكمة
 لم ينفكك في جوفه حزني
 ترقى وأونة يخفضها
 ومخالطي بلج وخالصتي
 نكل الخصوم إذا هم شغبوا
 والخائض الفجرات يخطرني
 بمشطب أو غير ذي شطب
 وأخيك أبرهة الهجان أخي
 والضارب الأخدود ليس لها
 وولي حكمهم فُجعت به
 قوال محكمة وذو فهم
 ومسبيب فاذكر وصيته
 فكلاهما قد كان مختشعاً
 في مخبطين ولم أسمهم
 وهم مساعر في الوغى حجج
 حتى وفوا لله حيث لقوا
 فتخالفوا مهجات أنفسهم
 لذوي أحزته على غدر
 رآب صدع العظم ذي الكسر
 تغلبي حرارته وتستشري
 يتنفس الصعداء والزفر
 سهم العدو وجابر الكسر
 وسداد ثلثة عورة الثغر
 وسط الأعادي أيما خطر
 هام العدى بذبابة يغري
 الحرب العوان وموقد الجسر
 حد ينهنها عن السحر
 عمرو، فواكبي على عمرو!
 عف الهوى متثبت الأمر
 لا تنس أما كنت ذا ذكر
 لله ذا تقوى وذا بـ
 كانوا ندى وهم أولو نصر
 وخيار من يمشي على العفر
 لعهود لا كذب ولا غدر
 وعداتهم بقواضب بتر

وأسنة أثبتن في لـدن
تحت العجاج وفوقهم طـرق
فتوقدت نيران حـربهم
وتصرعت عنهم فوارسهم
صرعى فخاوية بيوتهم
خطية بأكفهم زهر
يخفقن من سود ومن حمر
ما بين أعلى البيت والحجر
لم يغمضوا عيناً على وتر
وخوامع بجسومهم تغري

ورثي الشاعر مصعب بن عكاشة بن مصعب بن الزبير يوم قُديد في حرب
الخوارج فقال (٢٥٠/١٥):

قمن فأنـدن رجـالاً قتـلوا
ثم لا تعدلن فيها مصعباً
أنه قد كان فيها باسلاً
بقديد ولنقصان العدد
حين يبكي من قتل بأحد
صارماً يقدم أقدام الأسد
ولقوله عليه السلام:

ألا وإن معاوية قادمة من الغواة، وعمس عليهم الخبر، حتى جعلو نحورهم
أغراض المنية (٢٤٤/٣):

استشهد بقول أيوب بن خولي يرثي هدبة الشكري (٢٦٧/٣):

فيا هـدب للهيجا ويا هـدب للندى
ويا هـدب كم من ملحم قد أصبته
تزودت من دنيك درعاً ومغفراً
وأجرد محبوبك السـرارة كأنه
ويا هـدب للخصم الألد يحاربه
وقد أسلمته للرماح كتائبه
وعضباً حساماً لم تخنك مضاربه
إذا أنقض وا في الريش حجن مخالفه

وقول أحد الخوارج (٢٧٤/٣):

ومن يخشى أطفار المنايا فأننا
وان كريبه الموت عذب مذاقه
لبسنا لهن السابغات من الصبر
إذا ما مزجناه بطيب من الذكر

وقول أحد الخوارج يصف أصحابه (٢٩٨/٣):

وهمُ الأسود لدى العرين بسالة
يمضون قد كسروا الجفون إلى الدعا
فكأننا أعداؤهم أحبابهم
يردون حومات الحمام وإنها
ولقد مضوا وأنا الحبيب إليهم
قدر يخلفني ويحضيه به
ومن الخشوع كأنهم أحبار
متبسّمين وفيهم أستبشار
فرحاً إذا خطر القنا الخطار
تالله عند نفوسهم لصغار
وهم لذيّ أحبة أبرار
يا لهف كيف يفوتني المقدار

وقول الطرماح بن حكيم، وكان يرى رأي الخوارج (٣٠٠/٣):

وأني لمقتاد جوادي فقاذف
لأكسب مالاً أو أأوب إلى غنى
فيا رب أن حانت وفاتي فلا تكن
ولكن قبري بطن نسر مقلبه
وأمسى شهيداً ثاوياً في عصابة
فوارس أشتات يؤلف بينهم
به وبنفسي اليوم إحدى المتالف
من الله يكفيني عداة الخلائف
على شرجع يعلى بخضر المطارف
بجوف السماء في نسور عواكف
يصابون في قبح من الأرض خائف
هدى الله نزالون عند المواقف

المحتويات

٥	ترجمة الشريف الرضي (رحمه الله).....
٨	ترجمة ابن أبي الحديد.....
٩	مؤلفاته.....
١٠	منهج الأضواء.....
١٤	الهدف من الأضواء.....
١٧	الضوء الأول: بدايات الدعوة الاسلامية.....
٣٩	الضوء الثاني: بيعة السقيفة.....
٥٧	الضوء الثالث: الحروب الاسلامية.....
٥٩	١ - غزوة بدر.....
٦٩	٢ - غزوة أحد.....
٨٢	٣ - غزوة الخندق.....
٨٩	٤ - غزوة مؤتة.....
٩٥	٥ - وقعتة الجمل - مقتل عثمان.....
٩٥	مقتل عثمان.....
١٠٠	٦ - وقعتة الجمل.....
١٢٣	٧ - وقعتة صفين.....

الضوء الثالث: الحروب الإسلامية ٣١٥

٨ - الخوارج ٢٥٩

المحتويات ٣١٤